سلسلة النبي والعترة

كاظم الغيظ

الإمام موسى بن جعفر عليه السلام

فوزي آل سيف

دار المحجة البيضاء

كاظِمُ الغَيْظ

الإمام موسى بن جعفر عليه السلام

الرويس - خلف محفوظ ستورز بناية رمال

هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ - تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧ - ٠١/٥٤١٢١١
ص.ب: ٥٤٧٩ / ١٤ - E-mail:almahajja@terra.net.lb
www.daralmahaja.com / info@daralmahaja.com

كاظِمُ الغَيْظ

الإمام موسى بن جعفر عليه السلام

فوزي آل سيف

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدِّمة

فكرت كثيرًا فيما قيل من أن أحدهم سأل عن أكثر الأماكن عِلمًا! فأجيب بالمدارس والجامعات تارة، وبالحوزات والمعاهد أخرى، وأمام دهشة الجميع أجاب: بأن المقابر هي أكثر الأماكن علمًا! فإنها تضم مئات الآلاف من النظريات والأفكار والمعلومات التي انطوت فيها مع دفن أصحابها! فكم من العلماء والفضلاء والأدباء قد ذهبوا تحت التراب وذهب معهم علمهم وأدبهم ومعارفهم إلى تلك المقابر؟.

ماذا لو أن هؤلاء قبل أن يطويهم الزمان ويحتوي علومهم النسيان، بادروا بتسجيل ذلك العلم بنحو من الأنحاء، يكن لهم به أجر أخروي وذكر دنيوي!.

إن هذه القصة سواء كانت حقيقية أو تمثيلًا.. إلا أنها تحكي الحقيقة تماما، وينبغي أن تكون حافزًا لكل عالم مهما كانت درجته وكل أديب علا أودنا كعبه وكل مفكّر أيًّا كانت مرتبته للمسارعة بتدوين معارفه، وحفظها ونشرها لما ذكرنا ولفائدة من يطلب الاستفادة.

هذه القصة وأمثالها تحدوني إلى تقديم ما أستطيع تقديمه ولسان حالي ما قاله المثل (هذا جناي وخياره فيه)! وضمن فكرة ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾، فإن يكن هذا نافعًا فذلك ما أرجو وأتمنى، وإلا فسيكون لي أجر نية الخير، والسعي فيه.

أقدم للقراء الفضلاء والقارئات الفاضلات هذا الكتاب (كاظم الغيظ) لينضم إلى ما سبق من كتب في سيرة المعصومين الأبرار (إني فاطمة وأبي محمد) و(المهدي عدالة منتظرة ومسؤولية حاضرة) وأيضًا من شخصيات الإيمان والرسالة (إنهما ناصران: خديجة بنت خويلد وأبو طالب عم النبي).

أسأل الله سبحانه أن يوفق ويعين على إصدار السلسلة الكاملة في سيرة المعصومين عليهم السلام، وأن ينفع بها المؤمنين الراغبين في المعرفة، وأن يكرمني ووالدي وأرحامي والمؤمنين بشفاعة هؤلاء الطاهرين إنه على كل شيء قدير.

فوزي بن المرحوم
محمد تقي آل سيف
15/ شوال/ 1442هـ

لماذا نستعيد سيرة
الإمام موسى بن جعفر

﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾[1]

معركة النموذج وتركيزه في المجتمع هي من المعارك الأساسية التي تخوضها الديانات والمذاهب بل والتيارات الفكرية والاجتماعية، وذلك أن المجتمع إذا نظر إلى نموذج معين كطريقة حياة أفضل، فإنه سوف يتمثل ذلك النموذج في أفعاله وحركاته، فإذا كان هذا النموذج عابثًا ربما سار المجتمع على طريقة العبث وإذا كان هادفًا كان يمكن أن يتحرك المجتمع في طريق الجدية.

إن المدنية الغربية اليوم لم تنجح فقط بأجهزتها التقنية المتقدمة، بل بالنموذج الذي قدمته للأمم الأخرى، بحيث يصبح طموح شباب تلك الأمم هو أن يكونوا كنموذج الشاب الغربي

(1) السجدة: 24.

رجلًا أو امرأة في ثقافته وسلوكه. وتأتي بقية الأمور لتدعم صورة هذا النموذج.

لذلك ليس غريبًا أن يكون الرياضي الفلاني في فريق غربي هو المثل الأعلى للشباب، يعلقون صوره في غرفهم، ويقلدون مظهر ملابسه وقصة شعر رأسه، ويتابعون أخباره أفضل مما يتابعون دروسهم المدرسية! وتسأل بعضهم ماذا يريد أن يكون فيجيبك بأنه يريد أن يكون مثل فلان!.

والكلام نفسه بالنسبة للشابة في بلاد المسلمين أو الشرق عمومًا عندما تجد أنها أعلى ما تريد الوصول له هو نموذج الممثلة الفلانية، وتهلك نفسها أحيانًا وتحطم حياتها من أجل أن تشبهها! ولو على حساب صحتها.

إنهم يريدون القول إن السعادة تكمن في هذا الطريق وسلوكه، من أراد الثراء فهذا هو الطريق، ومن ينشد النجاح في الحياة فليقلد هذه أو تلك! هذا على المستوى الفردي والشخصي في حياة الناس.

وعلى المستوى السياسي والعام فإنه يتم أيضًا تسويق نموذج على أنه النموذج الأفضل في الإدارة السياسية والاجتماعية وأن المجتمعات التي تريد الرفاه لا بدَّ أن تسلكه! فإنه يحصل

في الواقع الإسلامي تسويق لتاريخ الدولة الأموية او العباسية باعتبارها هي الحكم الإسلامي! وأن الإسلام قد ازدهر في أيامهما وأن الصورة المتوقعة لحكم المسلمين في أي وقت هي نفس الصورة ببعض التعديلات التي يقتضيها الزمان!

إننا نفهم هذا الحرص على تلميع الصورة من هذا المنظار وإلا فإننا لا نعتقد أن هناك قرابة قريبة أو مودة عميقة بين الحاكمين في بلاد المسلمين وبين بني أمية أو بني العباس، ولكن لأن هذا النموذج يخدمهم ويبيض صفحاتهم فهم يسعون لتسويقه! وبإمكانهم أن يكونوا في بعض الجهات أفضل منه، فإذا كان ذلك النموذج هو المثال الجيد فإنهم سيحققون مرتبة أعلى!.

إن من نكسات الأمة فيما نعتقد أن يكون مثل هارون الرشيد[1] العباسي مثالًا للخليفة الإسلامي الناجح والمتفوق، ولا يكون علي بن أبي طالب عليه السلام هو النموذج!.

ولقد شارك بعض المؤرخين والعلماء المرتبطين بالسلطات في ذلك بشكل أو بآخر، فإذا رأيت أن عالِمًا ومؤرخًا كعبد الرحمن بن خلدون يتحدث عن هارون الرشيد بهذا النحو ويصفه

(1) إنما نستخدم هذه الألقاب الرسمية للتعريف وإلا فهي كما قال القائل:

ألقاب مملكة في غير موضعها كالهر يحكي انتفاخًا صولة الأسد

بتلك الاوصاف[1]. فماذا سيقول عنه غيره من عامة الناس؟ وماذا سيقول نفس ابن خلدون عن الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام؟.

ومن هذا المنطلق فإننا نرى أن من الضروري التركيز على سير المعصومين من أهل البيت عليهم السلام، لكي تترسخ في الأمة سيرهم، ولتكون أسماؤهم هي النماذج الرفيعة والرموز العالية! وحتى تتجاوز الأمة مشكلة تغييب سير المعصومين التي كانت الحكومات الرسمية في أكثر مراحل تاريخ الأمة تسعى فيها[2].

إن التعرف على سير المعصومين لديه رسالة يقول فيها: أيها الناس ليس تاريخ الإسلام تاريخًا للسجون ولا توثيقًا لمجالس اللهو واللعب والملذات وإنما هو تاريخ الجهاد والعبادة والصبر والعطاء والفضيلة، وهذا التاريخ هو الذي مثله أئمة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم من ذرية نبينا الأكرم محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

(1) ابن خلدون، عبد الرحمن: تاريخ ابن خلدون، ج 1/ 23 «..وأما ما تموه له الحكاية من معاقرة الرشيد الخمر واقتران سكره بسكر الندمان فحاشا الله ما علمنا عليه من سوء وأين هذا من حال الرشيد وقيامه بما يجب لمنصب الخلافة من الدين والعدالة وما كان عليه من صحابة العلماء والأولياء ومحاورته للفضيل بن عياض وابن السماك والعمري ومكاتبته سفيان الثوري وبكائه من مواعظهم ودعائه بمكة في طوافه وما كان عليه من العبادة والمحافظة على أوقات الصلوات وشهود الصبح لأول وقتها، حكى الطبري وغيره أنه كان يصلي في كل يوم مائة ركعة نافلة وكان يغزو عاما ويحج عاما..».

(2) ذكرنا نماذج وتفاصيل ذلك فيما يرتبط بتغييب سيرة الإمام الحسين عليه السلام في كتابنا: أنا الحسين بن علي، فليراجع.

ولولا هذه السيرة والتاريخ الناصع لما كان في تاريخ السلطات تلك والحاكمين إلا سوءات الشهوات، وقسوة الجلادين.

وفي هذه الصفحات سيكون لنا مرور ولو سريع على حياة عالم آل محمد، والذي وصف في زيارته بأنه «وصيّ الأبرار، وإمام الأخيار، وعيبة الأنوار، ووارث السكينة والوقار والحكم والآثار، الذي كان يحيي الليل بالسهر إلى السحر، بمواصلة الاستغفار حليف السجدة الطويلة، والدموع الغزيرة، والمناجاة الكثيرة، والضراعات المتصلة الجميلة، ومقرّ النهي والعدل، والخير والفضل، والندى والبذل، ومألف البلوى والصبر، والمضطهد بالظلم، والمقبور بالجور، والمعذب في قعر السجون وظلم المطامير، ذي الساق المرضوض بحلق القيود، والجنازة المنادى عليها بذل الاستخفاف، والوارد على جده المصطفى وأبيه المرتضى، وأمه سيدة النساء، بإرث مغصوب، وولاء مسلوب، وأمر مغلوب، ودم مطلوب وسم مشروب. اللَّهمّ وكما صبر على غليظ المحن، وتجرع فيك غصص الكرب، واستسلم لرضاك، وأخلص الطاعة لك، ومحض الخشوع واستشعر الخضوع، وعادى البدعة وأهلها، ولم يلحقه في شيء من أوامرك ونواهيك لومة لائم»[1].

(1) ابن طاووس، علي بن موسى: مصباح الزائر 383.

الإمام الكاظم
من الميلاد إلى الاستشهاد

نتناول في هذه الصفحات عرضًا إجماليًا لحياة الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام، ومن الطبيعي ونحن نتناول سيرة هذا الإمام أن نحدد معنى الإمامة المقصودة هنا وماذا يعني الإمام؟.

معنى الإمام في الاصطلاح اللغوي

والإمام: كلّ من اقتدي به وقدّم في الأمور، والنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إمام الأئمّة، والخليفة إمام الرعيّة، والقرآن إمام المسلمين.

وبهذا المعنى اللغوي فلا اختصاص له بالهدى وإنما قد يكون قائدًا إلى النار وسائقًا إلى الضلال كما في الآية المباركة ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾[1]، وكما للإيمان أئمة[2] فكذلك للكفر ﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ﴾[3]، فكل من يقتدى به في

(1) القصص: 41.
(2) ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [الأنبياء: 73].
(3) التوبة: 12.

أفعاله وأقواله فهو إمام شاء أو أبى! ومنه كان إمام الجماعة في الصلاة، ويطلق على العلماء أئمة لما كانوا محل اتباع من قبل بعض الناس!.

معنى الإمام في اعتقاد الإمامية الاثني عشرية:

أما الإمام في العقيدة الإمامية الإثني عشرية فهو الشخص الذي عينه الله تعالى في هذا المنصب قائدًا للناس في دينهم ودنياهم، وتم تبليغ ذلك على يد رسول الله محمد ﷺ، وهو عندهم لا بدَّ أن يكون معصومًا عن أي ذنب صغير أو كبير وبعمد كان أو خطأ.

ولأن التعيين إلهي فإن إمامته تلك لا تتأثر باتباع الناس له، أو رفضهم إياه، بمعنى أنه لا يكون إمامًا لأن الناس تتبعه، ولا ينعزل إذا رفضوا بيعته وطاعته، بخلاف ما هو في المعنى اللغوي حيث يتقوم الإمام باتباع المأمومين له، ويفقد هذه الصفة لو انفضوا عنه وتركوه! وهي بهذا تشابه النبوة إذ نبوة شخص لا تثبت لأن الناس قبلوه نبيًا، كما أنها لا تسقط عنه لو أنهم رفضوه أو حتى قتلوه!.

لهذا لا يختلف الحال في الإمام بين أن يكون على رأس السلطة الظاهرية كما كان أمير المؤمنين أيام حكومته الظاهرية، وبين أن يكون في داخل السجن كما كان الإمام موسى بن جعفر في السنوات الخمس الأخيرة من عمره الشريف.

نتحدث عن الإمام موسى بن جعفر ضمن هذا التعريف للإمامة. الذي عبر عنه أحد النصوص المروية عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام حينما أشار لابنه موسى وقال مخاطبًا أحد أصحابه: «يا عيسى إن ابني هذا الذي رأيت لو سألته عما بين دفتي المصحف لأجابك فيه بعلم..» والإمام موسى الكاظم بن الإمام جعفر الصادق عليهما السلام هو سابع الأئمة الاثني عشر.

ولادة الإمام الكاظم عليه السلام، ووالدته:

كانت ولادته المباركة في سنة 128 هجرية من أم تسمى حُميدة المصفاة، وكانت جارية نكحها الإمام جعفر الصادق عليه السلام بملك اليمين، وهو أحد أنحاء النكاح كما أشار له القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ﴾[1]، وبالمناسبة فإن أول إمام كانت أمه أم ولد[2] هو الإمام موسى الكاظم وبدءًا منه ومن والدته[3] فإن جميع أمهات الأئمة المعصومين كن أمهات أولاد، وكان آخر إمام أمُّه حرة هو والده الإمام جعفر الصادق عليه السلام.

(1) المؤمنون: 6. ـ المعارج: 30.

(2) الجارية تملك ويواقعها مالكها بملك اليمين فإذا أنجبت منه ومات عنها انعتقت وأصبحت حرة من نصيب ابنها في الميراث.

(3) نقصد من ذلك التسلسل التام وإلا فإن أم الإمام زين العابدين عليه السلام هي أيضًا أم ولد.

إن هذه الملاحظة حرية بالتأمل والتفكر، فلماذا كان ذلك بالرغم من وجود العربيات والقرشيات على وجه الخصوص ومن بني هاشم بنحو أخص؟

والجواب على ذلك: إننا نعتقد أن من أسوأ ما يبتلى به مجتمع هو الشعور بالفخر الكاذب لا لشيء إلا لأنه من هذه القبيلة، أو من هذه القومية أو من هذا الجنس البشري. فالقرشي يعتبر نفسه أفضل من القحطاني، والعربي أو الفارسي يرى نفسه أفضل من التركي أو العكس، والجنس الأبيض يرى نفسه أرفع شأنًا من الأسود الزنجي وهكذا!

وهذا الفخر الكاذب والشعور المزيف قد يكون أساسًا لثقافة مدمرة تنتهي إلى أن يُستباح الطرف غير الأفضل بحسب الزعم، وأن تُصادَر حقوقه لا لشيء إلا لأنه أسود اللون أو غير عربي أو ما شابه! وقد رأينا في عالمنا المعاصر كيف أن الأنظمة العنصرية قد استعبدت شعوبًا تراها أقل شأنًا منها لقرون من الزمان، وأخذت أموالهم.

وعندما جاء الإسلام فإنه أكد من الناحية القانونية والثقافية على مبدأ ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[1] وأنه «لا فضل لعربي على

(1) الحجرات: 13.

أعجمي..» وسعى النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يقوم بخطوات عملية لرفع هذا الشعور والفكر، من خلال تزويجه جويبرا بالذلفاء، والمقداد بابنة عمته ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب، وزيد بن حارثة بزينب بنت جحش ابنة عمة النبي الأخرى، ولكن مع كل ذلك لم يتحول ذلك إلى ثقافة جديدة وبديلة في المجتمع العربي المسلم، وبقيت حالة من التمييز على أساس اللون والعنصر والجنس واللغة سائدة في الأمة إلى أوقات متأخرة. لا على المستوى الشعبي فقط وإنما حتى على المستوى الرسمي وفي ثقافة من يفترض أنهم أعرف الفئات الاجتماعية فها هو الخليفة الأموي معاوية «يعيب الإمام الحسين عليه السلام ويعيره[1] بأنه قد نكح جارية من الجواري وترك العربيات»!!

(1) الحصري القيرواني، إبراهيم بن علي: زهر الآداب وثمر الألباب، 1/ 101: كان لمعاوية بن أبي سفيان عين بالمدينة يكتب إليه بما يكون من أمور الناس وقريش، فكتب إليه: إنّ الحسين بن علي أعتق جارية له وتزوّجها؛ فكتب معاوية إلى الحسين: من أمير المؤمنين معاوية إلى الحسين بن علي. أمّا بعد، فإنه بلغني أنك تزوّجت جاريتك، وتركت أكفاءك من قريش، ممّن تستنجبه للولد، وتمجد به في الصّهر، فلا لنفسك نظرت، ولا لولدك انتقيت.
فكتب إليه الحسين بن علي: أمّا بعد، فقد بلغني كتابك، وتعييرك إياي بأني تزوّجت مولاتي، وتركت أكفائي من قريش، فليس فوق رسول منتهى في شرف، ولا غاية في نسب؛ وإنما كانت ملك يميني، خرجت عن يدي بأمر التمست فيه ثواب تعالى؛ ثم ارتجعتها على سنّة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، وقد رفع بالإسلام الخسيسة، ووضع عنّا به النقيصة؛ فلا لوم على امرئ مسلم إلّا في أمر مأثم، وإنما اللوم لوم الجاهلية!

هل اشترط الإسلام كفاءة النسب في الزواج؟

وتحول هذا الشعور والفكر الذي يستمد أصوله من حالات قبلية أو عنصرية تنتمي إلى ما قبل الثقافة الإسلامية والتوجيه القرآني، إلى نظرية في الفقه الإسلامي وأساس يبنى عليه الحكم الشرعي، فعلى سبيل المثال اشترط المذهب الحنفي كفاءة النسب[1]، ثم رتبوا على أساس ذلك الطبقات الاجتماعية فعندهم القرشي هو كفء لكل أحد ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾[2]!!.

وبني على هذا فمنعت زيجات، وطلقت نساء وهدمت أُسر، بل وجدنا في زماننا الحاضر من لا يزال يعمل بهذه النظرية والفتوى![3]

نعتقد أن أئمة الهدى وهم في صدد الإصلاح الثقافي والاجتماعي في الأمة، أرادوا أن يقولوا إن أعلى الناس منزلة في زمانه وأشرفهم

(1) قال النووي في المجموع شرح المهذب 16/ 182: وأما النسب فهو معتبر فالأعجمي ليس بكفء للعربية، لما روى عن سلمان رضي الله عنه أنه قال «لا نؤمكم في صلاتكم، ولا ننكح نساءكم» وغير القرشي ليس بكفء للقرشية لقوله صلى الله عليه وآله «قدموا قريشا ولا تَقَدموها» وهل تكون قريش كلها أكفاء؟ فيه وجهان. **أحدهما**: أن الجميع أكفاء، كما أن الجميع في الخلافة أكفاء.. **والثاني** أنهم تفاضلون، فعلى هذا غير الهاشمي والمطلبي ليس بكفء للهاشمية والمطلبية..

(2) الإخلاص: 4.

(3) في قضايا متعددة أصبحت حديث الاعلام والصحافة، تمَّ طلاق أزواج من زوجاتهم بعدما أنجبوا الأولاد، بداعي عدم الكفاءة في النكاح، وبعضها رفع فيها الدعوى أبناء عمومة بالرغم من وجود والدي الزوجين وموافقتهم، ويكفيك أن تبحث في أي محرك من محركات البحث بعنوان الكفاءة في النكاح والنسب لتأتيك النتائج.

نسبًا وأكثرهم علمًا ومن تجب طاعته على سائر الناس، فإن زوجته هي جارية أو أم ولد وليست عربية أو قرشية بل هي بحسب مقاييسكم أجنبية ومع ذلك كانت زوجته المفضلة وأمَّ الإمام الذي سيتلوه ويخلفه! واستمر هذا نحو قرن من الزمان أي من زمان إمامة الإمام الكاظم بعد سنة 148هـ إلى زمان إمامة المهدي عجل الله فرجه الشريف نحو 260 هـ، كان لا بدَّ من القيام بهذا الأمر حتى ينكسر هيكل الثقافة الجاهلية الذي صمد أمام الآيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة!.

يراد من ذلك القول: بأن الأرحام المطهرة ليس احتكارًا عربيًا ولا قرشيًا، وإنما هي نعم موزعة على كل البشر فإذا كان للعرب نصيب فلغيرهم نصيب أيضًا! وليس بين الله وبين قوم قرابة! بحيث أن بعضهم ﴿أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾[1] وغيرهم بعيدون عنه! ونحن نلاحظ أن أمهات الأئمة كن من مناطق مختلفة فبينما كانت أمهات الأئمة الأوائل من قريش والعرب والجزيرة العربية، فإن أمهات الأئمة الأواخر تنوعت مناطقهن بين فارس كما هو الحال بالنسبة للإمام زين العابدين وغرب العالم العربي وشماله كما هو الحال في أمهات الأئمة بعد الإمام جعفر بن محمد الصادق بهذا النحو: حميدة والدة الإمام الكاظم: مغربية/ نجمة (تكتم) أم

(1) المائدة: 18.

الإمام الرضا؛ قيل إنها نوبية، وقيل أنها من جزيرة مارسي الواقعة جنوب فرنسا الحالية ولذا تسمى بالشقراء النوبية والخيزران المرسية[1]. سبيكة: والدة الإمام محمد الجواد نوبية، سمانة: والدة الإمام علي الهادي مغربية، سليل: والدة الإمام الحسن العسكري نوبية، ونرجس والدة الإمام المهدي رومية.

وكما ورد في حق أمهات أوائل الأئمة ما يفيد علو مقدارهن واصطفاءهن، فكذلك ورد في حق أمهات الأئمة المتأخرين زمانًا:

من هنا يقول الإمام جعفر الصادق عليه السلام عن زوجته والدة ابنه الإمام موسى: «حُميدة مصفاة من الأدناس كسبيكة الذهب ما زالت الأملاك تحرسها حتى أديت الي كرامةً من الله لي، والحجة من بعدي»[2].

تصريح الإمام الصادق عليه السلام بإمامة الكاظم من بعده:

عاش الإمام موسى مع والده الإمام جعفر الصادق عشرين عامًا (من سنة 128 إلى 148هـ) وتحت رعايته في فترة شهدت انفجارًا علميًّا قاده الإمام الصادق عليه السلام، وبقي بعد أبيه نحو 35 سنة هي فترة إمامته المباركة (إلى سنة 183هـ)، وفترة إمامة موسى بن جعفر عليه السلام تعد من فترات الإمامة الطويلة بالقياس إلى سائر الأئمة عليهم السلام.

(1) ويكي شيعة wikishia.net

(2) الكليني، محمد بن يعقوب: الكافي 1/ 525.

ومنذ البدايات كان الإمام الصادق عليه السلام يخبر أصحابه أن ابنه موسى هو الإمام من بعده،[1] ويحيل إليه إجابة الأسئلة التي ترد إليه، فعن عيسى شلقان، قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام وأنا أريد أن أسأله عن أبي الخطاب،[2] فقال لي مبتدئًا قبل أن أجلس: يا عيسى ما منعك أن تلقى ابني فتسأله عن جميع ما تريد؟ قال عيسى: فذهبت إلى العبد الصالح عليه السلام إلى أن قال: ثم رجعت إلى أبي عبد الله عليه السلام فقال لي: ما صنعت يا عيسى؟ فقلت له: أتيته فأخبرني مبتدئًا من غير أن أسأله عن جميع ما أردت أن أسأله عنه، فعلمت والله عند ذلك أنه صاحب هذا الأمر، فقال: يا عيسى إن ابني هذا الذي رأيت لو سألته عمّا بين دفتي المصحف لأجابك![3]

ويعلم المسلمون أن في الكتاب تبيان كل شيء يرتبط بالشريعة والعقائد الدينية.

---

(1) الحر العاملي؛ محمد بن الحسن: إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات 4/ 222: نقل عددًا من الروايات في النص على إمامته من أبيه الصادق عليه السلام، منها: ما عن أبي الوليد الطريفي قال: كنت ليلة عند أبي عبد الله عليه السلام إذ نادى غلامه فقال: انطلق فادع لي سيّد ولدي، فقال الغلام: من هو؟ فقال: فلان يعني أبا الحسن عليه السلام إلى أن قال: ثم قال: فاتبعه وأطعه، وصدّقه، وأعطه الرضا من نفسك.

ومنها ما عن أبي سعيد المدائني قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: إن الله استنقذ بني إسرائيل من فرعونها بموسى بن عمران، وإن الله يستنقذ هذه الأمة من فرعونها بسميّه.

(2) أبو الخطاب: محمد (مقلاص) بن أبي زينب الأسدي، كان أول أمره مستقيمًا ثم أصبح من الغلاة وصار يكذب على الإمام جعفر الصادق عليه السلام وصدر اللعن في حقه من الإمام عليه السلام.

(3) الحر العاملي، إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات 4/ 224.

لقاء أبي حنيفة بالإمام الكاظم عليه السلام:

ولم يكن الأمر مقتصرًا على حادثة دون أخرى فها هو موسى بن جعفر ولما يزل صغير السن يجيب على أعقد المسائل، لمّا التقى به أبو حنيفة النعمان (إمام المذهب المعروف)، وذلك أن أبا حنيفة وقد قدم الحج عرج بعده على المدينة المنورة لزيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولنترك الرواية تتحدث بلسان أبي حنيفة ثم نعلق عليها: فقد روي عن أبي حنيفة النعمان بن ثابت قال: دخلت المدينة فأتيت أبا عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام فسلمت عليه، وخرجت من عنده فرأيت ابنه موسى عليه السلام في دهليزه قاعدًا في مكتبه وهو صغير السن، فقلت: أين يضع الغريب (أي أين يقضي حاجته؟) إذا كان عندكم إذا أراد ذلك؟ فنظر إلي ثم قال: «يجتنب شطوط الأنهار، ومساقط الثمار، وأفنية الدور، والطرق النافذة، والمساجد، ويرفع ويضع بعد ذلك أين شاء».

فلما سمعت هذا القول نبل في عيني وعظم في قلبي، فقلت له: جعلت فداك، ممن المعصية؟ فنظر إلي ثم قال: «اجلس حتى أخبرك فجلست فقال: إن المعصية لا بدَّ أن تكون من العبد، أو من ربه، أو منهما جميعًا، فإن كانت من الرب فهو أعدل وأنصف من أن يظلم عبده ويأخذه بما لم يفعله، وإن كانت منهما فهو شريكه

والقوي أولى بإنصاف عبده الضعيف، وإن كانت من العبد وحده فعليه وقع الأمر وإليه توجه النهي وله حق الثواب والعقاب، ولذلك وجبت له الجنة والنار.. فلما سمعت ذلك قلت: ﴿ ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[1].

وفي بعض مصادر مدرسة الخلفاء أن أبا حنيفة قال بعدها: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ﴾[2].

فالإمام موسى عليه السلام وهو لا يزال (فتى صغير السن) يجيب على البداهة في مسألة عقدية غاية في الدقة وأخرى تفصيلية في الفقه! فكانتا تعريفًا لأبي حنيفة بفضل الإمام موسى وعلمه. بالطبع فإن القسم الثاني من الرواية لم تنقل في مصادر مدرسة الخلفاء لأنها تعارض بعض توجهاتهم العقدية لا سيما تلك المذاهب التي تميل نحو الجبر في أفعال العباد.

ويظهر من بعض الروايات أنه لم تكن تلك المحاورة هي الحادثة الوحيدة التي اطلع فيها أبو حنيفة على فضل الإمام موسى،

(1) آل عمران: 34. الشيخ الطبرسي، إعلام الورى بأعلام الهدى 2/ 30 ونقل الجزء الأول منها ثقة الإسلام الكليني في الكافي 3/ 20 وأكثر من كتب في الفقه في باب التخلي من الإمامية، وكذلك شمس الدين السخاوي في كتاب الأجوبة المرضية فيما سئل السخاوي عنه من الأحاديث النبوية 2/ 485.

(2) الأنعام: 124.

بل إنه في موضع آخر قد سأل أباه جعفرًا عليه السلام عن صلاة ابنه، وتعمد الإمام جعفر ألا يجيبه بنفسه وإنما يترك الجواب لابنه موسى، فعن محمّد بن مسلم قال: دخل أبو حنيفة على أبي عبد الله عليه السلام فقال له: رأيت ابنك موسى يصلي والناس يمرون بين يديه فلا ينهاهم وفيه ما فيه! فقال أبو عبد الله عليه السلام: ادعوا لي موسى، فقال: يا بُنيّ! إن أبا حنيفة يذكر أنك صليت والناس يمرّون بين يديك فلم تنههم؟ فقال: نعم، إن الذي كنت أصلي له كان أقرب إليّ منهم يقول الله: ونَحْن أَقْرَب إِلَيْه مِن حَبْل الْوَرِيدِ قال: فضمّه أبو عبد الله عليه السلام إلى نفسه، وقال: بأبي أنت وأمي يا مستودع الأسرار[1].

تحمل الإمام الكاظم عليه السلام لأعباء الإمامة:

استشهد الإمام الصادق عليه السلام سنة 148هـ فتحمل الإمام موسى أعباء الإمامة في جو مشحون بالتوتر، ذلك أن أبا جعفر المنصور العباسي[2] وقد سيطر على منصب الخلافة من سنة 136 إلى

(1) الكليني، الكافي 3/ 301.

(2) أبو جعفر عبد الله المنصور بن مُحمد بن عَلي بن عبد الله بن العباس بن عَبْد المُطلّب (ولد سنة 95هـ ومات 158هـ) بويع له بالخلافة سنة 136هـ بعد وفاة أخيه أبي العباس السفاح، بوصية أخيهم إبراهيم (الإمام)، عرف بالبخل الشديد حتى لقب بالدوانيقي (والدانق هو أصغر عملة كان يتعامل بها) وبالقسوة المفرطة على مخالفيه، وسيأتي أنه وهو المؤسس الحقيقي للدولة العباسية قد انسلخ من انتمائه الهاشمي حين تجاهر بالعداوة لبني هاشم، وانتخب طريقًا فقهيًّا وعقديًّا غير ما كانوا عليه.. وسيأتي في المتن بعض الإشارة لذلك.

سنة 156هـ، وخلال هذه السنوات العشرين، مثّل أسوأ درجات الغدر بأصحابه وأقاربه فما ظنك سيفعل فيمن يظنهم مناوئيه ومنافسيه؟ فقد غدر بعمه عبد الله بن علي بعد أن رماه بقتال أبي مسلم الخراساني ضمن مقولة أيهما قتل صاحبه فلا أبالي، ولما انهزم عمه وذهب إلى البصرة عند أخيه سليمان بن علي وعلم بذلك أبو جعفر بعث إلى سليمان يأمره بإحضار عبد الله بن علي إليه، وأعطاه الأمان لعبد الله ما جعله يثق به، فجيء به إلى المنصور سنة 139هـ، فأمر بحبسه في بيت بني أساسه على الملح ثم أطلق عليه الماء فذاب الملح وسقط البيت على عبد الله فمات.. ولم يكن نصيب أبي مسلم الخراساني أحسن حالًا منه فبعد أن وطد له ملكه وقضى على مخالفي المنصور، غدر به المنصور في قصة مفصلة بعدما أعطاه من الأمان ما يوثق به! ولم يكن حال بني الإمام الحسن المجتبى إلا أسوأ من هذين! مع أنهم لم يثقوا في أمانه وإيمانه وأيمانه!

وزاد صحيفته سوادًا باغتيال الإمام أبي عبد الله جعفر بن محمد بالسم بعد إيذاء واضطهاد.. وتنمر في مواجهة أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم فقد أرسل إلى واليه على المدينة أن أنظر من أوصى إليه جعفر بن محمد وقدمه وأضرب عنقه.[1]

(1) الكليني، الكافي 1/ 310، عن أبي أيوب النحوي قال: بعث إلي أبو جعفر المنصور في جوف الليل فأتيته فدخلت عليه وهو جالس على كرسي وبين يديه شمعة وفي يده كتاب، قال: فلما =

لقد كان الإمام الصادق عليه السلام يعرف شخصية المنصور العباسي وتعطشه للدماء ولذلك فقد سار بأسلوب مناسب فهو من جهة كان يعمل خلال عشرات السنين على الإشارة الصريحة وغير الصريحة لإمامة ابنه موسى عليه السلام، بما مرَّا علينا آنفًا مما نقلناه، من تحويله الأسئلة إليه وإعلام خلص أصحابه بفضله، حتى أصبح معروفًا بأنه وصي أبيه وخليفته من بعده، ومن جهة أخرى فقد أوصى رسميًّا إلى خمسة أشخاص أحدهم المنصور العباسي تغطية على الوصي الحقيقي، ولا ريب أن علماء شيعته عرفوا سر تلك الوصية كما أخبر عنها أبو حمزة الثمالي (قيل إنه توفي سنة 150هـ) عندما سمع أن أعرابيًّا جاء من المدينة إلى الكوفة فأخبر أن الصادق عليه السلام قد مات فشهق أبو حمزة الثمالي وضرب بيديه الأرض، ثم سأل الأعرابي: هل سمعت له بوصية؟ قال: أوصى إلى ابنه عبد الله وإلى ابنه موسى وإلى المنصور، فقال: الحمد للّه الذي لم يضلّنا دل على الصغير، وبيّن على الكبير، وستر الأمر العظيم، فقلت له: فسّر لي؟ فقال لي إن الكبير ذو عاهة، ودلّ على

= سلمت عليه رمى بالكتاب إليّ وهو يبكي، فقال لي: هذا كتاب محمد بن سليمان يخبرنا أن جعفر بن محمد قد مات، فإنا لله وإنا إليه راجعون ـ ثلاثًا ـ وأين مثل جعفر؟ ثم قال لي: اكتب قال: فكتبت صدر الكتاب، ثم قال: اكتب إن كان أوصى إلى رجل واحد بعينه فقدمه واضرب عنقه!!، قال: فرجع إليه الجواب أنه قد أوصى إلى خمسة؛ أحدهم أبو جعفر المنصور ومعه محمد بن سليمان وعبد الله وموسى وحميدة.

الصغير بأن أدخل يده مع الكبير، وستر الأمر العظيم حتى إذا سأل المنصور من وصيّه قيل أنت![1]

في مثل هذا الظرف الحرج وأمام هذا الحاكم الذي جمع بين البخل على الناس والغدر بأصحابه والقسوة على منافسيه، كانت بداية إمامة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام وعاصره مدة تصل إلى نحو ثمان سنوات (من 148 إلى 156هـ).

وسنعرض إلى خلاصة لملامح الدور الاجتماعي والسياسي الذي قام به الإمام عليه السلام في فترة إمامته، وأما تفاصيل ذلك فستأتي في صفحات قادمة ومواضيع مستقلة.

كاظم الغيظ:

ربما يكون هذا اللقب الذي اشتهر به الإمام عليه السلام يلخص ملامح الدور الذي اضطلع به سواء في زمان المنصور الذي جاء مشمِّرًا عن أكمام الانتقام، أو في زمان هارون الذي سيشهد سجن الإمام موسى ثم شهادته مسمومًا في السجن. وسيكون لنا موضوع حول كظمه الغيظ في محيطه الاجتماعي والسياسي.

(1) الحر العاملي، إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات 4/ 225.

قضاؤه حوائج الناس:

بينما تقوم السلطات البعيدة عن المجتمع بفرض القوانين المنهكة والمتعبة لعامة الناس غير شاعرة بمعاناتها، ومن السهل على بعض مستشاري هذه السلطات أن يزينوا لهم أن يجمعوا من الناس المال على شكل ضرائب[1] أو جزاءات أو غير ذلك ومن لا يدفع يتعرض للعقوبة. بينما قد وجدنا في حكومات المسلمين من يسارع إلى تحميل عامة الناس مثل هذه النفقات والضرائب غير المبررة، ويكون المتضرر الأكبر فيها الفئة الفقيرة التي قد لا تملك قوت يومها لكنها مجبورة أن تصرف على الحاكم ونزواته وشهواته، وإلا كانت تحت طائلة العقاب.

وكان الأئمة عليهم السلام ومنهم الإمام الكاظم يستعملون وجاهتهم وموقعهم بين الناس لكي يخففوا هذه الأعباء.

1/ فقد روي عن رجل من أهل الري أنه قال: ولي علينا بعض كتاب يحيى بن خالد، وكان عليّ بقايا يطالبني بها وخفت من إلزامي إياها خروجًا عن نعمتي وقيل لي: إنه ينتحل هذا المذهب، فخفت أن أمضي إليه وأمتُّ به إليه (أنتسب له بكوني

(1) الرأي المشهور بين فقهاء المسلمين هو عدم جواز فرض ضرائب على عامة الناس غير ما وجب عليهم من الحقوق المالية الدينية كالزكاة والخمس وما أشبهها.

على مذهبه) فلا يكون كذلك فأقع فيما لا أحب فاجتمع رأيي على أن هربت إلى الله تعالى وحججت ولقيت مولاي الصابر يعني موسى بن جعفر عليه السلام فشكوت حالي إليه فأصحبني مكتوبًا نسخته: «بسم الله الرحمن الرحيم اعلم أن لله تحت عرشه ظلًّا لا يسكنه إلا من أسدى إلى أخيه معروفًا أو نفس عنه كربة، أو أدخل على قلبه سرورًا، وهذا أخوك والسلام».

قال: فعدت من الحج إلى بلدي ومضيت إلى الرجل ليلًا واستأذنت عليه وقلت: رسول الصابر عليه السلام فخرج إليّ حافيًا ماشيًا ففتح لي بابه، وقبلني وضمني إليه، وجعل يقبل عيني، ويكرر ذلك، كلما سألني عن رؤيته عليه السلام وكلما أخبرته بسلامته وصلاح أحواله استبشر وشكر الله تعالى ثم أدخلني داره، وصدرني في مجلسه وجلس بين يدي فأخرجت إليه كتابه عليه السلام فقبله قائمًا وقرأه ثم استدعى بماله وثيابه فقاسمني دينارًا دينارًا ودرهمًا درهمًا وثوبًا ثوبًا وأعطاني قيمة ما لم يمكن قسمته وفي كل شيء من ذلك يقول: يا أخي هل سررتك؟ فأقول إي والله وزدت على السرور. ثم استدعى العمل فأسقط ما كان باسمي وأعطاني براءة مما يوجبه علي عنه وودعته وانصرفت عنه، فقلت: لا أقدر على مكافأة هذا الرجل إلا بأن أحج في قابل وأدعو له وألقى الصابر واعرفه فعله، ففعلت ولقيت مولاي الصابر عليه السلام وجعلت أحدثه

ووجهه يتهلل فرحا، فقلت: يا مولاي هل سرّك ذلك؟ فقال: إي والله لقد سرني وسر أمير المؤمنين عليه السلام والله لقد سر جدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والله لقد سر الله تعالى[1].

والقصة تغني في تفاصيلها عن الإشارة إلى دروسها وعبرها وشرح ما يستفاد منها.

2/ ومتى وجد محتاجًا من المسلمين سواء كان من شيعته أو من غيرهم كان يسارع إلى قضاء حاجته وترميم أمره، هذا مع أنه لم يكن الأئمة معروفين بالثراء بل كانت السلطة تتعمد إفقارهم وحرمانهم من العطاء[2] في الوقت الذي كانت تنثر أموال المسلمين بين أرجل الغانيات وأيدي الطبالين!.

(1) المجلسي، المولى محمد باقر: بحار الأنوار 71/ 316.

(2) الصدوق، محمد بن علي بن بابويه: عيون أخبار الرضا عليه السلام 1/ 86: ذكر خبرًا طويلاً عن المأمون العباسي يحكي فيه استقبال هارون أبيه للناس في المدينة وإكرامهم على حسب أنسابهم وأحسابهم، وإبدائه الاحترام الكبير للإمام موسى بن جعفر، وتقصيره الواضح في عطائه ما هو أقل من سائر الناس.. إلى أن يقول: فلما أراد الرحيل من المدينة إلى مكة أمربصرّةٍ سوداء فيها مائتا دينار ثم اقبل على الفضل بن الربيع فقال له: اذهب بهذه إلى موسى بن جعفر وقال له: يقول لك أمير المؤمنين: نحن في ضيقةٍ وسيأتيك برنا بعد الوقت فقمت في صدره فقلت: يا أمير المؤمنين تعطي أبناء المهاجرين والأنصار وساير قريش وبني هاشم ومن لا تعرف حسبه ونسبه خمسه آلاف دينار إلى ما دونها وتعطي موسى بن جعفر وقد أعظمته وأجللته مائتي دينار أخس عطية أعطيتها أحدًا من الناس؟! فقال: اسكت لا أم لك فإني لو أعطيت هذا ما ضمنته له ما كنت أمنته أن يضرب وجهي غدًا بمئة ألف سيف من شيعته ومواليه وفقر هذا وأهل بيته أسلم لي ولكم من بسط أيديهم وأعينهم..

فانظر إلى ما نقله المزي في كتابه قال: حَدَّثَنِي عِيسى بن مُحَمَّد بن مغيث القرشي وبلغ تسعين سنة، قال: زرعت بطيخًا وقثاءً وقرعًا فِي موضع بالجوانية (قرب المدينة) عَلى بئر يُقال لها: أم عظام، فلما قرب الخير واستوى الزرع، بيّتَني الجراد، فأتى عَلى الزرع كله، وكنت غرمت عَلى الزرع وفي ثمن جملين مئة وعشرين دينارًا. فبينما أنا جالسٌ طلع مُوسى بن جعفر بن مُحَمَّد، فسلم، ثم قال: أيش حالك؟ فقلت: أصبحت كالصريم، بيتني الجراد فأكل زرعي. قال: وكم غرمت فيه؟ قلت: مئة وعشرين دينارًا مَعَ ثمن الجملين. فَقالَ: يا عرفة زِنْ لابن المغيث مئة وخمسين دينارًا مع ثمن نربحك ثلاثين دينارًا والجملين. فقلت: يا مبارك ادخل وادع لي فيها. فدخل ودعا، وحدثني عن رَسُول صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: تمسكوا ببقايا المصائب.. «ثم علقت عَلَيْهِ الجملين، وسقيته، فجعل الله فيها البركة: زكت، فبعت منها بعشرة آلاف»[1].

3/ وعرفت صرر موسى بين المحتاجين حتى قيل: عجبت لمن وصلته صرر موسى بن جعفر كيف يشكو الفقر؟».. وكانَ يصرّ الصرر ثلاث مئة دينار وأربع مئة دينار ومئتي دينار ثم يقسمها بالمدينة وكانَ مثل صرر مُوسى بن جعفر إذا جاءت الإنسان

(1) المزي، جمال الدين: تهذيب الكمال في أسماء الرجال 29/ 46.

الصرة فقد استغنى. وقد نقل المزي أيضًا بسنده عن مُحَمَّد بْن عَبد البكري، قال: قدمت المدينة أطلب بها دينًا فأعياني، فقلت: لو ذهبت إلى أبي الحسن مُوسى بن جعفر فشكوت ذلك إليه، فأتيته بنقمى (قرب جبل أحد) فِي ضيعته، فخرج إليّ، ومعه غلام لَهُ، معه منسف فِيهِ قديد مجزع ليس معه غيره، فأكل وأكلت معه، ثم سألني عن حاجتي، فذكرت لَهُ قصتي، فدخل فلم يقم إلا يسيرًا حَتّى خرج إلي، فَقالَ لغلامه: اذهب، ثم مدَّ يده إلي فدفع إلي صرة فيها ثلاث مئة دينار، ثم قام فولى، فقمت فركبت دابتي وانصرفت.»[1]

أحوال الإمام مع حكام عصره:

عاصر الإمام الكاظم خمسة من الحكام العباسيين (لو استثنينا أبا العباس السفاح لأن الإمام كان صغير السن حينها) أبو جعفر المنصور من 136هـ إلى 158، ثم ابنه محمد المهدي من 158هـ إلى 169 ثم موسى الهادي بن المهدي من 169هـ إلى 170 وأخيرًا هارون الرشيد بن المهدي 170 إلى 193 وفي عصر هذا الأخير وبسُمّه استشهد الإمام الكاظم عليه السلام سنة 183هـ.

(1) المصدر نفسه ص 45.

قد أشرنا إلى أن أول موقف وقفه المنصور العباسي مع الإمام الكاظم عليه السلام بعد توليه مقاليد الإمامة من أبيه ومباشرته إياها بعد شهادة أبيه الصادق عليه السلام كان أن أوعز إلى واليه على المدينة أن يقتل وصي الإمام لكن كما أسلفنا فقد كان الإمام الصادق تغطية على وصية ابنه موسى الكاظم قد أوصى في الظاهر إلى خمسة أشخاص، ولم يكن ممكنًا قتلهم جميعًا حيث كان المنصور العباسي منهم، كما لم يكن مبررًا اختيار واحد منهم دون الآخرين للقتل وحيث أن الإمام الكاظم لم يتظاهر في بادئ الأمر بما يزعج السلطة العباسية وإنما انشغل بالتعليم الديني من خلال مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المدينة، وحيث كان المنصور العباسي مشغولًا بذيول ثورة محمد بن عبد الله (النفس الزكية) وما خلفته من آثار، حتى أنها أثرت على الفقهاء من خارج الدائرة (الشيعية) كما نقل في حق أبي حنيفة النعمان، ومالك بن أنس قبل أن يستميل المنصور مالكًا ويستقطبه للعمل معه، ويتخذ فقهه وموطأه الاساس الرسمي للفقه في الدولة معلنًا بهذا العمل الانفكاك الفقهي والقانوني بين الخلافة العباسية وبين أي أثر من آثار العلويين الذين كان يمثل فقههم وعقائدهم جد المنصور عبد الله بن عباس[1].

(1) ابو جعفر المنصور عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس.

نعم كان المنصور العباسي يمثل خط العداء الشديد للحالة العلوية[1] وقد يكون ذلك لأجل الصراع العنيف الذي خاضه مع أحفاد الإمام علي عليه السلام من بني الحسن السبط[2]، وينسب إليه

(1) هذا مع أنه في أول أمره كان يسترزق ويتعيش من الكلام بأحاديث ومناقب عليٍّ عليه السلام كما ينقل ذلك ابن المغازلي في مناقب أهل البيت ص 212عن الأعمش في حديث طويل منه: وجّه إليّ المنصور فقلت للرسول: لما يريدني أمير المؤمنين؟ قال: لا أعلم، فقلت: أبلغه أنّي آتيه، ثم تفكّرت في نفسي فقلت: ما دعاني في هذا الوقت لخير، ولكن عسى أن يسألني عن فضائل أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام فإن أخبرته قتلني.
قال: فتطهّرت ولبست أكفاني وتحنّطت ثم كتبت وصيّتي، ثم صرت إليه فوجدت عنده عمرو بن عبيد، فحمدت الله تعالى على ذلك وقلت: وجدت عنده عون صدق من أهل البصرة، فقال لي: ادن يا سليمان، فدنوت، فلمّا قربت منه أقبلت على عمرو بن عبيد أسائله، وفاح منّي ريح الحنوط، فقال: يا سليمان ما هذه الرائحة؟ والله لتصدقنّي وإلّا قتلتك.
فقلت: يا أمير المؤمنين أتاني رسولك في جوف الليل فقلت في نفسي: ما بعث إليّ أمير المؤمنين في هذه الساعة إلّا ليسألني عن فضائل علي، فإن أخبرته قتلني، فكتبت وصيّتي، ولبست كفني وتحنّطت.
فاستوى جالسًا وهو يقول: لا حول ولا قوّة إلّا بالله العلي العظيم، ثم قال: أتدري يا سليمان ما اسمي؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين، قال: ما اسمي؟ قلت: عبد الله الطويل ابن محمد بن علي بن عبد الله بن عبّاس بن عبد المطّلب.
قال: صدقت، فأخبرني بالله وبقرابتي من رسول الله صلى الله عليه وآله كم رويت في عليّ من فضيلة من جميع الفقهاء وكم يكون؟ قلت: يسير يا أمير المؤمنين، قال: على ذاك، قلت: عشرة آلاف حديث وما زاد.
قال: فقال: يا سليمان لأحدّثنّك في فضائل عليّ عليه السلام حديثين يأكلان كلّ حديث رويته عن جميع الفقهاء، فإن حلفت لي أن لا ترويهما لأحد من الشيعة حدّثتك بهما، فقلت: لا أحلف ولا أخبر بهما أحدًا منهم.
فقال: كنت هاربًا من بني مروان، وكنت أدور البلدان أتقرّب إلى الناس بحبّ عليّ وفضائله، وكانوا يؤوونني ويطعمونني ويزوّدونني ويكرموني ويحملوني... إلى آخر حديث ابن المغازلي.

(2) فإنه بعدما قضى على ثورة محمد بن عبد الله بن الحسن المسمى بالنفس الزكية في المدينة، وثورة أخيه إبراهيم بن عبد الله في البصرة، استقدم العلويين جميعًا وأخذ يهددهم، وكما نقل أبو =

أنه أول من تهجم على الإمام علي عليه السلام في رسائله لبني الحسن بالإضافة إلى تهجمه الشديد على الإمام الحسن.

كما أن خوض المنصور تصفيات ضد قادته وداعمي حكمه كعيسى بن موسى، وأبي مسلم الخراساني كما أشرنا إليه آنفًا. كل ذلك لعله شغل المنصور عن الالتفات والتركيز على إيذاء الإمام أو قتله.

ولما مات المنصور العباسي، جاء ابنه المهدي بعملية جراحية! انتهت إلى إقصاء[1] عمه عيسى بن موسى بما تقدم ذكره وقد سماه بهذا الاسم تلبيسًا على الناس فهو في الوقت الذي اشتهر فيه محمد بن عبد الله بالنفس الزكية، سمى المنصور ابنه بمحمد والمنصور نفسه اسمه عبد الله ولقبه بالمهدي، حتى تكتمل دائرة

= الفرج الأصفهاني في مقاتل الطالبيين/ 301 عن الإمام جعفر الصادق ما يلي: لما قتل إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بباخمرى حسرنا عن المدينة، ولم يترك فيها منا محتلم (بالغ)، حتى قدمنا الكوفة، فمكثنا فيها شهرًا نتوقع فيها القتل، ثم خرج إلينا الربيع الحاجب فقال: أين هؤلاء العلوية؟ أدخلوا على أمير المؤمنين رجلين منكم من ذوي الحجى. قال: فدخلنا إليه أنا والحسن بن زيد، فلما صرت بين يديه قال لي: أنت الذي تعلم الغيب؟

قلت: لا يعلم الغيب إلا الله.

قال: أنت الذي يجبى إليك هذا الخراج؟

قلت: إليك يجبى- يا أمير المؤمنين- الخراج.

قال: أتدرون لم دعوتكم؟ قلت: لا.

قال: أردت أن أهدم رباعكم، وأروع قلوبكم، وأعقر نخلكم، وأترككم بالسراة، لا يقربكم أحد من أهل الحجاز، وأهل العراق فإنهم لكم مفسدة.. إلى آخر الخبر.

(1) نقول هذا بالرغم من أننا نعتقد أن كل أنحاء السيطرة على الخلافة التي جاؤوا من خلالها ليس لها سند شرعي أو قانوني صحيح فلا هي تنصيب من الله ولا هي اختيار من الناس!

التلبيس والتشويش فكأنه يقدم هذا للناس على أنه الإمام المهدي المنتظر، لا سيما وأن الرواية التي تتداولها مدرسة الخلفاء تشير إلى ما تنسبه من حديث رسول الله في المهدي أن «اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي» ونحن نعتقد أن هذه الزيادة (اسم ابيه اسم أبي) من نتاج هذه الفترة مع أن الأمر بحاجة إلى تتبع أكثر.

ينقل المؤرخون أن المهدي هذا وقد عاصره الإمام الكاظم عليه السلام مدة عشر سنوات، سجن الإمام مدة من الزمان لكنه لم يلبث أن أطلق سراحه، كما قالوا لرؤيا رآها. وقد ذكرها في تاريخ بغداد، بسنده فقال. حدّثني الفضل بن الربيع عن أبيه أنه لمّا حبس المهدي موسى بن جعفر رأى المهديّ في النوم علي بن أبي طالب وهو يقول: يا محمّد ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴾[1]. قال الربيع: فأرسل إلي ليلاً فراعني ذلك، فجئته فإذا هو يقرأ هذه الآية وكان أحسن الناس صوتًا وقال: عليّ بموسى بن جعفر فجئته به فعانقه وأجلسه إلى جانبه، وقال: يا أبا الحسن إنّي رأيت أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب في النوم يقرأ عليّ كذا فتؤمنني أن تخرج عليّ أو على أحد من ولدي[2]؟.

(1) محمد: 22.

(2) لاحظ المنطق الأعوج الذي يتعامل به الحاكمون! فالإمام عليه السلام هو المسجون والمأخوذ إلى بغداد قسرًا من مدينة جده رسول الله! وفي المقابل يطلب منه الحاكم الذي بيده المال والسلاح، وأمر القتل عنده أهون من شربة الماء.. يطلب من الإمام أن يؤمنه!

فقال: ولا فعلت ذاك ولا هو من شأني، قال: صدقت. يا ربيع أعطه ثلاثة آلاف دينار وردّه إلى أهله إلى المدينة.

قال الربيع: فأحكمت أمره ليلًا فما أصبح إلّا وهو في الطريق خوف العوائق.

ويظهر أن هذا كان أول سجن للإمام عليه السلام!.

وكان الإمام موسى الكاظم عليه السلام قد أخبر أصحابه أنه لا يُخشى عليه من القتل في هذه السفرة، سواء كان ذلك العلم الذي أخبرهم به من جملة العلوم الخاصة الغيبية التي زود الله الأئمة بها كما يظهر من ذيل الخبر الآتي، أو كان بحسب تحليله ورؤيته للواقع آنئذ ومعرفته بشخصية المهدي العباسي، فقد روي عن أبي خالد الزبالي قال: قدم أبو الحسن موسى عليه السلام زبالة ومعه جماعة من أصحاب المهدي بعثهم المهدي في إشخاصه إليه، وأمرني بشراء حوائج له، ونظر إليّ وأنا مغموم فقال: يا أبا خالد مالي أراك مغموما؟ قلت: جعلت فداك هو ذا تصير إلى هذا الطاغية ولا آمنه عليك!

فقال: «يا أبا خالد، ليس عليَّ منه بأس، إذا كانت سنة كذا وكذا وشهر كذا وكذا فانتظرني في أول الميل، فإني أوافيك إن شاء الله».

قال: فما كانت لي همة إلا إحصاء الشهور والأيام، فغدوت

إلى أول الميل في اليوم الذي وعدني، فلم أزل انتظره إلى أن كادت الشمس أن تغيب فلم أرَ أحدًا، فشككت فوقع في قلبي أمر عظيم، فنظرت قرب الميل فإذا سواد قد رفع. قال: فانتظرته فوافاني أبو الحسن عليه السلام أمام القطار على بغلة له، فقال: «إيه يا أبا خالد «قلت: لبيك جعلت فداك قال: «لا تشكّنّ، ودَّ والله الشيطان أنك شككت!.

قلت: قد كان والله ذلك جعلت فداك! قال: فسررت بتخليصه وقلت: الحمد لله الذي خلصك من الطاغية.

فقال: «يا أبا خالد، إن لهم إليَّ عودة لا أتخلص منهم»[1]

وهلك المهدي العباسي بعد عشر سنوات من حكمه، وفي الثانية والأربعين من عمره، مما يشير إلى أن ما رآه بعض المؤرخين من كونه قد مات بواسطة السم[2]، على يد إحدى جواريه أو ضمن أطر الصراع الداخلي على الحكم هو الأرجح ليخلفه في الحكم ابنه الأول موسى الهادي الذي يبدو أنه أعرب عن عزمه على سجن الإمام أو اغتياله بحيث كان هذا الأمر ليس ضمن كواليس الحكومة وإنما كان ظاهرًا إلى الحد الذي وصل

(1) الحميري القمي، عبد الله بن جعفر: قرب الاسناد 367.

(2) المسعودي، علي بن الحسين: مروج الذهب ومعادن الجوهر3/ 309 قيل: إنه مات مسمومًا في قطائف أكَلَها.

إلى الإمام ﷺ من خلال أصحابه حيث أخبروه بأن «الهادي قد هم بك! فقال لأهل بيته ومن يليه: ما تشيرون به عليّ من الرأي؟ فقالوا نرى أن تتباعد عنه وأن تغيّب شخصك عنه فإنه لا يؤمن عليك من شرّه»[1]

وقد أعرب موسى الهادي العباسي عن شخصيته وقسوته من خلال تعامله مع نهضة الحسين بن علي شهيد فخ حيث افتتح بها عهده سنة 169هـ، بالرغم من أن الإمام الكاظم ﷺ لم يشارك في تلك الثورة، وبشكل عام لم يتوجه أئمة أهل البيت باتجاه الثورة العسكرية ضد الحكم الأموي أو العباسي بعد ثورة الإمام الحسين السبط، لأسباب نتعرض لها في موضع آخر.

وكان تهديد الخليفة العباسي بقتل الإمام الكاظم[2] لأنه زعم أن

(1) الآبي، منصور بن الحسين: نثر الدر في المحاضرات 1/ 247 وأكمل ذلك بأن الإمام ﷺ دعا بالدعاء المعروف عند الإمامية بدعاء الجوشن الصغير.. قالَ: ثمَّ تفرق القَوْم، فَما اجْتَمعُوا إلّا لِقِراءَة الكتاب الوارِد بِمَوْت مُوسى الهادِي، فَفِي ذَلِك يَقُول بَعضهم فِي وصف دُعائِهِ:

وساريةٍ لم تسر فِي الأَرْض تبتغي محلا، ولم يقطع بها السّفر قاطع

وهِي أَبْيات مليحةٌ ما قيل فِي وصف الدُّعاء المستجاب أحسن مِنها.

(2) البحراني، الشيخ عبد الله في كتاب العوالم، الإمام الكاظم ﷺ 1/ 229 عن عمدة الطالب أنه: قبض عليه، ﷺ موسى الهادي وحبسه فرأى أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ﷺ في نومه يقول: يا موسى ﴿فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ﴾ فانتبه من نومه، وقد عرف أنّه المراد، فأمر بإطلاقه، ثمّ تنكّر له من بعد، فهلك قبل أن يوصل إلى الكاظم ﷺ أذى... ولا ريب أنه اشتباه. على أن الخبر فيه من التعثر ما فيه! فماذا يعني أنه قبض عليه فحبسه فأمر بإطلاقه =

الحسين شهيد فخ ما خرج إلا عن أمره، فقد نقل أنه عندما جيء إليه برؤوس الثائرين «ذكر موسى بن جعفر صلوات الله عليه فنال منه قال: والله ما خرج حسين إلا عن أمره ولا اتبع إلا محبته لأنه صاحب الوصية في أهل هذا البيت قتلني الله إن أبقيت عليه.

فقال له أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم القاضي وكان جريئًا عليه: يا أمير المؤمنين أقول أم أسكت؟ فقال: قتلني الله إن عفوت عن موسى بن جعفر، ولولا ما سمعت من المهدي فيما أخبر به المنصور بما كان به جعفر من الفضل المبرز عن أهله في دينه وعلمه وفضله، وما بلغني عن السفاح فيه من تقريظه وتفضيله لنبشت قبره وأحرقته بالنار إحراقا، فقال أبو يوسف: نساؤه طوالق، وعتق جميع ما يملك من الرقيق، وتصدق بجميع ما يملك من المال، وحبس دوابه، وعليه المشي إلى بيت الله الحرام إن كان مذهب موسى بن جعفر الخروج لا يذهب إليه ولا مذهب أحد من ولده، ولا ينبغي أن يكون هذا منهم..»[1]

= فهلك قبل أن يوصل إلى الكاظم أذى؟ وقضية الرؤيا تلك تواتر الخبر بأنها كانت في حق المهدي لا موسى الهادي نعم ربما يكون المقصود ما سيأتي في صفحات قادمة من أن موسى الهادي هدد أمام أصحابه أنه سيقتل الإمام الكاظم فقيل للإمام في ذلك فأخبر أنه لا يصل أذاه له، وهلك موسى الهادي خلال سنة وأيام من خلافته!

(1) المجلسي، بحار الأنوار48/ 153.

ولـم يمتد العمـر بـه ولا الحكـم أكثر من سـنة[1] بعـد هـذه الحادثة، على أنـه حكـم وهـو صغيـر السـن (25 سـنة)[2] وفـي نفـس الوقـت كان يريـد عـزل أخيـه هـارون الـذي عينـه أبوهمـا المهـدي وليًـا للعهد بعـد الهـادي! وهكـذا أنت تـرى عزيـزي القارئ منـذ مجـيء المنصور العباسـي الخليفـة الثاني إلـى الخليفة السـادس وكل واحد منهـم يتآمر على الثانـي لإزاحتـه عـن ولايـة العهـد، وهـذا طبيعـي فـي تقديرنـا ما دامـت الأمـور تسـير على غيـر الموازيـن والمقاييـس الصحيحـة، فلا الأمر خاضـع للتعييـن الدينـي ولا هـو راجـع إلى الكفـاءة الشـخصية، وإنمـا هـي الأهـواء والرغبـات وهـي لا تلبـث أن تتضـارب وتختلف، وكل خليفـة يحـب أن يكـون ولـي عهـده ابنـه دون أخيه!

(1) تاريخ الطبري: 8/ 213: كانت ولايته سنة وشهرًا واثنين وعشرين يوما.

(2) وهذا ما يرجح الرواية التي تشير إلى أن أمه الخيزران هي التي أقدمت على تسميمه بمساعدة جواريه وتخطيط من يحيى بن خالد وهارون بعد أن رفض تدخلها في الأمور السياسية، وربما أيضًا لأنها كانت تفضل عليه ابنها الآخر هارون بالإضافة إلى أنه هو بنفسه حاول قتلها بالسم!! كما نقله الطبري في تاريخه 8/ 206: بعث موسى (الهادي) إلى أمه الخيزران بـأرزّة، وقال: استطبتها فأكلت منها، فكلي منها قالت خالصة: فقلت لها: أمسكي حتى تنظري، فإني أخاف أن يكون فيها شيء تكرهينه، فجاءوا بكلب فأكل منها، فتساقط لحمه، فأرسل إليها بعد ذلك: كيف رأيت الأرزّة؟ فقالت: وجدتها طيبة، فقال: لم تأكلي، ولو أكلت لكنت قد استرحت منك، متى أفلح خليفة له أم! قالَ وحدثني بعض الهاشميين، أن سبب موت الهادي كان أنه لما جد في خلع هارون والبيعة لابنه جعفر، وخافت الخيزران على هارون منه، دست إليه من جواريها لما مرض من قتله بالغم والجلوس على وجهه، ووجهت إلى يحيى بْن خالد: أن الرجل قد توفي، فاجدد في أمرك ولا تقصر.

ولم يتمكن موسى الهادي من إتمام ما كان قد عزم عليه من ازاحة أخيه هارون (الرشيد) بن المهدي لصالح ابنه جعفر فجاء هارون (الرشيد) ليستلم الحكم مدة طويلة (حوالي 23 سنة) من 170هـ إلى 193، وفي منتصف هذه الفترة تمَّ قتل الإمام الكاظم عليه السلام مسمومًا في داخل السجن بأمر هارون العباسي.

وسيأتي مزيد من التحليل لشخصيات وسياسات هؤلاء الحاكمين في صفحات قادمة.

أحوال الإمام عليه السلام في زمان هارون:

من المهم أن نسجل وقد أفردنا عنوانًا خاصًا لهذه الفترة، ملاحظات:

1/ إننا نستغرب من بعض المسلمين الذين يرفضون تجديد النظر في التاريخ، بعد أصبحوا أسارى لكلمات ذكرها السابقون، أو صور سوقها مؤرخون، ومن أوضح الأمثلة على ذلك عصر هارون الرشيد! فالصورة التي ركزت في وعي الأمة صورة الأمة المزدهرة تحت رعاية حاكم عادل! حيث بلغت من الازدهار حدًا جعله يخاطب السحابة كما قالوا: شرّقي! غرّبي فخراجك يأتي إليّ!

ونبدأ من (الرشيد) لقبًا.. فهل كان رشدًا أن يسجن الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام فترات متطاولة لا لشيء إلا لأنه مثلًا لا يؤيد سياسته؟ ولا يراها شرعية؟ مع أنه عليه السلام كان «كاظم الغيظ» فلم يكن حتى ليحاربه بالكلمة العلنية، ومع ذلك لم يتحمله هارون وألقى به في غياهب السجن!

أي رشد في هذا الموقف؟ «دخل العباس بن محمد بن عبد الله بن علي بن الحسين، على هارون فكلمه كلامًا طويلًا، فقال هارون: يا ابن الفاعلة. قال: تلك أمك التي تواردها النخاسون. فأمر به فأدني فضربه بالجرز (عمود من حديد) **حتى قتله**»[1]. وكأنه كان ينبغي على العباس هذا أن يسمع من هارون نعت أمه بالزنا وأن يسكت! أما إذا رد عليه كلامه فإن جزاءه القتل! هذا هو الرشد في قاموس هارون!.

وكنت قد أشرت إلى بعض جهات السفه وما أكثرها في شخصية هارون العباسي في كتاب: نساء حول أهل البيت ونضيف إليها ما ذكره السيوطي في تاريخ الخلفاء «لما أفضت الخلافة إلى الرشيد وقعت في نفسه جارية من جواري المهدي، فراودها عن نفسها، فقالت: لا أصلح لك، إن أباك قد طاف (دخل) بي،

(1) الأصبهاني، أبو الفرج: مقاتل الطالبيين 413.

فشغف بها، فأرسل إلى أبي يوسف، فسأله: أعندك في هذا شيء؟ فقال: يا أمير المؤمنين، أو كلما ادعت أمة شيئًا ينبغي أن تصدق، لا تصدقها فإنها ليست بمأمونة، قال ابن المبارك: فلم أدر ممن أعجب: من هذا الذي قد وضع يده في دماء المسلمين وأموالهم لا يتحرج عن حرمة أبيه، أو من هذه الأمة التي رغبت بنفسها عن أمير المؤمنين، أو من هذا فقيه الأرض وقاضيها، قال: اهتك حرمة أبيك، واقض شهوتك، وصيره في رقبتي».[1]

«وتعلق هواه بجارية فأمر وزيره يحيى أن يدفع ثمنها وكان مائة ألف دينار، فاستكثر يحيى المال واعتذر عن دفعه فغضب الرشيد! فأراد يحيى أن يبين له مقدار ما يتحمله بيت المال من هذا الإسراف الذي لا مصلحة فيه ولا منفعة، فجعل المال دراهم، فبلغت مليونًا فوضعها في الرواق الذي يمر به الرشيد إذا اراد الوضوء، فلما رأى ذلك استكثره وأدرك إسرافه. وجبي مال عظيم من بقايا خراج الموصل فأمر بصرفه أجمع إلى بعض جواريه فاستعظم الناس ذلك وتحدثوا به، وأصاب أبو العتاهية من ذلك شبه الجنون فقال له خالد بن الأزهر: ما بك يا أبا العتاهية؟ فقال: سبحان الله أيدفع هذا المال الجليل إلى امرأة؟

(1) السيوطي، جلال الدين: تاريخ الخلفاء 215.

وإذا كان المؤرخون المعاصرون للخلفاء يدافعون عنهم طمعًا في دنياهم وأموالهم، فلا أعلم لماذا يدافع مثل ابن خلدون عن هارون قائلًا بأنه: «لم يكن الرجل بحيث يوقع محرمًا من أكبر الكبائر عند أهل الملة ولقد كان أولئك القوم كلهم بمنجاة من ارتكاب السرف والترف في ملابسهم وزينتهم وسائر متناولاتهم لما كانوا عليه من خشونة البداوة وسذاجة الدين التي لم يفارقوها»![1]

ولا أعلم هل كان أولئك الحاكمون على السذاجة، أو المؤرخون الذين كتبوا عنهم كابن خلدون زاعمين أنه لم يكن على تلك الحال بل كان يغزو عامًا ويحج عامًا!!..نعم لو كانت غزواته كالتي ذكرت أعلاه، فلم تكن كل عام بل ربما كل يوم»[2]..

هل يرى المسلمون فيما سبق وهو غيض من فيض ما ينطبق على مواصفات الحاكم المسلم الرشيد؟.

2/ بدأت المعاناة الحقيقية للإمام في عهد هارون العباسي في حوالي سنة 179 عندما أمر بأخذه من مدينة جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيث مسكنه، واشخاصه معتقلًا إلى البصرة

(1) ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون 1/ 25

(2) آل سيف؛ فوزي: نساء حول أهل البيت 2

أولًا ثم إلى بغداد حيث سيبقى في سجونها المتعددة وآخرها كان سجن السندي بن شاهك، حيث تمَّ تسميمه فيه. وسيأتي في فصل خاص ما نعتقد في موضوع سجن الإمام عليه السلام من حيث المدة والترتيب الزمني.

ونعتقد أن هارون الذي كان متشبعًا بمنطق الدولة والذي لا يعترف إلا بأمنها الحقيقي أو الوهمي فيعتقل ويقتل ويعمل ما يشاء من أجل بقائه على السلطة وبقاء الدولة تحت يده، وهذا ما نراه بملاحظة خاطفة لأكثر الحاكمين حتى في هذه الازمنة، لم يكن جاهلًا بفضل الإمام عليه السلام وعلمه، ولا بقرابته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، بل ولا يعتقد بأنه يشكل خطرًا جديًا عليه بمعنى أنه سيفجر حركة ثورية عسكرية في وجهه.. كل هذا لم يكن. ومع ذلك فإن منطق (هيهات لا بدَّ من ذلك) [1] وهو نفس منطق (لو نازعتني لأخذت الذي فيه عيناك) كان هو الحاكم على التوجهات والسياسات.

3/ إن للحاكمين غالبًا ومنهم هارون، شخصيتين ووجهين؛ منه

(1) الصدوق، محمد بن علي: عيون أخبار الرضا عليه السلام 1/ 89.. هارون كان يرى أبا الحسن عليه السلام ساجدًا فقال للربيع: يا ربيع ما ذاك الثوب الذي أراه كل يوم في ذلك الموضع؟! فقال: يا أمير المؤمنين ما ذاك بثوب وإنما هو موسى بن جعفر عليه السلام له كل يوم سجدة بعد طلوع الشمس إلى وقت الزوال قال الربيع: فقال لي هارون: أما إن هذا من رهبان بني هاشم قلت: فمالك قد ضيقت عليه الحبس قال: هيهات لا بدَّ من ذلك!

ما يواجهون به العامة وهو ما ينبغي أن يظهر لهم مما يبقي شخصياتهم ضمن الدائرة الإسلامية، التي تمكنهم من البقاء على منصب الخلافة، ويأتي هنا الصلاة الظاهرية والصوم والحج والعمرة والخطابة ووعظ الناس لو احتاج الأمر إلى ذلك.. والوجه الآخر هو الوجه الحقيقي الطبيعي وهو ما يمارس به حياته الاعتيادية، من خضوع للشهوات وعدم التزام بالأوامر الإلهية، ومن التنكيل بالأعداء الحقيقيين والمفترضين من دون أن يردعه عن ذلك رادع أخلاقي ولا ديني، وفي هذه الثنائية نعتقد أنه يكمن الخلط والخطأ! فبعض أصحاب المصالح والراغبين في الدنيا يتعمدون إظهار الجانب الأول فيزكونه أعلى تزكية وهو لا يستحقها، ويمرون على الجانب الثاني منكرين له أو مهملين إياه وصادفين عنه، بل ربما برروا له كل ذلك! وقد مرَّ علينا قريبًا ذكر كلمات ابن خلدون في حق هارون وغيره[1].

وفي خصوص هارون العباسي، بينما تراه قد قدم العمرة كما

(1) كتبت كتب عن (هارون الرشيد الخليفة المظلوم) للشيخ أحمد القطان والباحث محمد طاهر زين، وقال الدكتور شوقي أبو خليل في كتابه (هارون الرشيد: أمير الخلفاء وأجل ملوك الدنيا)، «إن الرشيد يحب العلم وأهله ويعظم حرمات الإسلام، وكان يبكي إلى نفسه، وكان يحج عامًا ويغزو عامًا، وكان يصلي في كل يوم مائة ركعة إلى أن فارق الحياة، إلا أن تعرض له علة، وإذا حج، حج معه مائة من الفقهاء وأبناؤهم، وإذا لم يحج بسبب جهاد أو غزوة أحج كل سنة ثلاث مائة رجل بالنفقة السابغة والكسوة الظاهرة»!.

قالوا في شهر رمضان، وعطف بعدها على زيارة قبر النبي ﷺ، تراه يعتقل كبير أبناء النبي والمبرز من ذريته! ونقل عنه أنه كان يعتذر للنبي في ذلك! كما نقل عنه بعضهم أنه سمع الرشيد يقول عند قبر رسول الله ﷺ كالمخاطب له: بأبي أنت وأمي يا رسول الله إني اعتذر إليك من أمر قد عزمت عليه فإني أريد أن آخذ موسى بن جعفر فاحبسه لأني قد خشيت أن يلقى بين أمتك حربًا تسفك فيها دماؤهم[1]!!.

وبينما تراه يقوم بهذه الأعمال فإنه لا مانع لديه أن يطوف بجارية أبيه التي جامعها أبوه، فأصبحت تحرم عليه بمقتضى الآية الكريمة[2] التي لا مجال للاجتهاد فيها وقد سبق نقل كلام السيوطي متعجبًا من ذلك! ولو فهم السيوطي أو ابن خلدون المعادلة الموجودة في حياة هذا أو سواه من الحاكمين لما تعجب الأول واستنكر الثاني نسبة الانحراف له!.

(1) الشيخ الصدوق: عيون أخبار الرضا عليه السلام 2/ 73.

(2) ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا﴾[النساء: 22].

أدوار اعتقال الإمام موسى الكاظم وسجنه

مما جاء في الصلاة على الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام: «اللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّد وَاَهْلِ بَيْتِهِ، وَصَلِّ عَلى مُوسَى بْنِ جَعْفَر وَصِيِّ الاَبْرارِ، وَإمام الاَخْيارِ، وَعَيْبَةِ الاَنْوارِ، وَوارِثِ السَّكِينَةِ وَالْوَقارِ وَالْحِكَمِ وَالاثارِ الَّذي كانَ يُحْيِي اللَّيْلَ بِالسَّهَرِ اِلَى السَّحَرِ بِمُواصَلَةِ الاَسْتِغْفارِ، حَليفِ السَّجْدَةِ الطَّويلَةِ، وَالْمُعَذَّبِ في قَعْرِ السُّجُونِ، وَظُلَمِ الْمَطامِيرِ ذِي السّاقِ الْمَرْضُوضِ بِحَلَقِ الْقُيُودِ، وَالْجِنازَةِ الْمُنادى عَلَيْها بِذُلِّ الاِسْتِخْفافِ، وَالْوارِدِ عَلى جَدِّهِ الْمُصْطَفى وَاَبيهِ الْمُرْتَضى وَاُمِّهِ سَيِّدَةِ النِّساءِ بِإرْث مَغْصُوب وَوَلاء مَسْلُوب وَاَمْر مَغْلُوب وَدَم مَطْلُوب وَسَمٍّ مَشْرُوب»[1].

يقول بعض الباحثين من مدرسة الخلفاء متسائلين:

(1) الحسني، السيد علي بن طاووس: مصباح الزائر، 382.

لماذا لا يتفاعل الشيعة مع الإنجازات التي تحققت في تاريخ المسلمين؟.

لماذا نجدهم بعيدين عن تأييد الفتوحات الإسلامية كتلك التي حدثت في زمان الأمويين؟.

لماذا تراهم لا يتفاعلون مع الإنجازات التي تحققت في العصر العباسي على يد العباسيين ولا سيما في بعض عصورهم الذهبية كعصر هارون الرشيد؟.

إن الشيعة غرباء عن هذا التاريخ المجيد فلا يجدون أنفسهم جزءًا منه، ولا يؤيدونه وإنما يعيشون جانب المصائب والآلام التي يقولون إنها حصلت لأئمتهم.. فلماذا يكون ذلك؟.

وفي الجواب على هذا السؤال: نقول

إن النظر إلى التاريخ عزيزي القارئ والقارئة يكون على أحد نحوين:

الأول: النظر السلبي إلى التاريخ حيث تتم قراءة الأحداث والإيمان بها وتصديقها من دون تحليل لها أو نقد لأصلها أو تفاصيلها، وكأن هذا النحو هو الذي يعنيه القرآن الكريم عندما يصف أناسًا يمرون على آيات السماوات والأرض ولكنهم

يعرضون عن عظاتها والتأمل فيها ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾[1]، وكذلك حين يمر هؤلاء الناس ويقرأون التاريخ وأحداثه فهم لا يتوقفون لتحليل أحداثه ونقدها ودراستها، وهذا ليس طريق شيعة أهل البيت عليهم السلام.

الثاني: النظر الإيجابي إلى التاريخ: وهو يعتمد على أن هذا المكتوب في التاريخ ليس وحيًا منزلا، ولا آية محكمة، وإنما هو في الغالب ما سطره كتّاب تلك الفترات بأمر مباشر أو غير مباشر من السلطات الحاكمة، الأمر الذي لا نزال نجده إلى يومنا هذا في كتاب كل فترة تاريخية، فإنهم يكتبون ما يوافق حاكميها وإن كان كذبًا ويتجنبون ما يخالفهم وإن كان حقا! بل قد تجد أحيانًا أن كاتبًا في الصحافة أو التاريخ يكتب شيئًا لأن سياسة الحاكم تقتضيه، فتتغير سياسة الحاكم بعد مدة فيكتب ضد ما (أو من) كان يؤيده.. لا لشيء إلا لأن الحاكم في الحالة الأولى كان راضيًا عنه وفي التالية كان ساخطا عليه! هذا في كتابة الشخص الواحد فضلًا عن كتابة الأشخاص المتعددين وفي المناطق المختلفة، والخاضعين لإرادات متعددة!.

ولهذا يرى شيعة أهل البيت أنه ينبغي أن ينظر للتاريخ بعين

(1) يوسف: 105.

النقد والتحليل والتفكير، ولذلك فإنهم منحازون في التاريخ لأهل العدل، وضد الظلم، لا أنهم فقط يؤمنون بالعدل الإلهي في القضايا الاعتقادية، فحينما ينظرون للفساد لا يمكن أن يصفقوا لهُ، وحينما ينظرون للصلاح وأهل الصلاح فهم لا يملكون إلا تأييده!.

إنهم حين ينظرون مثلًا إلى ما عرف بالفتوحات الإسلامية لا يمكن أن يعطوها بطاقة خضراء دائمة! ولا ينظرون فقط إلى النتائج الحاصلة؛ وإنما إلى مقدار قربها وبعدها من العدل والدين، وإلى دوافع القادة الفاتحين، وهل كان المهم فتح الأرض بالقوة أو المهم هو فتح القلوب بالمعرفة؟

هل جاء الإسلام للتوسع واحتلال الأراضي أو لفتح قلوب الناس وهدايتهم؟

نعتقد كما يرى كثير من المحققين أن فتح قلوب الناس بالمعرفة والأخلاق حتى يتقبلوا دين الإسلام أعظم أثرًا من فتح الأراضي، نعم تلك الفتوحات جلبت مزيدًا من الأموال للحاكمين وأعدادًا كبيرة من الجواري للمتع الجنسية من نصيب القادة العسكريين، ويؤكدون أن الفتح العلمي والأخلاقي بنشر الدين وأفكاره وإن كان قليلًا من ناحية الأرض، لكنه أهم وأفضل من فتح الأراضي، ويستشهدون لذلك بأن فتح الأراضي كإسبانيا

(الاندلس) لم يبق فيها وبمجرد زوال الحكم والسلطة رجعت تلك البلاد لديانتها السابقة فيما كان الوضع في أندونيسيا وهي أكبر تجمع سكاني مسلم في العالم اليوم مختلفًا فلم تفتح بالجيوش وإنما بالأخلاق والعلم!

كما يرون أن الخليفة الذي يسجن على التهمة ويقتل على الظنة مهما تمادى في بناء العمران ومهما شاد من الطوب وحفر الأنهار وتوسعة الدولة فإن هذا لا يشفع لهُ إذا كان يسجن الناس بلا مبرر شرعي ويتعسف في حقوقهم، وعصره لا يمكن أن يكون عصرًا ذهبيًا.

شيعة أهل البيت عندما ينظرون إلى تاريخ المعصومين عليهم السلام يرونهم صفوة الله وإن لم يفتحوا أرضًا أو يسيروا جيوشًا، لكنهم فتحوا للشريعة آفاقًا وعلومًا ومعارف وهذا هو الفتح الحقيقي.

هم لا ينظرون باحترام للمنصور العباسي وإن سمّاه بعض المؤرخين بالحاكم الحازم والجاد، وإنما يحلّلون دوافعه في حركاته، ويلاحظون تجاوزاته من غدره بأقرب المقرّبين إليه كما مرَّ ويرون أن دوافعه كانت تختصرها عجة المخ مع السكر!![1]

(1) عندما يقول بعدما قضى على ثورة إبراهيم بن عبد الله بن الحسن ومحمد بن عبد الله بن الحسن وقد بايعهم قبل ذلك وعندهم البيعة ملزمة لهم فخاس ببيعته ونكث عهدهم معهم فطاردهم حتى قضى عليهم، قُدّم إليه عجة فيها مخ مع سكر ـ نوع من الأكلات اللذيذة ـ فقال لمن حضر أراد إبراهيم ومحمد أن يحرماني من هذا الطعام ـ يعني أنا كل همي وهذا القتل الذي قاتلت فيه وذبحت من ذبحت وجردت الجيوش لأجل هذه الأكلة.

ويرون أن الشخص الذي يرى الحجاج الثقفي مثلًا أعلى،[1] هو شخص غير جدير بالاحترام والتقدير!

يتساءل شيعة أهل البيت: هل من اللازم أن يقدَّر شخص يخاطب السحابة إن صح ذلك عنه (أمطري حيث تمطرين فأين ما أمطرت يأت خراجك إلي) وبعد أن يعمل في الأرض زارعوها يستصفي منهم عمال الخليفة خير جهدهم، لكي ينتقل بواسطة جهود كثيرة ليراق على أقدام الجواري والمغنيات؟ أو يعطى لشاعر متهتك؟

إنهم يرون أن موسى بن جعفر صلوات الله وسلامه عليه، وهو الإمام عندهم، والعالم عند غيرهم أهم وأعظم من ذلك الحاكم الذي سجنهُ وآذاهُ واستجلبه من بلده ليسجنه ويحتجزه عن أهله وشيعته فيُؤيدون هذا ويعارضون ذاك!

تسلسل معاناة الإمام الكاظم عليه السلام في سجون بني العباس:

كما تقدم في صفحات سابقة فإن عمر الإمام الكاظم عليه السلام كان خمسًا وخمسين سنة، إذ أن ولادته كانت سنة 128 هجرية،

(1) قال: الملوك اربعة: معاوية وكفاه زيادُه، وعبد الملك وكفاه حجّاجه، وهشام وكفاه مواليه، وأنا ولا كافي لي.. هذا الرجل الذي يعتبر الحجاج مثله الأعلى، حيث جلس ذات يوم مع جماعته وأصحابه فبدأ يمدح الحجاج بإعظام وثناء وقال: ما رأيت أنصح منهُ لبني مروان، فقام أحد أنصار المنصور وهو شبيه الحجاج في موقفه، فقال لهُ: وما الذي يقصر بنا عنه؟ إن أعظم من خلق الله سبحانه وتعالى هو نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقد أمرتنا أن نقتل أبناءهُ فأطعناك وقتلناهم.

واستشهد سنة 183 هـ، وقد تولى الإمامة وعمره عشرون سنة وذلك عند شهادة أبيه جعفر الصادق عليه سنة 148 هـ. كما هو المشهور، وقد عاصر فيها أربعة حاكمين بعد السفاح، كان أولهم المنصور العباسي ثم ابنه المهدي ثم الهادي بن المهدي وأخيرًا استشهد عليه السلام في زمان هارون المعروف بالرشيد، ونحن عندما نذكر هذه الألقاب لا نذكرها كحقائق فإنها إلى عكسها أقرب ولكن تذكر لأجل التعريف.

ومن خلال التتبع يمكن القول إن الإمام عليه السلام قد سُجن خمس مرات في خلافة بني العباس واحدة منها في عصر المهدي العباسي وأربع منها في عصر هارون الرشيد مع فرض الإقامة الجبرية في الفترات المتخللة، نشير إليها كالتالي:

1/ سجن الإمام عليه السلام في عصر المهدي العباسي:

أدخل الإمام عليه السلام سجنه الأول زمان المهدي العباسي (حكم ما بين 159 إلى 169 هـ)، وكان هذا الحاكم غريب الأطوار لأنه من جهة كان معروفًا لدى خاصته بالتهتك واللهو والشراب[1] وما

(1) الصغير، د. محمد حسين: الإمام موسى بن جعفر ضحية الارهاب السياسي/ 162 وكان المهدي مولعًا بشرب الخمر، ومعروفًا به، حتى أثار ذلك وزيره يعقوب بن داود فنهاه عن ذلك فلم ينته، وقال له: «أبعد الصلاة في المسجد تفعل هذا»؟ فما استمع له، وشجعه على الخمرة بعض شعرائه، فقال: =

شابه ويكفي أن اثنين من أولاده؛ عُليّة وإبراهيم، كانا في خط اللهو فتلك ضرّابة عود وهذا مغنٍّ وإليهما يشير أبو فراس الحمداني في قصيدته المعروفة:

منكم عُلية أم منهم وكان لكم
شيخ المغنيين إبراهيم أم لهم.

بل قالوا: إن المهدي هو أول من أظهر اللهو والغناء من العباسيين في مجلس الخلافة، والطريف أن والده أبا جعفر المنصور سماه محمدًا ولقبه بالمهدي حتى يقال هذا هو المهدي الموعود الذي أخبر عنه رسول الله ﷺ؟!.

يقابل هذا الجانب من التهتك واللعب، جانب آخر من التشدد العنيف فيما سمي بالحرب على الزنادقة[1]، حتى لقد أسس شرطة خاصة بذلك وعُيِّن عليهم عسكريًّا بعنوان صاحب الزنادقة! وكان هذا العنوان واسعًا حتى صار أي شخص في عهده

= فدع عنك يعقوب بن داود جانبًا وأقبل على صهباء طيبة النشر
وكان المهدي أول من فتح باب الخلاعة والمجون في بني العباس، وأول من استجاب لشهواته ونزواته علنًا.

(1) ويقول الذهبي في سير أعلام النبلاء دار الحديث- القاهرة 7/ 79 في شأنه: «وكانَ مُسْتَهْتِرًا بِمَوْلاَتِه الخَيْزُرانِ، وكانَ غارِقًا كَنَحْوِهِ مِنَ المُلُوكِ فِي بَحْرِ اللَّذّاتِ، واللَّهْوِ والصَّيْدِ، ولَكِنَّهُ خائِفٌ مِنَ اللهِ، مُعادٍ لأُولِي الضَّلاَلَةِ، حَنِقَ عَلَيْهِم».

يناظر أو يتكلم في الاعتقادات من الممكن أن يتهم بأن عنده زندقة! فيؤخذ ويذبح بل يكفي أحيانًا أن امرأة تخبر عنه بما لم تفهمه فيكون في معرض القتل!![1].

فهذا الخليفة عيّن شخصًا اسمه صاحب الزنادقة عمله فقط يذبح هؤلاء وفي هذه الفترة أمر الإمام الكاظم عليه السلام أتباعه وأصحابه أن لا يخوضوا في كلام الإمامة ومناظراتها[2]، فنهى الإمام الكاظم عليه السلام كل أصحابه أن لا يتحدثوا في تلك الفترة بأفكار الإمامة لا فيما يرتبط بقضايا صفات الله عز وجل ولا

(1) ابن العديم؛ عمر بن أحمد: بغية الطلب في تاريخ حلب 4/ 1760 نقل عن محمد بن أبي العتاهية: كانت لأبي جارة تشرف على سطحه، فرأته ليلة يقنت، فروت عنه أنه يكلم القمر!!، واتصل الخبر بحمدويه صاحب الزنادقة، فصار إلى منزلها وبات وأشرف على أبي العتاهية فرآه يصلي، فلم يزل يرقبه حتى قنت وصار إلى مضجعه، فانصرف حمدويه خاسئًا!! (يعني رأى أن لم يظفر به).

(2) الطوسي، الشيخ محمد بن الحسن: اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) 2/ 126 فقد ورد عن يونس (بن عبد الرحمن)، قال: قلت لهشام (ابن الحكم) إنهم يزعمون أن أبا الحسن عليه السلام بعث إليك عبد الرحمن بن الحجاج يأمرك أن تسكت ولا تتكلم، فأبيت أن تقبل رسالته، فأخبرني كيف كان سبب هذا؟ وهل أرسل إليك ينهاك عن الكلام أولا؟ وهل تكلمت بعد نهيه إياك؟ فقال هشام: إنه لما كان أيام المهدي شدد على أصحاب الأهواء».. هذا مع أنه هشام بن الحكم المعروف بقوته في المناظرة والاحتجاج وكان ذلك في زمان المهدي العباسي كما هو في الخبر.
وما ورد مما يشير إلى أنه كان قد رضي لبعض أصحابه بالمناظرة وأمرهم بها مثل محمد بن حكيم الخثعمي، فيحمل على ما قبل هذه الفترة، وإلى أن ذلك كان في المدينة ولم يكن الأمر فيها كما كان في بغداد، ففي رجال الكشي 2/ 330 عن يونس بن عبد الرحمن عن حماد، قال: كان أبو الحسن عليه السلام يأمر محمد بن حكيم أن يجالس أهل المدينة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وأن يكلمهم ويخاصمهم، حتى كلمهم في صاحب القبر، فكان إذا انصرف اليه، قال عليه السلام له: ما قلت لهم؟ وما قالوا لك؟ ويرضى بذلك منه.

بقضايا الجبر والاختيار ولا بأمور القضاء والقدر، فضلاً عن مسائل الإمامة!.

ونحن لا ننكر وجود أفكار إلحادية في المجتمع المسلم لها اسباب كثيرة، منها الامتزاج الثقافي غير المخطط مع إبعاد العلماء العارفين وفي طليعتهم الأئمة والتضييق عليهم، والتناقض الصارخ بين ادعاءات الخلفاء (الخلعاء) وبين ممارساتهم! وغير ذلك من الأسباب.

صورة أخرى من التذبذب في شخصيته بالقياس إلى بني العباس فبينما كان أبوه المنصور يصنع الممكن والمستحيل لمعاكسة ما يرتبط بأهل البيت عليهم السلام، بل رفض أن يروى عن جده عبد الله بن عباس إذا كان ذلك يرتبط بمنهج أهل البيت في العقائد والأحكام ولهذا يقال إنه نهى مالكا بن أنس[1] أن ينقل في الموطأ عن علي عليه السلام حتى لو كان الواسطة في ذلك عبد الله بن عباس.. إلا أنه في قضية هي من مختصات فقه أهل البيت وهي الجهر بالبسملة نراه يجهر فيها[2]، خلافًا للرأي الشائع عند باقي

(1) اسد حيدر، الإمام الصادق والمذاهب الأربعة1/ 578.

(2) تاريخ الخلفاء 1/ 207 ـ السيوطي يحيى بن حمزة قال: صلى بنا المهديّ المغرب فجهر ببسم الله الرحمن الرحيم، فقلت: يا أمير المؤمنين ما هذا؟ قال: حدثني أبي عن أبيه عن ابن إسحاق: أن النبي صلى الله عليه وآله جهر ببسم الله الرحمن الرحيم، فقلت للمهدي: نأثره عنك؟ قال: نعم.

الفقهاء! (وربما فهم من ذلك بعض الباحثين أن هذا وغيره يدل على تخفيفه القبضة عن أهل البيت، ولكني أعتقد أنه كان مذبذب الطريقة) فهو هنا يصنع هكذا ولكنه في مكان آخر يجيز الشاعر مروان بن أبي حفصة الذي تصدى لهجاء أهل البيت ونظم الشعر في إبطال أفكارهم وعقائدهم! بسبعين ألف درهم تشجيعًا له ولغيره على انتقاص أهل البيت عليهم السلام. فقد دخل هذا على المهدي ذات يوم وأنشده قائلا:

يا ابن الذي ورث النبي محمدًا
دون الأقارب من ذوي الأرحام
الوحي بين بني البنات وبينكم
قطع الخصام فلات حين خصام
ما للنساء مع الرجال فريضة
نزلت بذلك سورة الأنعام
أنّى يكون وليس ذاك بكائن
لبني البنات وراثة الأعمام

وتراه في نفس الاتجاه يعتقل الإمام الكاظم ويسجنه، وقد رأى بعضهم أنه استمر ذلك السجن مدة سنة من الزمان. ولا نملك معلومات تؤكد ذلك فإن ما هو موجود في روايات الإمامية

هو ما سبق أن نقلناه[1] عن أبي خالد الزبالي، وليس فيه تحديد للمدة إلا إذا تمَّ استفادة ذلك من قوله، إذا كان في سنة كذا وشهر كذا. باعتبار أنه إذا كان في نفس السنة فلا حاجة إلى تعيينها فهي متعينة، فلا بدَّ أن تكون سنة أخرى! وهكذا قوله: فما كانت لي همة إلا إحصاء الشهور والأيام، ولكن هذا ليس دليلًا تامًّا وإنما قرينة على ما ذكر! وقد ذكر في موقع الكتروني تابع للمجمع العالمي لأهل البيت[2] عليهم السلام أنه تمَّ إشخاص الإمام إلى المهدي العباسي مرتين (في سنة 169 و170 هـ) ولم يذكر فيه مصدر معتمد في ذلك! مع أنه لو كان لا يدل على أن ذلك استغرق سنة كاملة. بينما اكتفى آخرون بالقول إنه بقي في سجنه فترة قصيرة!.

(1) قدم أبو الحسن موسى عليه السلام زبالة ومعه جماعة من أصحاب المهدي بعثهم المهدي في إشخاصه إليه، وأمرني بشراء حوائج له، ونظر إليّ وأنا مغموم فقال: يا أبا خالد مالي أراك مغمومًا؟ قلت: جعلت فداك هو ذا تصير إلى هذا الطاغية ولا آمنه عليك! فقال: «يا أبا خالد، ليس عليّ منه بأس، إذا كانت سنة كذا وكذا وشهر كذا وكذا فانتظرني في أول الميل، فإني أوافيك إن شاء الله».
قال: فما كانت لي همة إلا إحصاء الشهور والأيام، فغدوت إلى أول الميل في اليوم الذي وعدني، فلم أزل انتظره إلى أن كادت الشمس أن تغيب فلم أرَ أحدًا، فشككت فوقع في قلبي أمرٌ عظيم، فنظرت قرب الميل فإذا سواد قد رفع، قال: فانتظرته فوافاني أبو الحسن عليه السلام أمام القطار على بغلة له، فقال: «إيه يا أبا خالد «قلت: لبيك جعلت فداك قال: لا تشكن، ودَّ والله الشيطان أنك شككت!.
قلت: قد كان والله ذلك جعلت فداك! قال: فسررت بتخليصه وقلت: الحمد الله الذي خلصك من الطاغية.
فقال: «يا أبا خالد، إن لهم إليّ عودة لا أتخلص منهم..»

(2) https://ar.wikishia.net . في التعريف بالإمام موسى الكاظم عليه السلام.

2 / سجن الإمام عليه السلام، للمرة الأولى في عصر هارون الرشيد:

قد ذكرنا الظروف التي جاء فيها هارون العباسي للسلطة وكان عمره 22 سنة، وقد سبق الحديث عنها وكان الإمام عليه السلام في المدينة المنورة، وفي سنة 179 هـ. نأي بعد نحو تسع سنوات من حكم هارون، وقد جاء فيما قيل في شهر رمضان للعمرة[1] وبعدها قصد المدينة وزار قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فخاطبه قائلاً:

«يا رسول الله، إنّي أعتذر إليك من شيء أريد أن أفعله، أريد أن أحبس موسى بن جعفر، فإنه يريد التشتيت بين أمتك وسفك دمائها!.

ثم أمر به فأخذ من المسجد فأدخل إليه فقيّده، واستدعى قبتين فجعله في إحداهما على بغل، وجعل القبة الأخرى على بغل آخر، وخرج البغلان من داره وعليهما القبتان مستورتان، ومع كل واحدة منهما خيل، فافترقت الخيل فمضى بعضها مع إحدى القبتين على طريق البصرة، والأخرى على طريق الكوفة، وكان أبو الحسن عليه السلام في القبة التي مضي بها على طريق البصرة. وإنما فعل ذلك الرشيد ليعمي على الناس الأمر في شأن أبي الحسن عليه السلام. وأمر القوم الذين كانوا مع قبة أبي الحسن أن يسلموه إلى عيسى

(1) يركز فقه مدرسة الخلفاء على عمرة شهر رمضان باعتبارها أنها أفضل العمرات.

بن جعفر بن المنصور ـ وكان على البصرة حينئذ[1] ـ فسلم إليه فحبسه عنده[2] سنة، وكتب إليه الرشيد في دمه، فاستدعى عيسى بن جعفر بعض خاصته وثقاته فاستشارهم فيما كتب به الرشيد، فأشاروا عليه.. بالتوقف عن ذلك والاستعفاء منه، فكتب عيسى بن جعفر إلى الرشيد يقول له: قد طال أمر موسى بن جعفر ومقامه في حبسي، وقد اختبرت حاله ووضعت عليه العيون طول هذه المدة، فما وجدته يفتر عن العبادة، ووضعت من يسمع منه ما يقول في دعائه فما دعا عليك ولا عليَّ ولا ذكرنا في دعائه بسوء، وما يدعو لنفسه إلا بالمغفرة والرحمة، فإن أنت أنفذت إليّ من يتسلمه مني وإلا خليت سبيله فإنني متحرج من حبسه.

(1) الناظر إلى خريطة الولاة على المناطق والوظائف يصاب بالتحير والدهشة لكثرة التغييرات التي تحصل حتى أن بعض الولايات والولاة لا يستمر لأشهر حتى يعزل ويأتي مكانه آخر وهذا الثاني لا يلبث سوى فترة قصيرة حتى يرجع الأول أو غيره لنفس تلك الوظيفة، وهذا الذي يجعل المؤرخين لتلك الفترات يختلفون فبين من يقول إنه سلمه لعيسى بن جعفر المنصور ابن عمه، وبين من يقول إنه سلم إلى جعفر بن سليمان بن علي أو إلى ولده سليمان بن جعفر.. وكل ذلك كان يتم على أساس التخوف من الاستقواء بالمنصب والتطلع للمعارضة، أو ترغيب البعض في ولاء أكثر للسلطان.. وهكذا. ولك إن أردت معرفة اللعب بالمناصب تلك أن تنظر إلى كتاب تاريخ خليفة بن خياط 378!.

(2) القرشي، الشيخ باقر شريف: حياة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام 2/ 469.. وانما حبسه هارون في بيوت وزرائه، ولم يعتقله في السجون العامة (كالمطبق) وغيره، نظرًا لخطورة الإمام عليه السلام وسمو مكانته، وعظم شخصيته فإن الشخصيات النابهة كانت لا تعتقل في السجون العامة، فقد سجن عبد الملك ابن صالح لما غضب عليه الرشيد عند الفضل بن الربيع وكذلك سجن إبراهيم بن المهدي عند أحمد بن أبي خالد ولذلك سجن الإمام في بيوت الوزراء وكبار رجال الدولة.

وروي: أن بعض عيون عيسى بن جعفر رفع إليه أنه يسمعه كثيرًا يقول في دعائه وهو محبوس عنده: «اللهم إنك تعلم أني كنت أسألك أن تفرّغني لعبادتك، اللهم وقد فعلت فلك الحمد»[1].

ومن خلال بعض القرائن يظهر أن عيسى بن جعفر المنصور، كان متعقلًا لا سيما وقد رأى الإمام على الطبيعة، ولا ريب أن من يعاين المعصومين عليهم السلام ويرى انقطاعهم إلى الله وأخلاقهم وزهدهم لا يملك إلا أن يخضع[2] لهم ويعجب بهم، فإن الفطرة السليمة لا تملك إلا أن تستحسن الحسن وتتعاطف مع المظلوم وقد اجتمعا في الإمام عليه السلام. ولا ريب أنه وهو يراقب الإمام خلال سنة كاملة قد ملئ إعجابًا به، بل تشير بعض الأخبار إلى أنه سمح للعلماء ولشيعته في البصرة أن يجتمعوا إليه ويسألوه عما أشكل عليهم من أمور دينهم!.

ونحتمل أن هارون استشعر وكان لا يثق كثيرًا بعماله وولاته بل كان يضع عليهم الرصد والجواسيس بأن عيسى يخفف على

(1) المفيد، الشيخ محمد بن النعمان: الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد 2/ 240.

(2) وهذا ما نراه في كثير من القصص التي يتبين لأصحابها فضل الإمام خلافًا لما كانوا يسمعون عنه فيخضعون قائلين: الله أعلم حيث يجعل رسالته.. وإليه أشارت الزيارة في حقهم: «طأطأ كل شريف لشرفكم».

موسى بن جعفر ﷺ، بل يعجب بشخصيته، فكان أن أرسل هارون إليه يأمره بقتله فاستعفى من تنفيذ الأمر ورد عليه بأنه إن لم يبعث أحدًا يستلمه منه فسوف يطلق سراح الإمام ﷺ! ومن هنا بدأت مرحلة السجن الثاني للإمام موسى في بغداد.

3/ سجن الإمام ﷺ للمرة الثانية في عصر هارون:

بعد إخراجه من سجن عيسى بن المنصور، وإشخاصه من البصرة إلى بغداد العاصمة، تمَّ تسليم الإمام ﷺ إلى الفضل بن الربيع (الوزير العربي لهارون) [1] ليسجن في بيت عنده[2].

---

(1) يشير باحثون إلى صراع السلطة بين تيارين في الخلافة العباسية أيام هارون؛ بين تيار عربي على رأسه الربيع وأبناؤه والآخر فارسي على رأسه يحيى البرمكي وأبناؤه، وكان بينهما صراع انتهى إلى نكبة البرامكة لأسباب منها تحريض الفضل بن الربيع كما قيل ومن معه.

(2) الربيع بن يونس توفي في أول سنة سبعين ومائة. وقال الطبري: مات الربيع في سنة تسع وستين ومائة. وقيل إن الهادي سمه، وقيل مرض ثمانية أيام ومات، وقد ذكر ابن الطقطقي في الفخري في الآداب السلطانية 67 قصة سمه وسببها.. كان الربيع حاجب أبي جعفر المنصور، ثم أصبح وزيره، وكان المنصور كثير الاعتماد عليه؛ وقال بعضهم «كان المنصور إذا أراد بإنسان خيرًا أمر بتسليمه إلى الربيع، وإذا أراد به شرًا سلمه للمسيب بن زهير الضبي.

يظهر من بعض الروايات والنصوص التاريخية وجود ميل لديه تجاه أهل البيت ﷺ وإن كان هذا كما أعتقد لا يرقى إلى أن يجعله جزءًا من أوليائهم، وإنما يبقى في دائرة الاعجاب، وقد يكون بعض ما نقل عنه راجعًا إلى المرحلة السابقة لوزارته لدى العباسيين فقد نقل الحر العاملي في إثبات الهداة 4/ 208 عن الفضل بن الربيع عن أبيه الربيع بن يونس صاحب المنصور، وكان قبل الدولة كالمنقطع إلى جعفر بن محمد ﷺ في حديث له عن جعفر بن محمّد ﷺ عن النبي ﷺ عن جبرئيل ﷺ قال: نجا يا محمد من تولى عليًا وزيرك في حياتك..

وفي موارد متعددة يبدو منه التعاطف مع الإمام ﷺ حين يستدعيه المنصور، كما نقل ذلك أيضًا الحر العاملي في المصدر نفسه ص 209، حدّث عبد الله بن الفضل بن الربيع قال: حج المنصور =

وسيأتي في صفحات قادمة توضيح عن الربيع وابنه الفضل لما لذلك من أثر في توضيح طريقة تعامل الثاني مع الإمام الكاظم عليه السلام فانتظر!.

= في سنة سبع وأربعين ومائة ولمّا قدم المدينة قال للرّبيع: ابعث إلى جعفر بن محمّد من يأتينا به سعيًا قتلني الله إن لم أقتله فتغافل الرّبيع عنه وتناساه فأعاد عليه في اليوم الثاني وأغلظ له في القول فأرسل إليه الرّبيع فلمّا حضر قال له الرّبيع: يا أبا عبد الله اذكر الله تعالى فإنّه قد أرسل إليك ما لا دافع له غير الله وإنّي أتخوّف عليك فقال جعفر: لا حول ولا قوّة إلّا بالله العظيم! ثم إن الربيع دخل به على المنصور فلمّا رآه المنصور أغلظ له بالقول فقال: يا عدوّ الله اتّخذك أهل العراق إمامًا يجبون إليك زكاة أموالهم تلحد في سلطنتي وتبتغي إليّ الغوائل قتلني الله إن لم أقتلك فقال جعفر: يا أمير المؤمنين إن سليمان أعطي فشكر، وإن أيّوب ابتلي فصبر، وإن يوسف ظلم فغفر، فهؤلاء أنبياء الله وإليهم يرجع نسبك ولك فيهم أسوة حسنة، فقال المنصور: أجل لقد صدقت يا أبا عبد الله ارتفع إلى هاهنا عندي ثم قال: يا أبا عبد الله إن فلان الفلاني أخبرني عنك بما قلت لك فقال: أحضره يا أمير المؤمنين ليواقفني على ذلك، فأحضر الرّجل الذي سعى به إلى المنصور فقال له المنصور: أحقّا ما حكيت لي عن جعفر فقال: نعم، يا أمير المؤمنين قال جعفر: فاستحلفه على ذلك فبدر الرّجل وقال: والله العظيم الّذي لا إله إلّا هو عالم الغيب والشهادة الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد وأخذ يعدّ في صفات الله، فقال جعفر: يا أمير المؤمنين يحلف بما أستحلف به ويترك يمينه هذا فقال المنصور: حلّفه بما تختار فقال جعفر عليه السلام: قل برئت من حول الله وقوّته والتجأت إلى حولي وقوّتي لقد فعل كذا وكذا فامتنع الرّجل فنظر إليه المنصور منكرًا فحلف بها فما كان بأسرع من أن ضرب برجله الأرض وقضى ميتًا مكانه في المجلس فقال المنصور: جرّوا برجله وأخرجوه لعنه الله.

غير أن هناك رواية يستفاد منها أنه معدود في الظلمة وأن من يتعامل معه يكون من أعوان الظلمة!، وهي الواردة في الكافي 5/ 105 بسنده إلى محمد بن عذافر، عن أبيه قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: يا عذافر إنك تعامل أبا أيوب والربيع، فما حالك إذا نودي بك في أعوان الظلمة؟ قال: فوجم أبي فقال له أبو عبد الله عليه السلام لما رأي ما أصابه: أي عذافر إنما خوفتك بما خوفني الله عز وجل به، قال محمد: فقدم أبي فلم يزل مغمومًا مكروبًا حتى مات.. ولعل المستفاد منها أن مجرد تعاطفه النفسي مع الإمام، مع كونه ممن يوطدون أركان الحكم الظالم لا ينفعه! فهو يحشر معهم لأنه يعمل معهم ويؤيد سلطانهم، وإن كان (يحب) الإمام.

المهم أن الإمام ﷺ تمَّ تسليمه إلى الفضل بن الربيع ليكون مسجونًا عنده في بيت، وهذا ما حصل.

ويظهر من خبر نقله الشيخ الصدوق بسَنَد عن الفضل بن الربيع، يظهر منه أن محل سجن الإمام كان ملاصقًا لقصر الفضل بحيث كان بإمكانه الاطلاع على أحواله، وكان الإمام ﷺ يتخذ من ساحته مصلى له، وينظر إليه الفضل بإعجاب، فعن أحمد بن عبد الله القروي، عن أبيه، قال: «دخلت على الفضل بن الربيع وهو جالسٌ على سطح، فقال لي: ادن مني، فدنوت حتى حاذيته، ثم قال لي: أشرف إلى البيت في الدار، فأشرفت فقال: ما ترى في البيت؟ قلت: ثوبًا مطروحًا. فقال: انظر حسَنًا، فتأملت ونظرت فتيقنت، فقلت: رجلٌ ساجدٌ. فقال لي: تعرفه؟ قلت: لا. قال: هذا مولاك! قلت: ومن مولاي؟ فقال: تتجاهل علي؟ فقلت: ما أتجاهل، ولكن لا أعرف لي مولى.

فقال: هذا أبو الحسن موسى بن جعفر ﷺ، إني أتفقده الليل والنهار فلم أجده في وقت من الأوقات إلا على الحال التي أخبرك بها، أنه يصلي الفجر فيعقب ساعة في دبر صلاته إلى أن تطلع الشمس، ثم يسجد سجدة فلا يزال ساجدًا حتى تزول الشمس، وقد وكل من يترصد له الزوال، فلست أدري متى يقول

الغلام: قد زالت الشمس! إذ يثب فيبتدئ بالصلاة من غير أن يجدد وضوءًا، فأعلم أنه لم ينم في سجوده ولا أغفى، فلا يزال كذلك إلى أن يفرغ من صلاة العصر، فإذا صلى العصر سجد سجدة، فلا يزال ساجدًا إلى أن تغيب الشمس، فإذا غابت الشمس وثب من سجدته فصلى المغرب من غير أن يحدث حدثًا، فلا يزال في صلاته وتعقيبه إلى أن يصلي العتمة، فإذا صلى العتمة أفطر على شوي (شواء) يؤتى به، ثم يجدد الوضوء، ثم يسجد، ثم يرفع رأسه، فينام نومة خفيفة، ثم يقوم فيجدد الوضوء، ثم يقوم فلا يزال يصلي في جوف الليل حتى يطلع الفجر، فلست أدري متى يقول الغلام: إن الفجر قد طلع! إذ قد وثب هو لصلاة الفجر، فهذا دأبه منذ حُوّل إليّ.

فقلت: اتق الله، ولا تحدثن في أمره حدَثًا يكون منه زوال النعمة، فقد تعلم أنه لم يفعل أحد بأحدٍ منهم سوءًا إلا كانت نعمته زائلة. فقال: قد أرسلوا إلي في غير مرة يأمرونني بقتله، فلم أجبهم إلى ذلك، وأعلمتهم أني لا أفعل ذلك، ولو قتلوني ما أجبتهم إلى ما سألوني.

وفي خبر آخر أن هارون كان قد اطلع على الإمام عليه السلام وهو مسجون عند الفضل فرآه على تلك الحالة من العبادة وأنه ربّما

يرى أبا الحسن ﷺ، ساجدًا فيقول للربيع: يا ربيع ما ذاك الثوب الذي أراه كلّ يوم في ذلك الموضع؟

فيقول الربيع له: ما ذاك بثوب وإنّما هو موسى بن جعفر، له كل يوم سجدة بعد طلوع الشمس إلى وقت الزوال.

قال الربيع: فقال لي هارون: أما إنّ هذا من رهبان بني هاشم.

فيقول له الربيع: فما لك، فقد ضيّقت عليه في الحبس؟ قال: هيهات لا بدّ من ذلك! [1]

4/ إبقاء الإمام في بغداد بعد إطلاقه من سجن الفضل:

تشير بعض المصادر إلى أن سجن الإمام ﷺ لدى الفضل بن الربيع استمر لمدة سنة، وبعدها أرسل هارون إلى الفضل أن يطلق سراح موسى بن جعفر فورًا[2]، الأمر الذي كان يرغب فيه

(1) البحراني، الشيخ عبد الله: العوالم، الإمام الكاظم ﷺ 1/ 294 ناقلا عن عيون أخبار الرضا للصدوق. أقول: في هذا الخبر ملاحظتان الأولى هي أن الحوار يدور بين الربيع وبين هارون ولا بدَّ أن يكون هناك اشتباه في الأمر بينه وبين ابنه فإن الربيع قد توفي في زمن موسى الهادي قبل استلام هارون الخلافة، فلا يمكن أن يكون الحوار بينه وبين هارون، ونعتقد أن المقصود هو ابنه الفضل بن الربيع. والثانية: باعتبار أن ناقل الخبر هو نفسه الفضل ومؤداها مادح له حيث اقترح على هارون أن يفرج عن الإمام ﷺ فلا بدَّ من النظر إلى السيرة العامة للفضل وهل تناسب هذا التوجه أو لا. وهل يمكن له موقعه أن يقول الكلام الذي قاله لهارون؟ وسيأتي شيء من البحث عن شخصية الفضل وأبيه.

(2) الشيخ الصدوق: عيون أخبار الرضا ﷺ 1/ 73 بسنده عن الفضل بن الربيع قال: كنت ذات ليلة =

الفضل لكنه تعجب من صدوره من الخليفة هارون، وزال تعجبه

= في فراشي مع بعض جواري فلما كان في نصف الليل سمعت حركه باب المقصورة فراعني ذلك فقالت الجارية: لعل هذا من الريح فلم يمض إلا يسير حتى رأيت باب البيت الذي كنت فيه قد فتح وإذا مسرور الكبير قد دخل عليَّ فقال لي: أجب الأمير ولم يسلم علي فآيست في نفسي وقلت: هذا مسرور دخل إليَّ بلا اذن ولم يسلم ما هو إلا القتل وكنت جنُبًا فلم أجسر أن أسأله إنظاري حتى اغتسل فقالت الجارية لما رأت تحيري وتبلدي: ثق بالله عز وجل وانهض فنهضت ولبست ثيابي وخرجت معه حتى أتيت الدار فسلمت أمير المؤمنين وهو في مرقده فرد عليّ السلام فسقطت فقال: تداخلك رعب؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين فتركني ساعة حتى سكنت ثم قال لي: سر إلى حبسنا فأخرج موسى بن جعفر بن محمد وادفع إليه ثلاثين ألف درهم فاخلع عليه خمس خلع واحمله على ثلاث مراكب وخيره بين المقام معنا أو الرحيل عنا إلى أي بلدٍ أراد وأحب فقلت: يا أمير المؤمنين تأمر بإطلاق موسى بن جعفر؟ قال لي: نعم فكررت ذلك عليه ثلاث مرات فقال لي: نعم ويلك أتريد أن أنكث العهد؟! فقلت: يا أمير المؤمنين وما العهد؟ قال: بينا في مرقدي هذا إذ ساورني أسود ما رأيت من السودان أعظم منه فقعد على صدري وقبض على حلقي وقال لي: حبست موسى بن جعفر ظالمًا له؟

فقلت: فانا أطلقه وأهب له وأخلع عليه فاخذ عليّ عهد الله عز وجل وميثاقه وقام عن صدري وقد كادت نفسي تخرج فخرجت من عنده ووافيت موسى بن جعفر عليه السلام وهو في حبسه فرأيته قائمًا يصلي فجلست حتى سلم ثم أبلغته سلام أمير المؤمنين وأعلمته بالذي أمرني به في امره وأنّي قد أحضرت أوصله به فقال: إن كنت أمرت بشيء غير هذا فافعله فقلت: لا وحق جدك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما أمرت إلا بهذا قال: لا حاجه لي في الخلع والحملان والمال إذا كانت فيه حقوق الأمة فقلت: ناشدتك بالله لا ترده فيغتاظ فقال: اعمل به ما أحببت فأخذت بيده عليه السلام وأخرجته من السجن ثم قلت له: يا بن رسول الله أخبرني السبب الذي نلت به هذه الكرامة من هذا الرجل؟ فقد وجب حقي عليك لبشارتي إياك ولما أجراه الله على يدي من هذا الامر فقال عليه السلام: رأيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليلة الأربعاء في النوم فقال لي: يا موسى أنت محبوس مظلوم؟! فقلت: نعم يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم محبوس مظلوم فكرر عليّ ذلك ثلاثًا ثم قال: ﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾[الأنبياء: 111] أصبح غدًا صائمًا واتبعه بصيام الخميس والجمعة فإذا كانت وقت الافطار فصل اثنا عشر ركعة تقرأ في كل ركعة الحمد مرّة واثنا عشر مرّة قل هو الله أحد فإذا صليت منها أربع ركعات فاسجد ثم قل «يا سابق الفوت ويا سامع كل صوت يا محيي العظام وهي رميم بعد الموت أسألك باسمك العظيم الأعظم أن تصلي على محمد عبدك ورسولك وعلى أهل بيته الطيبين وتعجل لي الفرج مما أنا فيه» ففعلت فكان الذي رأيت.

عندما أخبره بأنه رأى في منامه شخصًا يهدده بأنه إن لم يطلق سراح موسى بن جعفر فسيضربه بحربة تكون فيها نهايته وقد تكررت رؤياه تلك؛ الأمر الذي يستنتج منه أنها رؤيا حقيقية صادقة[1]!

خرج الإمام عليه السلام من السجن ذاك، ولكنه بقي في بغداد تحت الإقامة الجبرية، وكان عليه أن يأتي إلى ديوان هارون مرة في الأسبوع في يوم الخميس ولكنه كان خارج السجن[2]، وفي هذه الأثناء كانت تحصل بينه وبين الإمام الكاظم محاورات ومناقشات فمنها ما يذكر بإسناده عن الكاظم عليه السلام قال: قال لي هارون: أتقولون إن الخمس لكم؟ قلت: نعم قال: إنه لكثيرٌ قال: قلت: إن الذي أعطاناه علِم أنه لنا غير كثير[3].

ولا بدَّ أن نشير أن الحوارات التي تنقل بين الإمام الكاظم وهارون العباسي، تتعدد مواقعها فمنها ما هو واضح أنه في المدينة؛ ومنها ما هو واضح أنه في بغداد في السجن، ومنها

(1) وفي بعض الكتب كمروج الذهب ومهج الدعوات؛ أن هارون أمر عبد الله بن مالك الخزاعي، ولا تعارض بين هذه الروايات فإن عبد الله بن مالك كان بمثابة رئيس الشرطة اليوم، ويفترض أن يستلم الأمر من الفضل بن الربيع.

(2) القرشي، حياة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام 2/ 475 ناقلًا عن بحار الأنوار.

(3) المجلسي، بحار الأنوار93/ 190.

ما لم يذكر موضعه، فلا بدَّ من الاعتماد على القرائن لتعيين المكان والزمان، وجزء من هذه الأخيرة هو الذي كان في بغداد في الفترات المتخللة لسجن الإمام عليه السلام، فإنه وقد ورد إلى بغداد بعد سنة من سجنه في البصرة، ويعتقد أنه كان بحدود ذي الحجة سنة 181هـ، وقد بقي عند الفضل بن الربيع في بغداد مدة قدرها بعضهم بالسنة (وإن كان لا طريق لنا لتأكيد هذه المدة) ثم أطلق سراحه ولا نعلم كم طالت مدة بقائه خارج السجن لكنها شهدت محاورات، ربما يكون الحديث عن الخمس جزءًا منها، وهكذا الحال السؤال عن حدود فدك كما ورد في روايات أخر! إذ زال في مثل هذه الحالات أي مبرر للتقية بعدما ارتكب منه هارون ما ارتكب من السجن وإبعاده عن أهله وشيعته وعزمه على قتله، فما الداعي بعد ذلك للتقية؟ ولذلك نعتقد أن الروايات التي يكون لسانها لسان الصراحة والقول كانت في مثل هذه الأوقات.[1] فإن

(1) مثل ما نقل ابن شهر آشوب في كتابه المناقب 4/ 320.. من أن هارون كان يقول لموسى بن جعفر عليه السلام: «خُدّ فدكًا حتى أردّها إليك، فيأبى حتى ألحّ عليه.
فقال عليه السلام: لا آخذها إلاّ بحدودها. قال: وما حدودها؟ قال عليه السلام: إن حددتها لم تردّها. قال: بحق جدّك إلاّ فعلت.
قال عليه السلام: أمّا الحد الأول فعدن. فتغير وجه الرشيد وقال: ايهًا. قال عليه السلام: والحد الثاني سمرقند. فاربدّ وجهه.
قال عليه السلام: والحدّ الثالث افريقية. فاسوَدَّ وجهه وقال: هيه قال عليه السلام: والرابع سيف البحر مما يلي الجزر وأرمينية. قال الرشيد: فلم يبق لنا شيء، فتحوّل إلى مجلسي! قال موسى عليه السلام: قد أعلمتك أنني إن حددتها لم تردّها. فعند ذلك عزم على قتله». ومن ذلك أيضًا ما ذكره قطب الدين =

هـذه تختلف تمامًا عما قيـل إن الإمـام ﷺ قد كتـب للخيـزران والدة موسـى الهـادي وهـارون الرشـيد يعزيهـا بـالأول ويطلـب لهـا طـول العمـر ويهنيهـا بخلافـة هـارون فإنـه كان لشـدة التقيـة[1].

بـل فـي هـذه الفتـرة يظهـر أنهـا شـهدت أيضًـا ذهـاب الإمـام

= الراوندي: في مكارم أخلاق النبي والائمة 332 قال: كان مما قال هارون لأبي الحسن ﷺ حين أُدخل عليه: ما هذه الدار؟ فقال ﷺ: هذه دار الفاسقين، قال الله تعالى: ﴿سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا﴾[الأعراف: 146] فقال له هارون: فدار من هي؟ قال ﷺ: هي لشيعتنا فترة ولغيرهم فتنة. قال: فما بال صاحب الدار لا يأخذها؟

فقال: «أُخذت منه عامرة ولا يأخذها الاّ معمورة».

قال: فأين شيعتك؟ فقرأ أبو الحسن ﷺ: ﴿لَمۡ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ﴾[البينة: 1].

قال: فقال له: فنحن كفار؟ قال ﷺ: لا، ولكن كما قال الله ﴿ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ كُفۡرٗا وَأَحَلُّواْ قَوۡمَهُمۡ دَارَ ٱلۡبَوَارِ﴾[إبراهيم: 28].

وقد نقل القسم الأول وهو تحديد فدك في كتاب البلدان لابن الفَقيه (ت نحو 340) بذكر أن الحوار كان بين الإمام موسى بن جعفر وبين محمد المهدي العباسي، كما أن في روايات الإمامية أيضًا أنه جرى تحديدها بهذه الحدود أمام المهدي العباسي، ولا مانع أن يكون الإمام ﷺ قد بين حدودها أمام المهدي العباسي وابنه هارون. فمما نقله ابن الفقيه في البلدان 1/ 437 هو: «ولما قدم موسى بن جعفر على المهدي، كلمه في رد فدك. فقال له: أنا ناظرٌ في ذلك، ولكن أين حدودها؟ قال: أما الأول فعريش مصر. والثاني: دومة الجندل. والثالث: أُحد، والرابع: سيف البحر. فقال المهدي: هذه الدنيا كلها.

فقال موسى بن جعفر: هذا كان في أيدي اليهود، فأفاءه الله على رسوله».

(1) البحراني، الشيخ عبد الله: العوالم، الإمام الكاظم ﷺ 1/ 237 وكتب الإمام للخيزران رسالة تعزية بموسى الهادي يوم الخميس لسبع ليال خلون من شهر ربيع الآخر سنة سبعين ومائة. وقد علق الشيخ البحراني على ذلك بالقول أقول: انظر إلى شدّة التقيّة في زمانه ﷺ حتىّ أحوجته إلى أن يكتب مثل هذا الكتاب لموت كافر لا يؤمن بيوم الحساب فهذا يفتح لك من التقيّة كلّ باب، والله موفّق للصواب..

الكاظم عليه السلام لزيارة جده الحسين عليه السلام في كربلاء كما يستفاد من بعض الأخبار.

5/ سجن الإمام لدى الفضل بن يحيى البرمكي:

لم يكن هارون ليستقر وهو يرى الإمام الكاظم عليه السلام خارج السجن فما لبث أن أعاده إليه ولكن هذه المرة جعله عند الفضل بن يحيى البرمكي (الذي كان يمثل الخط الفارسي في البلاط العباسي) وبقي فيه مدة، وكان الفضل لا يضيق على الإمام بالمقدار الذي كان يرغب فيه هارون وشرطته! فهل كان ذلك لأجل ميولٍ علويةٍ لدى الفضل بن يحيى خلافًا لباقي أسرته من أبيه وإخوته وهي خطرةٌ للغاية كما يرى بعض الباحثين[1]، أو أنه مقتضى الحال بالنسبة للإنسان العاقل الذي يرى أن أصل سجن الإمام كان خطأ فلا ينبغي أن يكمل ذلك الخطأ بخطيئة تعذيبه وإيذائه، في سبيل أمور دنيوية غير دائمة!.

(1) الكوراني، الشيخ علي: الإمام الكاظم سيد بغداد 239: كان هارون يرى أن تعاطفَ وزيره الفضل بن يحيى مع الإمام الكاظم عليه السلام وامتناعه عن تنفيذ أمره في التضييق عليه ثم بقتله، أمرٌ خطير، بل خيانة عظمى للنظام العباسي وشخص الخليفة! وذلك بعكس مخالفة ابن عمه والي البصرة وبعكس مخالفة غلامه الفضل بن الربيع!
والسبب أن البرامكة بنفوذهم في الدولة، بإمكانهم أن يقوموا بانقلاب ويقتلوا هارون، ويبايعوا لموسى بن جعفر عليه السلام، أو لأي عباسي، أو علوي!

المهم أنه وصل إلى هارون من جهة جواسيسه أن الفضل لا يقوم بالتضييق على الإمام كما يريد هارون، وكان في الرقة (وهي أشبه بمتنزه للخلفاء) «فكتب إليه ينكر عليه توسعته على موسى ويأمره بقتله، فتوقف عن ذلك ولم يقدم عليه، فاغتاظ الرشيد لذلك ودعا مسرورًا الخادم فقال له: اخرج على البريد (خيل البريد السريعة) في هذا الوقت إلى بغداد، وادخل من فورك على موسى بن جعفر، فإن وجدته في دعة ورفاهية فأوصل هذا الكتاب إلى العباس بن محمد ومره بامتثال ما فيه. وسلّمَ إليه كتابًا آخر إلى السندي بن شاهك يأمره فيه بطاعة العباس بن محمد.

فقدم مسرور فنزل دار الفضل بن يحيى لا يدري أحدٌ ما يريد، ثم دخل على موسى بن جعفر عليه السلام فوجده على ما بلغ الرشيد، فمضى من فوره إلى العباس بن محمد والسندي بن شاهك فأوصل الكتابين إليهما، فلم يلبث الناس أن خرج الرسول يركض إلى الفضل بن يحيى، فركب معه وخرج مشدوهًا دهشًا حتى دخل على العباس بن محمد، فدعا العباس بسياط وعقابين وأمر بالفضل فجُرِّد وضربه السندي بين يديه مائة سوط، وخرج متغير اللون خلاف ما دخل، وجعل يسلّم على الناس يمينًا وشمالًا».[1]

(1) الشيخ المفيد، الإرشاد 2/ 241.

وبحسب رواية المفيد[1] في الارشاد فإن الفضل بن يحيى قد تمت معاقبته بالجلد، وأعلن هارون أن الفضل قد عصاه فلعنه وأمر الناس بلعنه، بسبب أنه لم يكن قاسيًا بالمقدار المطلوب على الإمام الكاظم عليه السلام!

وبحسب نفس الرواية فإن والده يحيى بن خالد البرمكي لما وصل إليه الأمر، وعرف عنه رأى أن المشكلة هي في حسن تعامل ابنه الفضل مع الإمام موسى بن جعفر فأقدم على عملين:

1/ الاعتذار من هارون الخليفة بالنيابة عن ابنه الفضل وأنه لحداثة سنه ارتكب هذا الخطأ الذي يستحق تلك العقوبة وأنه أي والده بعد ذلك يطلب العفو عنه!

(1) المصدر نفسه 242.. وكتب مسرور بالخبر إلى الرشيد، فأمر بتسليم موسى عليه السلام إلى السندي بن شاهك، وجلس الرشيد مجلسًا حافلًا وقال: أيها الناس، إن الفضل بن يحيى قد عصاني وخالف طاعتي، ورأيت أن ألعنه فالعنوه لعنه الله. فلعنه الناس من كل ناحية، حتى ارتج البيت والدار بلعنه. وبلغ يحيى بن خالد الخبر، فركب إلى الرشيد فدخل من غير الباب الذي تدخل الناس منه، حتى جاءه من خلفه وهو لا يشعر، ثم قال له: التفت ـ يا أمير المؤمنين ـ إليَّ، فأصغى إليه فزِعًا، فقال له: إن الفضل حَدَثٌ، وأنا أكفيك ما تريد، فانطلق وجهه وسُرَّ، وأقبل على الناس فقال: إن الفضل كان قد عصاني في شيء فلعنته، وقد تاب وأناب إلى طاعتي فتولوه. فقالوا: نحن أولياء من واليت، وأعداء من عاديت وقد توليناه.
ثم خرج يحيى بن خالد على البريد حتى وافى بغداد، فماج الناس وأرجفوا بكل شيء، وأظهر أنه ورد لتعديل السواد والنظر في أمر العمال، وتشاغل ببعض ذلك أياما، ثم دعا السندي فأمره فيه بأمره فامتثله.

2/ السعي في قتل الإمام موسى بن جعفر الكاظم ﷺ، وهو أمر سيلاقي رضا الخليفة وسيكون ذلك تكفيرًا عن ذنب الفضل ابنه! وكأنّه كان يريد أن يثبت لهارون العباسي أنه ليس أقلّ في ولائه من الفضل بن الربيع الذي كان بدوره مقربًا من الخليفة وكان التنافس بينهما قائما! ويشهد لهذا أن الإمام عليًّا بن موسى الرضا ﷺ، اعتبر البرامكة ورأسهم يحيى مسؤولين عن قتل أبيه الكاظم ﷺ، وأن نكبتهم التي حصلت بعد عدة سنوات من شهادته كانت عقوبة من الله عليهم.

6/ سجن الإمام ﷺ، لدى السندي بن شاهَك:

كان يحيى البرمكي يريد أن يثبت لهارون أن ولاء البرامكة قوي ولا يخل به ممارسة الفضل في التساهل مع الإمام الكاظم، وكان السندي بن شاهك الذي لتوه قد عزل عن ولاية دمشق يريد القيام بعمل يعيده إلى الولاية والأمر والنهي، فلا بدَّ أن يقدم لهارون (مَهرًا) تستحقه تلك الولاية، وكان هارون الذي (تورط) فيما نعتقد باعتقال الإمام ﷺ يريد إنهاء هذا الملف المقلق.. نقول: تورط لأن اعتقاله لم يكن له مبررٌ إطلاقًا، فلا هو شارك في عمل عسكري ضدهم ولا أظهر القول المخالف الصريح الذي يستوجب اعتقالهم إيّاه، وكانت سمعة الإمام الكاظم عند الجميع

ناصعة ويرونه مظلومًا في هذا الأمر.. هذا من جهة ومن جهة أخرى لم يكن هارون ليقتنع بإطلاق سراحه ليعود إلى المدينة بشكل عادي! ولا هو أيضًا قادر على التظاهر بقتله! ولذلك نرى أنه حاول أن ينكر موته مسمومًا وجاء بمن يشهد على الإمام أنه مات حتف أنفه[1] ولم يُضرَب ولم يُسمَّم!.. وهذا حصل قبل شهادة الإمام حيث جمع هارون جماعة له في سجنه وبعد شهادته حيث أعلن المتحدث الرسمي بأن موسى بن جعفر قد مات حتف أنفه!

التقت هذه الرغبات الخبيثة لتنتج أن يُحوَّل الإمام عليه السلام إلى السندي بن شاهك[2] ونحن نحتمل أن الإمام قد بقي بعض الوقت في بيت للسندي بن شاهك قبل أن يحول للسجن المعروف بطامورة السندي.. ولعل الرواية التي تتحدث عن إعجاب أخت السندي بعبادة الإمام وبأنها كانت تنتقد فعل الخلافة في سجنه وتعتبره ضلالًا، تشير إلى هذه الفترة إذ كانت هي التي تتولى أمر خدمته وما يرتبط به، وهذا إنما يكون في

(1) الحر العاملي، إثبات الهداة 4/ 230 أن موسى بن جعفر عليه السلام قال له ولجماعة وهو في حبس السندي بن شاهك أخبركم أيها النفر أني قد سقيت السم في سبع تمرات وأنا غدًا أخضرّ وبعد غد أموت، قال: فنظرت إلى السندي يضطرب ويرتعد مثل السعفة..

(2) سيأتي الحديث عن شخصيته السيئة في فصل أسماء في سجن الإمام الكاظم.

العادة في بيت لا في الطامورة، قال ابن الأثير «وتولّت حبسه أخت السنديّ بن شاهك، وكانت تتديّن، فحكت عنه أنّه كان إذا صلّى العتمة حمد ومجّده ودعاه إلى أن يزول اللّيل، ثمّ يقوم فيصلّي، حتى يصلّي الصبح، ثمّ يذكر تعالى حتى تطلع الشمس، ثمّ يقعد إلى ارتفاع الضحى، ثمّ يرقد، ويستيقظ قبل الزوال، ثمّ يتوضّأ ويصلّي، حتى يصلّي العصر، ثمّ يذكر، حتى يصلّي المغرب، ثمّ يصلّي ما بين المغرب والعتمة، فكان هذا دأبه إلى أن مات. وكانت إذا رأته قالت: خاب قومٌ تعرّضوا لهذا الرجل الصالح»[1] كما أنه يذكر الكشّي في رجاله أن السنديَّ كان قد وكّل أحد مواليه واسمه بشّار بالإمام وقال له: «يا بشار إنّي أريد أن ائتمنك على ما ائتمنني عليه هارون، قلت: اذن لا أبقي فيه غاية. قال: هذا موسى بن جعفر قد دفعه إلي. وقد وكلتك بحفظه، فجعله في دار جوف دور حرمه ووكّلني عليه»[2] فغدا بشار من القائلين بإمامته عليه السلام.

وفي هذه الفترة يظهر أنه كان بإمكان بعض شيعته بل غيرهم أن يلتقوا بالإمام عليه السلام فقد ذكر الشيخ القرشي ناقلًا عن مصادر

(1) ابن الأثير، أبو الحسن الجزري: الكامل في التاريخ 5/ 332.
(2) الطوسي، اختيار معرفة الرجال 2/ 323.

أن «موسى بن إبراهيم المروزي قد التقى بالإمام، وقد سمح له السندي بذلك لأنه كان معلّمًا لولده، وقد ألف المروزي كتابًا مما سمعه من الإمام عليه السلام. واتصل به هند بن الحجاج وغيره من قادة الفكر الإسلامي، كما دخل عليه في غلس الليل أبو يوسف ومحمد بن الحسن (الشيباني) وقد أراد اختباره في بعض المسائل المهمة ليطلعا على مدى علمه»[1].

إلا أن هذا تغير عندما نقل فيما يرى باحثون إلى سجن تحت الأرض وفصل عن الناس وهو ما يعرف بطامورة السندي بن شاهك، ويشير الشيخ الكوراني في كتابه إلى بعض ملامح هذا السجن والسجان بقوله: «وكان السندي بن شاهك يكلف بالمهمات التي تحتاج إلى قمع وتجسس! قال في وفيات الأعيان: 1/ 338: ثم دعا (هارون الرشيد) السندي بن شاهك فأمره بالمضي إلى بغداد والتوكل بالبرامكة وكتَّابهم وقراباتهم، وأن يكون ذلك سرًا ففعل السندي ذلك».

لهذا السبب أمر هارون بنقل سجن الإمام الكاظم عليه السلام من عند الفضل بن يحيى إلى السندي بن شاهك، لأنه أشد وأقسى، وخالف بذلك العرف السياسي بأن تسجن الشخصيات القرشية

(1) القرشي، حياة الإمام موسى بن جعفر 2/ 491.

والهاشمية عند وزراء الخليفة وشخصيات دولته، فقد حبس الإمام الكاظم عليه السلام أولًا عند عمه عيسى بن جعفر والي البصرة، ثم عند وزيره الفضل بن الربيع، ثم عند وزيره الفضل بن يحيى، فتأثموا أن يقتلوه فأمر بحبسه عند السندي بن شاهك الشرطي القاسي، وأمره أن يقتله! وبعد قتل الإمام عليه السلام أعطى هارون للسندي جائزة فجعله والي دمشق!.

قال عنه الذهبي في تاريخه: 14/ 185: «السندي بن شاهك. الأمير أبو نصر، مولى أبي جعفر المنصور، ولي إمرة دمشق للرشيد، ثم وليها بعد المائتين، وكان ذميم الخلق، سنديًا يجعل القول قول المدعي»! أي يحكم له تصديقًا لقوله بدون بينة!.

وقال المؤرخ البغدادي ابن الطقطقي في الفخري/ 137: «فحبسه عند السندي بن شاهك، وكان الرشيد بالرقة فأمر بقتله، فقتل قتلًا خفيًّا، ثم أدخلوا عليه جماعة من العدول بالكرخ ليشاهدوه، إظهارًا أنه مات حتف أنفه».

ونلاحظ أن الإمام الكاظم عليه السلام عبر عن السندي بالرجس، وأوصى أن لا يتولى غسله وتكفينه![1].

(1) الكوراني، علي: الإمام الكاظم سيد بغداد 245.

وفي هذا السجن بلغ تحدي الإمام لهارون مداه بحيث كانت كل كلمة منه أشبه بسيف، فها هو هارون يعرض عليه حلًّا بأن يعتذر له الإمام حتى يطلق هارون سراحه[1]، وحاول الرسول (إقناع) الإمام أن ذلك لا يضره شيئًا فهو ابن عمه وأنه سيربح بذلك حريته! لكن الإمام أطلقها في وجه هارون وكلف الرسول أن ينقل له حرفيًا ما قاله: ستعلم إذا جاثيتك بين يدي الله من الظالم المعتدي على صاحبه!

وما كاد يفيق من الصفعة السابقة حتى بعث إليه بأخرى أشدّ قائلًا له مع رسول: أنْ «يا هارون إنَّه لن ينقضيَ عنِّي يومٌ من البلاء حتى ينقضيَ عنك يومٌ من الرخاء حتى نفضي جميعًا إلى يومٍ ليس فيه اِنقضاء، وهناك يخسرُ المبطلون».. وقد أصبحت

(1) الطوسي، محمد بن الحسن: الغيبة 53.. فقال هارون: انطلق إليه وأطلق عنه الحديد، وأبلغه عني السلام، وقل له: يقول لك ابن عمك: إنه قد سبق مني فيك يمينٌ أني لا أخليك حتى تقر لي بالإساءة، وتسألني العفو عما سلف منك، وليس عليك في إقرارك عار، ولا في مسألتك إيّاي منقصة. وهذا يحيى بن خالد (هو) ثقتي ووزيري، وصاحب أمري، فسله بقدر ما أخرج من يميني وانصرف راشدًا..
أقول: العجيب من هؤلاء الطغاة كيف يجمعون التناقض في اسوأ صوره، فهو في رأيه قد سبق منه يمين (ولا يجوز حنث اليمين!!) أرأيت الالتزام الشرعي؟؟ لكن يجوز أن يقتل إمامًا من أئمة المسلمين! أو على الأقل من علمائهم من أبناء رسول الله وذريته! وكأنّ حنث اليمين مشكلة المشاكل مع أن انعقادها غير معلوم لأنها على فعل محرم، ولو انعقدت فالتكفير عنها لو خالفها من أسهل ما يكون؟!

هذه أيقونة لا يتركها كاتب يكتب عن حياة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام.

وبالرغم من أننا لا نجد معلومات تفصيلية عن هذا السجن وقسوته، إلا أن بعض الاشارات كافية في ذلك، فأن يكون شخص في الخامسة والخمسين من العمر مسجونًا ومع ذلك يكون مقيَّدًا بالحديد[1] في داخل السجن فهذا مما يدل على مدى القسوة.

وليس أوضح في القسوة من تسميم الإمام عليه السلام، ثم جلب شهود ليشهدوا أنه مات حتف أنفه ولم يحصل له سوء من خنق أو ضرب أو غير ذلك!!

(1) مر قبل قليل أن هارون أمر يحيى بن خالد أن يطلق عن الإمام الحديد ويعرض عليه الاعتذار!

كم كانت سنوات سجن الإمام الكاظم

تتفاوت تقديرات الباحثين في عدد السنوات التي قضاها الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام في السجون العباسية، ما بين أربع سنوات إلى ما يزيد عن عشرين سنة.

فقد نسب إلى المرحوم الإمام الشيرازي أنه نقل عن بعض الكتب أن مدة سجنه كانت نحو 24 سنة[1]، بينما أشار المرحوم الشيخ الوائلي في أحد مجالسه المسجلة[2] أنها كانت 18 سنة، وأن أقل ما جاء في الروايات هو 12 سنة، بينما أشارت مجلة اللقاء

(1) في جواب على استفتاء عن مدة سجن الإمام الكاظم عليه السلام ذكر قسم الاستفتاء التابع للمرجع الديني السيد صادق الشيرازي:
جاء في كتاب (تثقيف الأمة بسيرة أولاد الائمة عليهم السلام) ص335 للشيخ المؤيد بأن الإمام الكاظم عليه السلام قضى فترة طويلة من حياته في السجن، فقد سجنه قبل هارون: المهدي العباسي، ثم سجنه موسى الهادي العباسي، ثم هارون فانه حج سنة (179 هجرية) وفي مسجد الرسول الكريم أمر بأخذ الإمام عليه السلام من المسجد وأودعه السجن حتى استشهد عليه السلام سنة (183 هجرية) فالمشهور سبع سنين، وقيل (14) سنة وكان الإمام الشيرازي الراحل ينقل عن بعض الكتب بأنها ذكرت (24) سنة، ألا لعنة الله على القوم الظالمين.

(2) http://www.youtube.com/watch?v=qL8kRr9y30E.

العلمائي[1] التي يصدرها علماء بيروت إلى أن الإمام الكاظم عليه السلام أمضى في سجون هارون العباسي ما يقارب 14 سنة[2] متقطعة.

وفي المقابل فقد ذكرت المدة على نحو الترديد؛ فقد جاء في جواب لمركز الأبحاث العقائدية[3] على نفس السؤال: «ومدة سجنه عليه السلام غير معلومة بالدقة، فبعض المؤرخين من يقول أربع سنوات، والآخر يقول: سبع سنوات، وثالث يقول: أربع عشرة سنة. وعلى كل حال نحن نعلم أن الإمام عليه السلام قد قضى فترة ليست بقليلة في السجن حتى قتل مظلومًا محتسِبًا».

ولتحقيق المسألة نقدم لها بمقدمات:

1/ إن ميل البعض إلى جعل المدة طويلة لبيان مظلومية الإمام عليه السلام، قد لا يكون في محله، لأننا نعتقد أن سجن حجة الله على خلقه ووليِّه في عباده، أمرٌ قبيحٌ عقلًا، وكبيرةٌ من المحرّمات شرعًا ولو كان ذلك ليوم واحد فضلًا عن أن يكون لسنة أو سنوات!

(1) https://allikaa.net/subject.php?id=711.

(2) وكنت قد ذكرت في بعض المحاضرات القديمة التي تناولت فيها سيرة الإمام أيضًا هذا العدد من السنوات اعتمادًا على ما جاء في بعض هذه الكتب لكن بعد التحقيق تبين أنه لا دليل واضحًا على هذا العدد من السنوات، بل مختارنا هو ما سيأتي في نتيجة هذا الموضوع.

(3) http://www.aqaed.com/faq/1619.

إن الإمام الذي ينبغي أن يسمع الناس كلامه وأن يطيعوا أوامره وهو في مقام كمقام النبي المصطفى من حيث حرمته ولزوم اتباع قوله وكونه طريقًا إلى الخالق، لا يجوز لحاكم أن يتعدى عليه بقول خشن فما ظنك باحتجاز حريته وإيداعه السجن؟ فإذا كان قتل إنسان بريء يساوي قتل الناس جميعًا، فقتل سيد الناس وإمامهم في سجن وهو مقيد ماذا سيكون؟ ولهذا نعتقد أنه لو وزنت كل أعمال هارون (مما يسمونه بالعصر الذهبي) خلال مدة حكمه 23 سنة بجريمة سجن الإمام الكاظم عليه السلام ثم قتله، لأتت هذه الجريمة على كل تلك الأعمال مهما كانت عند الناس نافعة ومهمة في رأيهم!

لا ينفعه فيما نعتقد عملٌ يقوم به وقد أقعده إثم سجن الإمام موسى وقتله! وفي هذا لا نحتاج لإثبات أن الإمام قد سجن عشرات السنين ليتبين مقدار جرم هارون، ولا مقدار معاناة الإمام عليه السلام، إن يومًا واحدًا من سجن الإمام يكفي لبيان آثام هارون! وخسارة الأمة بانقطاع اتصالها بالإمام عليه السلام! وبيان عظم التعدي على مقام الإمامة والولاية، والتجري على ما أثبت الله حرمته واحترامه!

2/ إننا هنا نشير بإصبع الانتقاد إلى المؤرخين والمحدثين الذين

ذكروا (وفاة) الإمام موسى بن جعفر عليه السلام هكذا على أنه قُبض أو مات، في سنة كذا أو في بغداد، فإن هذا يستبطن إخفاء أمرين: أنه كان مسجونًا وقضى في السجن وأنه قُتل مسمومًا!

فهذا الطبري شيخ المؤرخين الذي كتب مشرِّقًا ومغرِّبًا عن كل أحد لم يتسع تاريخه لذكر سجن الإمام موسى بن جعفر وشهادته مسمومًا إلا بمقدار «وفيها مات موسى بْن جعفر بْن محمد ببغداد»[1]. ومثله وأنكى ابن كثير الدمشقي الذي استكثر على نفسه أن يذكر سجن الإمام ولو عرَضًا، بينما ذكر فضائل سجّانه المهدي فقال أطلق مسجونًا من أقاربه[2]! نعم ذكر الاسم في موضع آخر، وكأنه لا يريد أن يفوتها فقد ساق الحديث بنحوٍ يشي للقارئ بأن سبب سجنه هو أنه أحفظ هارون وأغاظه فاستدعاه (هكذا) وسجنه وأطال سجنه، فأرسل إليه الإمام: يا أمير المؤمنين!! إنه لن ينقضي عني يوم من البلاء[3].. الخ. وأنت ترى عزيزي القارئ أن كلمة يا أمير المؤمنين هنا هي من إضافة هذا

(1) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري 8/ 271.

(2) ابن كثير: البداية والنهاية 13/ 542 قال الربيع الحاجب: رأيت المهدي يصلي في ليلة مقمرة في بهو له عليه ثياب حسنة، فما أدري هو أحسن أم القمر، أم بهوه، أم ثيابه. فقرأ ﴿فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ﴾[محمد: 22] الآية. ثم أمرني فأحضرت رجلًا من أقاربه كان مسجونًا فأطلقه!

(3) المصدر نفسه 13/ 624.

المؤرخ ذي التوجه الأموي، وإلا فإن نص الرسالة كما سننقلها في موضع آخر، هو سياق صارخ بالرفض والتحدي.

3/ إنه لا بدَّ من التفريق بين مقام الشعر وما يشبهه وبين مقام التدقيق فإن الشعر قائم في العادة على المبالغة في تصوير المشهد حتى قيل إن أعذب الشعر أكذبه، وكلما كانت الصورة فيه أعظم كانت أدعى إلى قوة القصيدة، وما ينقل على المنابر أحيانًا من بعض الخطباء والكاتب منهم من تمثل بالشعر واستشهاد به قد يكون في حالات كثيرة خاضعًا لهذا الاتجاه، وربما لهذا السبب سيكون ما يأتي من الحديث فيه بعض الغرابة ومخالفًا للذوق العام لمستمع المنبر.

وما سنقوله هو رأي وخلاصة تأمل، فليس آية منزلة ولا سنة محكمة، قد يوافق الصواب والواقع وقد يجانبه، لكنه يبقى يتحرى الصواب ويسعى للوصول للحق، مثلما أن القائلين بغير ذلك ممن سبق أن ذكرنا أقوالهم وغيرهم وصلوا إلى هذه النتائج قاصدين الوصول للحق والصواب.

4/ إننا لا نجد فيما رأينا وغيرنا من الكتب روايات تحدد هذه المدة لا عن المعصومين من أبناء وأحفاد الإمام الكاظم عليه السلام ولا من المؤرخين الذين كتبوا عن تلك الفترة، ولذلك

فإننا نحمل ما ذكره بعض العلماء من نسبة مدة معينة إلى الروايات، وأن الروايات تقول كذا أو كذا، نحمله على سبق اللسان، فإنه لا توجد روايات من هذا القبيل.

ويبقى المدار على التخمين والاحتمال والاستفادة من بعض النصوص التاريخية، وأهمها فيما نعتقد:

النصوص التي تتحدث عن سجن محمد المهدي العباسي للإمام فترة من الزمن ثم إطلاق سراح الإمام بناء على رؤيا كما ذكرنا نقلًا عن مصادر شيعية وأخرى غير شيعية وقد مرت في صفحات سابقة أو بناء على ما ذكره الطبري مبتسِرًا الخبر وجاعلًا إياه منقبة للمهدي في أنه تأمل في آية فهل عسيتم إن توليتم.

والنصوص الكثيرة التي تتحدث عن أن هارون عندما جاء إلى المدينة بعد عمرة شهر رمضان سنة 179 أمر باعتقال الإمام عليه السلام، فأخذ للبصرة وسجن فيها ثم إلى بغداد لينقل إلى سجن الفضل بن الربيع ثم سجن الفضل بن يحيى البرمكي ثم السندي بن شاهك بالنحو الذي فصلناه فيما سبق.

وأقصى مدة متصورة لسجنه أيام هارون العباسي هي نحو أربع سنوات، فإن اعتقال الإمام وسجنه بدأ من القبض عليه بتاريخ 20 شوال 179 هـ.وإشخاصه إلى البصرة بأمر هارون ليستقر في سجن

عيسى بن جعفر المنصور (ابن عم هارون)، ولا نعلم عن المدة التي مكث فيها الإمام قبل ذلك في سجن المهدي العباسي وهي ليست طويلة كما يظهر من سياق الخبر الذي أوردها، وأقصى مدة قيلت فيها أنها كانت سنة.

ومع ملاحظة أن الفترة الهارونية من سجن الإمام عليه السلام لم تكن متصلة ومستمرة وإنما تخللها فترات إطلاق بين كل سجن وآخر ربما كما ذكرنا في صفحات سابقة. وأنه كان ينبغي عليه أن يأتي إلى قصر هارون كل خميس وكانت تحصل بينه وبين هارون مناظرات ومناقشات، فلو فرضنا أن هذا كان لعدة أشهر، فقد يكون الوقت الذي قضاه الإمام عليه السلام في هذه السجون بحدود أربع سنوات وقد تزيد قليلا، وليس عندنا دليل على هذه المدة بالدقة وإنما هي تقريبية من خلال تتبع السنوات التي حصل فيها سجن الإمام عليه السلام.

والذي قد يؤيد هذه النتيجة هو ما أورده الشيخ النجاشي في كتابه حين تحدث عن علي بن يقطين فقد قال هناك: «علي بن يقطين: مات سنة اثنتين وثمانين ومائة في أيام موسى بن جعفر عليه السلام ببغداد، وهو محبوس في سجن هارون، بقي فيه أربع سنين».

حيث نصّ على أن الإمام موسى عليه السلام قد بقي في سجن هارون أربع سنين.

وربما يتصور أن جملة «وهو محبوس في سجن هارون بقي فيه أربع سنين» تعود على علي بن يقطين حيث هو المترجَم، إلا أن هذا غير صحيح لأن عليًّا بن يقطين لم يمت محبوسًا في السجن، بل إن الإمام الكاظم عليه السلام ضمن له وقد كان يقضي حوائج المؤمنين من موقعه في وزارة هارون أن لا يظله سقف سجن[1] أبدًا.. فكيف يكون مسجونًا أربع سنين ومات فيه؟.

والعبارة التي ذكرها شيخ الطائفة الطوسي في اختيار معرفة الرجال هي أوضح مما ذكره النجاشي، وأصرح ولا يتطرق إليها احتمال أن الكلام يعود على علي بن يقطين، فإنه رحمه الله قال: «علي بن يقطين مولى بني أسد، وكان قبل يبيع الابزار وهي التوابل، ومات في زمن أبي الحسن موسى عليه السلام، وأبو الحسن محبوس سنة ثمانين ومائة، وبقي أبو الحسن عليه السلام في الحبس أربع سنين، وكان حبسه هارون».[2]

وبهذا نرى أن ما ذكر من كون مدة سجنه 24 سنة، مما لا دليل عليه ظاهرًا، ومثل ذلك القول بأنها كانت 18 سنة أو 14 سنة.

(1) الطوسي، اختيار معرفة الرجال 2/ 315، قال أبو الحسن عليه السلام لعلي بن يقطين: اضمن لي خصلة أضمن لك ثلاثًا فقال علي: جعلت فداك وما الخصلة التي أضمنها لك؟ وما الثلاث اللواتي تضمنهن لي قال، فقال أبو الحسن عليه السلام: الثلاث اللواتي أضمنهن لك: ألا يصيبك حر الحديد أبدًا بقتل، ولا فاقة، ولا سجن حبس، قال، فقال علي: وما الخصلة التي أضمنها لك؟ قال، فقال: تضمن ألا يأتيك وليٌّ أبدًا الا أكرمته، قال فضمن عليٌّ الخصلة وضمن له أبو الحسن الثلاث.

(2) المصدر نفسه 313.

ولا يعني ذلك أننا نريد أن نخفف من جريمة السلطة العباسية وبالذات هارون فإننا قد قدمنا القول بأن سجن الإمام عليه السلام ولو ليوم واحد هو جرأة على الله سبحانه في أوليائه، فضلاً عن الأشهر والسنوات. لكن مقتضى النظر والتأمل في النصوص التاريخية ينتهي إلى هذا المعنى.

بقي أن نقول إن هناك رواية ذكرها الشيخ الصدوق في عيون أخبار الرضا ربما يستفيد منها البعض أن سجن الإمام كان 13 أو 14 سنة: قال: كانت لأبي الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام بضع عشرة سنة كل يوم سجدة بعد انقضاض الشمس إلى وقت الزوال فكان هارون ربما صعد سطحًا يشرف منه على الحبس الذي حبس أبو الحسن عليه السلام فكان يرى أبا الحسن عليه السلام ساجدًا فقال للربيع: يا ربيع ما ذاك الثوب الذي أراه كل يوم في ذلك الموضع؟! فقال: يا أمير المؤمنين ما ذاك بثوب وإنما هو موسى بن جعفر عليهما السلام له كل يوم سجدة بعد طلوع الشمس إلى وقت الزوال قال الربيع: فقال لي هارون: أما إنّ هذا من رهبان بني هاشم قلت: فما لك قد ضيقت عليه الحبس قال: هيهات لا بدَّ من ذلك![1]

بتقريب أنه إذا كان له بضع عشرة سنة وكل يوم في هذه

(1) الصدوق، عيون أخبار الرضا 1/ 88.

السنوات له سجدة.. فهذا يعني أن فترة سجنه لدى الربيع أكثر من ثلاث عشرة سنة!

وأول ما في هذه الرواية أن سندها غير تام بغير واحد ممن وردت أسماؤهم، وأن الثوباني الذي هو قائل الخبر غير متميّز فإنه لم يقع في سند أي رواية أخرى في كتب الصدوق، فهل هو علي بن سالم الذي لم يذكروه كما في مستدركات علم الحديث؟ أو هو هدبة بن خالد الذي وصفه النسائي بالضعيف أو هو عمار بن مروان الثقة كما في معجم السيد الخوئي؟

وثاني إشكالاتها؛ أنها تخالف ما يكاد يكون اجماعًا بين المؤرخين من أن بداية سجن الإمام في عهد هارون هو في نهاية سنة 179هـ وبعدها بأربع سنوات أي في سنة 183 هـ. كانت شهادة الإمام عليه السلام.. فمن أين جاءت السنوات الثلاث عشرة؟ فإن ذلك يعني أن هارون قد سجن الإمام في أول خلافته حيث كانت في سنة 170 هـ!.

ويحتمل أن تكون الرواية روايتين دمجتا فجاءتا بهذه الصورة، وقد يشير إلى ذلك أن الرواية التي نقلها ابن شهراشوب في المناقب هي هكذا: «اليُونَانِيُّ كَانَتْ لِمُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ بِضْعَ عَشْرَةَ سَنَةً كُلَّ يَوْمٍ سَجْدَةٌ بَعْدَ ابْيِضَاضِ الشَّمْسِ إِلَى وَقْتِ الزَّوَالِ. وَكَانَ عليه السلام أَحْسَنَ النَّاسِ صَوْتًا بِالْقُرْآنِ فَكَانَ إِذَا قَرَأَ يَحْزَنُ وَبَكَى السَّامِعُونَ لِتِلَاوَتِهِ وَكَانَ يَبْكِي مِنْ خَشْيَةِ حَتَّى تَخْضَلَّ لِحْيَتُهُ بِالدُّمُوعِ.

وبعدها نقل رواية عن سجن الإمام عليه السلام، فقال: أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ ـ دَخَلْتُ عَلَى الْفَضْلِ بْنِ الرَّبِيعِ وَهُوَ جَالِسٌ عَلَى سَطْحٍ فَقَالَ لِي أَشْرِفْ عَلَى هَذَا الْبَيْتِ وَانْظُرْ مَا تَرَى فَقُلْتُ ثَوْبًا مَطْرُوحًا»[1].. إلى آخر الرواية. وكذلك صنع العلامة المجلسي في البحار[2] ناقلًا عن المناقب.

وفصل الشيخ البحراني في العوالم بين النصين بقوله: قال، فجاءت روايته هكذا: «كانت لأبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام ـ بضع عشرة سنة ـ كل يوم سجدة بعد ابيضاض الشمس إلى وقت الزوال. قال: فكان هارون ربّما صعد سطحًا يشرف منه على الحبس..»[3] غير أن الروايتين في ما نعتقد جاءتا في كتاب العيون للصدوق وكأنهما رواية واحدة فأوهمت أن يكون له بضع عشر سنة وهو يسجد في سجن الربيع!.

وبناء على هذا فلا يمكن الاستدلال بها على كونه عليه السلام في السجن تلك المدة!

(1) ابن شهر آشوب، المناقب 4/ 318.
(2) المجلسي، بحار الأنوار 48/ 109.
(3) البحراني، العوالم، الإمام الكاظم 1/ 294.

أسماء في سجن الإمام الكاظم

نلتقي مع عدد من الأسماء التي كان لها موقف سلبي أو إيجابي في قضية سجن الإمام الكاظم عليه السلام لكي يرى القارئ العزيز أن كل شخص هو رهين بموقفه حتى لو مات وانتهى لكنّ موقفه الحسن أو السيء لا ينتهي بل يبقى علامة عليه: لعنةً أو رحمةً! والعاقل هو من يفكر في هذا بنحو سليم فيتخذ الموقف المناسب الذي يذكر به. ولسنا في صدد تقييم هذه الشخصيات أو كتابة ترجمة لها فهذا مما يخرج عن هدف هذا الكتاب ولكننا نذكر من ذلك ما يتصل ويرتبط بقضية الإمام موسى بن جعفر تكملة للصورة وتوضيحًا للحدث.

1/ عيسى بن جعفر بن [أبي جعفر] المنصور العباسي:

هو من حيث النسب يكون ابن عم لهارون، وأخ زبيدة زوجة هارون، وأخ سليمان بن جعفر الذي يذكر اسمه في أنه نزل لاستنقاذ نعش الإمام موسى بن جعفر من على الجسر من النداء الشائن كما يذكر في شهادته.

وكما هي عادة الحاكمين من توزيع المناصب على الأقربين فقد كان واليًا على البصرة وكانت وفاته سنة 192هـ، والذي يهمنا ها هنا هو أنه كان على البصرة حين أشخص إليها الإمام موسى بن جعفر عليه السلام مسجونًا من المدينة المنورة فكان عند عيسى بن جعفر هذا، ولم يظهر منه إساءة واضحة للإمام عليه السلام بل كان لا يكتم إعجابه به وأنه كان يكثر من الصلاة والعبادة والدعاء، ولم يكن في صدد الانتقام من ظالميه حتى بالدعاء عليهم! وهذا ما جعله يسمح لمن أراد الدخول على الإمام والالتقاء به بأن يفعلوا ذلك فالتقى بالإمام عدد من الناس وانتفعوا بعلمه وهدايته.

ومن ذلك ما ينقل من أن ياسين الضرير الزيات البصري لقي الإمام بالبصرة حينما سجن فيها، واختص به وروى عنه، وصنف كتابًا.

حسن تعامل عيسى أو غيره كما سيأتي ليس بالضرورة أن يكون ناتجًا عن إيمانه التام بإمامة الإمام عليه السلام وإنما قد يكون له وجوه مختلفة، فقد يكون يرى براءة الإمام مما هو متهم به وأنه مظلوم، فلا يستطيع من جهة أن يرفض تولي سجن الإمام حفاظًا على منصبه، ولكنه لا يكون قاسيًا في سجنه ومضيِّقًا عليه. أو ربما يفكر هذا الوالي أن بقاءه في الولاية غير مضمون مع (سوق)

التعيينات والعزل اليومي، فلماذا يبوء بإثم الظلم فيربح الخليفةُ السلطانَ، ويرجع هذا الوالي بالعزل وسوء الذكر؟

وعلى أي حال فقد ذكر عيسى بن جعفر بالذكر الحسن لتعامله غير السيء مع الإمام ﷺ، بل إن هارون لما أرسل إليه يأمره باغتياله رفض ذلك وأخبره بأنه لم يرَ منه إلا الخير، وأنه إن لم يتم استلامه منه فسيطلق سراحه!

2/ الفضل بن الربيع بن يونس:

وهو الذي سجن الإمام عنده بعد سجن البصرة، ذكروا أنه ولد سنة 138 هـ، وتوفي 208 هـ، وأنه خلف أباه الربيع في الحجابة، حيث كان أبوه الربيع حاجبًا للمنصور العباسي، ثم لابنه محمد المهدي، وبعده لابنه موسى الهادي العباسي، وفي أوائل أيامه (سنة 169 هـ) تمَّ قتله بالسم من جهة أعوان الهادي في قضية يذكرها بعض المؤرخين، فلم يدرك أيام هارون الرشيد العباسي، ولذلك تحمل الروايات التي ورد فيها ذكره مع هارون على الاشتباه والخلط بينه وبين ابنه الربيع، وكما هي العادة المتبعة لدى الخلفاء والسلاطين وموظفيهم فإن الأب يجهز ابنه ليأخذ دوره ويعرفه على مداخل الأمور حتى يليها بعد رحيله، فقد أصبح الفضل بن الربيع خليفة أبيه في الحجابة لهارون الرشيد،

واستمر في هذا طيلة حكم هارون (23 سنة) وبعده في أيام محمد الأمين حيث أصبحت كل الأمور بيده، ولما انهزم محمد الأمين وقتل على يد أخيه غير الشقيق المأمون، أبعد الفضل عن المناصب إلى أن مات في سنة 208 هـ.

ولأنّه كان في عهد هارون حاجبًا، فقد سلمه الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام بعدما قضى نحو سنة مسجونًا في البصرة عند عيسى بن جعفر المنصور، كما مرَّ، فأُخذ بعد ذلك إلى الفضل وبقي عنده مدة من الزمان لم تحددها المصادر التاريخية أو الروايات بالدقة إلى أن رأى هارون رؤيا أدت به إلى إطلاق سراح الإمام عليه السلام من السجن ليبقى في بغداد تحت رقابة الخليفة وأجهزته.

وقد رأى بعض الباحثين[1] أن الفضل «كان من الموالين لآل البيت عليهم السلام ومحبيهم ومن المعتقدين بإمامتهم، وكانت بينه وبين البرامكة خصومة شديدة. صحب الإمام الصادق عليه السلام وروى عنه أيضًا. أمره هارون العباسي بحبس الإمام الكاظم عليه السلام في بيته، فبقي عنده مدة من الزمن، ثم أمره بقتل الإمام عليه السلام فأبى وامتنع..»

(1) الشبستري، عبد الحسين: أحسن التراجم لأصحاب الإمام موسى الكاظم 2/ 17.

وفي نفس الوقت فقد كان طرفًا في التنافس والصراع مع البرامكة حتى لقد رأى بعض الباحثين[1] أنه كان من أسباب نكبتهم بتحريضه هارون الرشيد عليهم، ومحاولات الإيقاع بهم، إلى أن حصل ذلك في شهر صفر سنة 187 هـ.

والقائلون بكونه من الموالين للإمام والمعتقدين بإمامته، يمكن لهم أن يقيموا على ذلك القرائن التالية:

1/ ما ورد من أنه صحب الإمام الصادق وروى عنه كما جاء في النص المذكور آنفًا.. فإن ذلك من قرائن اعتقاده بالإمامة، ويمكن مناقشة هذا في الكبرى والصغرى، فإن صحبة الإمام الصادق عليه السلام لا سيما بالمعنى الرجالي وهو مطلق المعاصرة لا دلالة فيها على الاعتقاد بالإمامة! كيف وهم يذكرون المنصور العباسي وهو قاتل الإمام بأنه من أصحاب الإمام الصادق؟ نظرًا لمعاصرته إياه. وهكذا الحال بالنسبة للرواية فإنه قد روى عن الإمام الصادق الكثير ممن لا يعتقد بإمامته.

وكذلك في صغرى القضية حيث أنّ لنا أن نشكك في أنْ يكون

(1) قال خير الدين الزركلي في كتابه الأعلام 5/ 148 في ترجمة الفضل: كان صاحب الترجمة من كبار خصومهم، حتى ضربهم الرشيد تلك الضربة، قال صاحب غربال الزمان: وكانت نكبتهم على يديه. وولي الوزارة إلى أن مات الرشيد. قال أبو نواس:

إن دهرا لم يرع عهدا ليحيى غير راع ذمام آل ربيع

الربيع قد صحب الإمام أو روى عنه، لا سيما وأن ولادة الفضل كانت في 138 هـ. بينما كانت شهادة الإمام الصادق عليه السلام في 148هـ، وكان الإمام في المدينة والفضل ولادته في بغداد، حيث كان أبوه حاجبًا للمنصور! فنحن نستبعد جدًا أن يكون ممن صحب الإمام وروى عنه!

2/ ما ورد في رواية الحج المروية عن الإمام علي بن موسى الرضا المنقولة في كتاب التهذيب[1] للشيخ الطوسي، حيث يظهر فيه أن الفضل بن الربيع كان يقتدي بالإمام موسى بن جعفر عليه السلام في حجه، فعن: «صفوان بن يحيى قال: قلت لأبي الحسن علي بن موسى بن جعفر عليه السلام إنّ ابن السراج روى عنك أنه سألك عن الرجل أهلّ بالحج ثم دخل مكة فطاف بالبيت وسعى بين الصفا والمروة يفسخ ذلك ويجعلها متعة فقلت له: لا. فقال: قد سألني عن ذلك فقلت له: لا، وله أن يُحِل ويجعلها متعة وآخر عهدي بأبي عليه السلام أنه دخل على الفضل بن الربيع وعليه ثوبان وساج (طيلسان يعني أنه مُحل) فقال له الفضل بن الربيع: يا أبا الحسن لنا أسوة أنت مفرد للحج وأنا مفرد للحج فقال له أبي: لا. ما أنا مفرد للحج أنا متمتع! فقال

(1) الطوسي، محمد بن الحسن: تهذيب الأحكام 5/ 89.

له الفضل بن الربيع: فلي الآن أن أتمتع وقد طفت بالبيت فقال له أبي: نعم. فذهب بها محمد بن جعفر إلى سفيان بن عيينة وأصحابه فقال لهم إن موسى بن جعفر عليه السلام قال للفضل بن الربيع كذا وكذا يشنع بها على أبي..»

فإنه يظهر من هذه الرواية أن الفضل اقتدى في حجه بالإمام بعدما سأله عن جواز تحويل حجه من الإفراد إلى التمتع بعدما طاف! خلافًا لما كان عليه سفيان بن عيينة وباقي الفقهاء!

3/ كما أن معاملة الفضل بن الربيع الحسنة للإمام في السجن، ومعرفته بأصحابه ومواليه حتى أنه جعل أحدهم[1] يشرف على الإمام وهو في حالة السجود ويحدثه عن عبادته، باعتباره مولى وسيد ذلك الشخص الشيعي يشير إلى ولاء الفضل للإمام، بل تشير بعض الروايات إلى أن الإمام عليه السلام

(1) تقدم ذكر الرواية؛ الصدوق، محمد بن علي بن بابويه: الأمالي 211 عن عبد الله القروي، قال: «دخلت على الفضل بن الربيع وهو جالس على سطح، فقال لي: ادن مني، فدنوت حتى حاذيته، ثم قال لي: أشرف إلى البيت في الدار، فأشرفت فقال: ما ترى في البيت؟ قلت: ثوبًا مطروحًا. فقال: انظر حسَنًا، فتأملت ونظرت فتيقنت، فقلت: رجلٌ ساجدٌ. فقال لي: تعرفه؟ قلت: لا. قال: هذا مولاك! قلت: ومن مولاي؟ فقال: تتجاهل علي؟ فقلت: ما أتجاهل، ولكن لا أعرف لي مولى.
فقال: هذا أبو الحسن موسى بن جعفر عليه السلام، إني أتفقده الليل والنهار فلم أجده في وقت من الأوقات إلا على الحال التي أخبرك بها..

لم يكن يثق في الطعام الذي يقدم إليه إلا ما كان من جهة الفضل بن الربيع[1] دون ما كان من جهة البرامكة فضلًا عن مثل السندي بن شاهك.

4/ إن الإمام عليه السلام في مواضع متعددة قد علمه بعض أدعية الحفظ، وقد انتفع بها الفضل، ومن ذلك ما يذكر من أن هارون كان قد عزم على قتل الإمام موسى وطلب من الفضل أن يحضره إليه، لكن ببركة دعاء الإمام تغير الأمر وأصبح محل تكريم من هارون وحين تعجب الفضل من الحالتين المختلفتين اللتين رآهما في هارون، وسأله أجابه عن رؤيته لأشخاص يهددونه بحراب إن آذى موسى بن جعفر، وحين سأل الإمام عن ذلك أخبره الإمام بأنه قرأ دعاء الحفظ عن أمير المؤمنين علي عليه السلام وعلمه إياه.

والسؤال هل يكفي ما تقدم للحكم عليه بأنه من الموالين والمعتقدين لإمامته؟

لا سيما وأنه يمكن أن تقدم في هذا قرائن مخالفة؛ منها:

(1) الصدوق، الأمالي212.. حتى عندما «حول إلى الفضل بن يحيى البرمكي، فحبس عنده أيّامًا، وكان الفضل بن الربيع يبعث إليه في كل ليلة مائدة، ومنع أن يدخل إليه من عند غيره، فكان لا يأكل ولا يفطر إلا على المائدة التي يؤتى بها..

1/ ما نلاحظه من تعامل الإمام ﷺ مع بعض مواليه وشيعته، الذين كانوا يعملون في السلطة بتوجيه منه أو إذن على الأقل كعلي بن يقطين، وداود بن زربي وكيف أن بعضهم حاول الاستقالة وترك العمل في الديوان السلطاني ولكن الإمام ﷺ لم يسمح لهم بذلك! وفي المقابل قرر لهم وظائف فقهية خاصة تشتمل على التقية لصيانتهم وحفظهم.. بينما لا نجد مثل ذلك في حال الفضل بن الربيع.

2/ إن ما سبق ذكره من قرائن تنتهي إلى نتيجة قد تتناسب مع الإعجاب بعلم الإمام وبعبادته، وبأنه أقرب إلى الله سبحانه من سواه من الفقهاء والعلماء الآخرين، من دون أن يكون ذلك نابعًا عن اعتقاد بإمامته بالنحو الذي يعتقده الشيعة في أئمتهم وكونهم معصومين ومنصوبين من الله سبحانه. ولعل هذا هو ما رآه المولى الوحيد البهبهاني حيث قال كما نقله عنه العلامة المامقاني: إنه كان له ميل ومحبة لأهل البيت ﷺ، ولكن الوحيد ذكر أنه روى عن الإمام الصادق ﷺ، وقد تقدم منا التأمل والتنظر في صحة ذلك، وعدم تناسب تاريخ ميلاده مع شهادة الإمام الصادق ﷺ، وبيئة طفولته مع كون الإمام في المدينة.

ونعتقد أن قول الوحيد في كون علاقته بالإمام علاقة محبة وميل له هي أقرب من القول باعتقاده إمامته. وما نقل من النصوص بينه وبين الإمام موسى بن جعفر لا تتحمل أكثر من هذا المقدار! لا سيما أن الاعتقاد بإمامتهم كان يُقرَن بالخيانة العظمى عند العباسيين ولا سيما هارون، وقد رأينا كيف تتبع من كان يشِي بهم من أنهم يعتقدون بالإمامة حتى يعاقبهم هارون لكن الله كان يستر عليهم! فكيف يكون حاجبه معتقدًا بإمامة الإمام ولا يَشِي به ولا يخبر عنه أحدٌ لا سيما وأن مثل هذا لم يكن ليخفى! فهو مستهدف لو كان كذلك من قبل منافسيه البرامكة ومن جهة غيرهم!

وفي المقابل رأى العلامة المامقاني أنه كان من المعتقدين بإمامة الإمام لكنه غلب عليه حب الدنيا، فقال في تنقيح المقال: «وقال المولى الوحيد رحمه الله أنّه صاحب الرّشيد الملعون روى عن الصّادق والكاظم عليهما السلام كان له ميل ومحبّة بالنسبة إلى أهل البيت عليهم السلام انتهى واقول الّذي يظهر من الأخبار أنّه كان معتقدًا بإمامة الأئمة عليهم السلام إلّا أنّه قدم دنياه على دينه فلا اعتماد على خبره إلّا إذا اقترن بقرائن مورثة للوثوق بخبره».[1]

(1) المامقاني، الشيخ عبد الله: تنقيح المقال ج2 القسم2 ص 8: 9465 الفضل بن الرّبيع.

3/ الفضل بن يحيى البرمكي

عرّفه الزركلي بالقول: الفضل بن يحيى بن خالد البرمكي (147 ـ 193هـ): وزير الرشيد العباسي، وأخوه في الرضاع: استوزره الرشيد مدة قصيرة، ثم ولاه خراسان سنة 178هـ فحسنت فيها سيرته، وأقام إلى أن فتك الرشيد بالبرامكة (سنة 187 هـ) وكان الفضل عنده ببغداد، فقبض عليه وعلى أبيه يحيى، وأخذهما معه إلى الرقة فسجنهما وأجرى عليهما الرزق، واستصفى أموالهما وأموال البرامكة كافة. وتوفي الفضل في سجنه بالرقة.

وقد صُيّر الإمام الكاظم عليه السلام إليه بعد أن أخرج من سجن الفضل بن الربيع، كما تقدم، ويكاد المؤرخون يتفقون على أنه لم يضيق على الإمام في سجنه،[1] ولذلك تمت معاقبته من جهة

(1) المفيد، الإرشاد 2/ 241: «.. وكان عليه السلام مشغولًا بالعبادة يحيي الليل كله صلاة وقراءة للقرآن ودعاءً واجتهادًا، ويصوم النهار في أكثر الأيام، ولا يصرف وجهه من المحراب، فوسع عليه الفضل بن يحيى وأكرمه. فاتصل ذلك بالرشيد وهو بالرقة فكتب إليه ينكر عليه توسعته على موسى ويأمره بقتله، فتوقف عن ذلك ولم يقدم عليه، فاغتاظ الرشيد لذلك ودعا مسرورًا الخادم فقال له: اخرج على البريد (دواب البريد السريعة) في هذا الوقت إلى بغداد، وادخل من فورك على موسى بن جعفر، فإن وجدته في دعة ورفاهية فأوصل هذا الكتاب إلى العباس بن محمد ومره بامتثال ما فيه.
وسلم إليه كتابًا آخر إلى السندي بن شاهك يأمره فيه بطاعة العباس بن محمد. قدم مسرور فنزل دار الفضل بن يحيى لا يدري أحد ما يريد، ثم دخل على موسى بن جعفر عليه السلام فوجده على ما بلغ الرشيد، فمضى من فوره إلى العباس بن محمد والسندي بن شاهك فأوصل الكتابين إليهما، فلم يلبث الناس أن خرج الرسول يركض إلى الفضل بن يحيى، فركب معه وخرج مشدوها دهشا حتى =

هارون لكنهم يختلفون في الباعث على ذلك، فهل ذلك كان لأجل إيمان الفضل بإمامة موسى بن جعفر وأنه تشيع على أثر رؤيته كرامات الإمام عليه السلام. أو أن الأمر كان كما كان لمنافسه الفضل بن الربيع وأنه كان في حدود الاعجاب، من دون أن يجر إلى التشيع بالمعنى الخاص والإيمان بالإمامة! آراء:

- فيظهر من الشيخ علي الكوراني في كتابه «سيد بغداد» الميل إلى الأول.

ولا نعلم من أين استفاد الشيخ الكوراني حفظه الله أن الفضل «قد تشيّع وأخذ يفكّر جديًّا في انقلاب على العباسيين لمصلحة بعض العباسيين أو العلويين، وبحث ذلك مع أبيه وأخيه في سرية تامة عن هارون»؟ فإننا لا نجد قرائن على ذلك بل توجد قرائن على خلافه، وبشكل أخص على موقف أبيه (يحيى بن خالد البرمكي) السيئ تجاه الإمام عليه السلام حتى لقد عُصب تسميم الإمام عليه السلام بيحيى، وقد ذكره نفسه في موضع آخر من كتابه،[1]

= دخل على العباس بن محمد، فدعا العباس بسياط وعقابين وأمر بالفضل فجرد وضربه السندي بين يديه مائة سوط، وخرج متغير اللون خلاف ما دخل، وجعل يسلم على الناس يمينًا وشمالًا.

(1) والسؤال الثاني: هل يمكن القول إن سبب نقمة هارون على البرامكة، أنهم فكروا بانقلاب على العباسيين لمصلحة العلويين، أو أنهم تعاطفوا مع الإمام الكاظم عليه السلام في أواخر أيام سجنه، وهل يؤيد ذلك أن هارون تعمد إبقاء سبب نقمته عليهم سرًا، وما رواه الطوسي في الغيبة/ 25: «وكان يحيى يتولاه، وهارون لا يعلم ذلك»؟ =

فكيف يتباحث الفضل مع أبيه في انقلاب على العباسيين؟.

وأضاف في هذا الموضع قائلا: «لكن ابنه الفضل رفض إطاعة أوامر هارون، ومعناه أنه كان يميل إلى الإمام ويعتقد بأنه ولي، أو إمام»!.

ونقول إننا لا نرى سببًا واضحًا للقول بأن الفضل كان يعتقد أن موسى بن جعفر هو إمام، بل نعتقد أن مظلومية الإمام الكاظم عليه السلام قد استقطبت أكثر من تعامل معه، فإنه مع عظمة شخصيته نسَبًا وحسَبًا وعلمًا وعملًا، تمت معاملته بأسوأ أنحاء المعاملة من غير مبرر حتى لو كان صوريًا! وفي المقابل تجلى الصبر على الأذى عنده والصمود بأجلى معانيه، والترفع عن الانتقام كذلك؛ الأمر الذي جعل عيسى بن جعفر المنصور الذي كان مشرِفًا على سجنه الأول يقول: إنه راقبه فما وجده حتى يذكرهم في الدعاء بسوء! ولا ريب أن هذه النفوس العالية تستقطب الناس وتجذبهم!

= **والجواب**: أن هذا الاحتمال لا ينهض مقابل ما يعارضه، فقد روت مصادرنا عمل يحيى بن خالد البرمكي لقتل الإمام الكاظم عليه السلام وسعيه به إلى هارون، وتوظيفه بعض أقارب الإمام عليه السلام واستقدامهم ليشهدوا عليه عند هارون!

ولا ينهض مقابل أن الإمام الرضا عليه السلام كان يدعو عليهم في عرفات لأنهم سعوا في قتل أبيه، قال عليه السلام: «إني كنت أدعو الله تعالى على البرامكة بما فعلوا بأبي، فاستجاب الله لي اليوم فيهم! فلما انصرف لم يلبث إلا يسيرًا حتى بُطش بجعفر ويحيى، وتغيرت أحوالهم» (عيون أخبار الرضا عليه السلام: 1/ 245).

فاليقين في أمرهم: إن الذي سعى بقتل الإمام الكاظم عليه السلام هو يحيى كما نصت أحاديثنا.

وهذا الانجذاب والاعجاب أعم من أن يكون مقرونًا بالاعتراف بإمامته وعدم الاعتراف!

ورفض الفضل بن يحيى الاستجابة لأمر هارون بقتل الإمام عليه السلام لا يدل على الاعتراف بإمامته بالضرورة، فقد رفض قبله كل من سجن الإمام؛ عيسى بن جعفر في البصرة، والفضل بن الربيع في بغداد، وقد يكون ذلك راجعًا لأسباب متعددة ولا ينحصر الأمر بالاعتراف بالإمامة، فقد يرى بعضهم أن الشخص هذا لم يأت بجناية تستوجب قتله وبالتالي فهو لا يريد أن يبوء بإثم قتله! وقد يكون ذلك لما يرون من أن الخليفة أحيانًا يأمر شخصًا بقتل رجل سرًا ثم يعاقبه في العلانية بأنه قتل ذلك الشخص من دون إذنه! وقد يرى هؤلاء أن مناصبهم كما جاءت بها الريح تذهب بها العاصفة وأنه لا أحد يدوم في السلطة، ولا وفاء للملوك! فلماذا يقتل شخصًا ويدعم أركان سلطان ثم يكون عاقبته العزل والطرد؟

المهم أن الفضل بن يحيى لما رأى «الإمام مشغولًا بالعبادة يحيي الليل كله صلاة وقراءة للقرآن ودعاء واجتهادًا، ويصوم النهار في أكثر الأيام، ولا يصرف وجهه من المحراب، وسع عليه الفضل بن يحيى وأكرمه»[1].

(1) المفيد، الإرشاد2/ 241.

4 / السندي بن شاهك

سيفٌ باغٍ وكرباجٌ قاسٍ هي خلاصة حياة هذا الرجل المجرم! فلم يترك له من ذكرٍ في التاريخ سوى أنه جلد فلانًا مائة سوط، وقتل فلانًا في سجنه! وتبًّا لهذا الذكر في الدنيا وتعسًا لهذا المصير في الآخرة.

ولولا أن الله سبحانه وتعالى أكرم أسرته بحلول الإمام موسى بن جعفر عليه السلام سجينًا في أول أمره في منزل قريب من نسائه وأهل بيته فكان أن حلت كرامة الله على تلك الأسرة دونه! فأصبحت أخت السندي مأخوذة بعبادته وتوجهه لربه، وكانت تعترض على أخيها المنفذ وعلى الخليفة الآمر، بأنّ من يتعرض له بالأذى خفيف الميزان! ولا نعرف عن أبنائه وتأثرهم لكن حفيده محمود المعروف بكشاجم[1] كان من المعروفين بمجاهرتهم بولاء أهل البيت عليهم السلام.

(1) ذكره السيد جواد شبر في أدب الطف 2/ 45 فقال: كشاجم أبو الفتح محمود بن الحسين بن السندي بن شاهك الرملي المعروف بكشاجم.
نسبة إلى الرملة من أرض فلسطين. وإنما لقب بكشاجم إشارة بكل حرف منها إلى علم: فبالكاف إلى أنه كاتب، وبالشين إلى أنه شاعر، وبالألف إلى أنه أديب، وبالجيم إلى أنه منجم، وبالميم إلى أنه متكلم. فكان كاتبًا شاعرًا أديبًا جامعًا منجمًا، وكان مؤلفًا صنف في أفانين العلوم. ذكره ابن شهرآشوب في شعراء أهل البيت عليهم السلام المجاهرين وله قصائد في مدح آل محمد، وجمع ديوانه أبو بكر محمد بن عبد الله الحمدوني مرتبًا على الحروف وألحق به بعد ما تمّ جمعه زيادات أخذها عن أبي الفرج بن كشاجم سماه (الثغر الباسم من شعر كشاجم) مطبوع. ذكر صاحب شذرات الذهب أنه توفي سنة 360. أما الزركلي في الأعلام فيقول: إنه توفي =

نعود إلى الصفحة السوداء التي خربش فيها السنديُّ حياته! فيعرف عنه أنه كان مولى أبي جعفر المنصور العباسي، وكانت نهاية حياته السيئة في سنة 204 هـ. تقلّبَ في أعمال التعذيب والإيذاء لكل من كان يخالف الحاكم الفعلي ولو كان رب نعمته بالأمس، فهكذا هي حياة (عبدة الطاغوت) لا يعرف غير أمر الحاكم مهما كان! ولأن هؤلاء الحكام يعرفون في هؤلاء العبيد هذه الصفة فهم يلعبون بهم، فيولونهم حتى يذوقوا طعم الولاية والمال، ثم يعزلونهم من دون سببٍ لكي يسوقوهم للقيام بأي عملٍ، من أجل أن يحظوا من جديد بثقة الحاكم! وفي هذا السباق قد يتآمر بعضهم على بعض ويكيد بعض لبعض.

من أمجاده!:

- أنه ضرب محمدًا بن أبي عمير (محمد بن زياد) الفقيه الكبير وهو من أصحاب الإمامين الكاظم والرضا، مائة وعشرين خشبة وكان ذلك في زمان هارون! الذي يسمونه بالعصر الذهبي!.

= سنة 350.قال الشيخ القمي في الكنى أقول: كانت عمة والد كشاجم أخت السندي من المحبين لأهل البيت وكانت تلي خدمة موسى بن جعفر عليه السلام لما كان في محبس السندي.

- وتولى تعذيب وضرب يحيى بن عبد الله بن الحسن[1] في السجن فمات فيه!.
- وجلد الفضل بن يحيى البرمكي (حاجب هارون الخليفة) مائة سوط، عقوبة له لأنه لم يشدد على الإمام موسى بن جعفر في الفترة التي سجن فيها الإمام لدى الفضل البرمكي، كما مرَّ في صفحات سابقة. وحتى خرج هذا على أثر جلده لا يعقل ما يصنع!

وأخيرًا كان هو سيف مسرور الخادم الذي أرسله هارون لقتل جعفر بن يحيى البرمكي (أخي هارون من الرضاعة) سنة 187هـ، وقطع بدنه أربعة أوصال جعل كل وصلة منها على بوابة بغداد!

- تمت مكافأته بأن جعل على ولاية دمشق فترة من الزمن، عزل بعدها منها، وهلك في سنة 204هـ.
- وتولى بشقاوته تسميم الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام،

(1) يحيى بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط، نهض بالثورة مع الحسين بن علي بن الحسن المثلث شهيد فخ، ولم يقتل في المعركة، بل نجا واستتر ثم ذهب إلى الديلم، وثار فيها على هارون العباسي فوجه إليه جيشا كبيرًا ودعاه إلى الاستسلام صلحًا ففعل ذلك بعقد مكتوب مؤكد على عدم غدر أي منهما بالآخر وأمان يحيى عندما يستسلم، فلما جاء إلى بغداد جعله في السجن واستفتى! العلماء في قتله، وبينما رفض أكثر الحاضرين ذلك وافق عليه عبد الله بن مصعب الزبيري وقام بنفسه فمزق العهد المكتوب! وانتهى أمر يحيى إلى أن قتل في داخل سجنه. قيل مسمومًا وقيل إنه بالجوع والعطش.

وحاول إخفاء الجريمة بأن جاء بجماعة لكي يشهدوا على أنّ موسى بن جعفر مات حتف أنفه ولم يصبه جرح ولا خنق ولا غير ذلك! لكن متى كانت الجرائم تخفى؟ العجيب أن أكثر المصادر التاريخية تشير إلى أنه مات مسمومًا، ولكيلا يعصبوا الأمر بهارون أشاروا بالتحديد للمنفذ وهو السندي! والواقع أن كليهما مسؤولان ومحاسبان أمام الله على ذلك. بل لقد شرحت المصادر التاريخية من مدرسة أهل البيت ومدرسة الخلفاء القضية بالتفصيل الوافي.

- عبر عنه الإمام موسى بن جعفر في وصيته بـ (الرجس)[1] وكفى بهذا اللقب تعريفًا بشخصيته!.

وللاطلاع على شيء مما كان يجري في السجون أيام العباسيين ولا سيما في فترة العصر الذهبي الذي يزعمونه أيام هارون وما حولها. ننقل نصًا من مجلة الرسالة التي أصدرها أحمد حسن الزيات باشا (المتوفى: 1388هـ) ففي مقال في عددها الثلاثين ذكر فيه بعض المعلومات عن السجون في العصر العباسي جاء فيه:

(1) الصدوق، عيون أخبار الرضا 1/ 95: في كلام الإمام الكاظم للمسيب بن زهير: يا مسيب إن هذا الرجس السندي شاهك سيزعم أنه يتولى غسلي ودفني هيهات هيهات أن يكون ذلك ابدًا..

«كان في بغداد أنواع منوعة من السجون. فهناك المطبق[1] وهو حبس مظلم كبير، كان المنصور قد بناه بين طريق البصرة وطريق باب الكوفة. وباسمه سُمي الشارع الذي يقع هذا السجن فيه. وكان متين البناء قوي الأساس. وبقي أهم سجون بغداد حتى عهد المتوكل. وكان فيها سجن آخر عند باب الشام، إذا ذكروه قالوا: السجن عند باب الشام وكان يهاجَم دائمًا. وكان عليه عثمان بن نهيك، وقُتل في فتنة الراوندية فلما كان زمن المعتصم أمر أن يُبنى حبس في بستان موسى، كان القيّم به مسرورًا مولى الرشيد. يقول التنوخي (وكان هذا البناء يرى من دجلة إذا ركبها المرء وكان كالبئر العظيمة، قد حفرت إلى الماء أو قريب منه، وفيها بناء على هيئة المنارة مجوف من باطنه، وله من داخله مدرج قد جعل في مواضع من التدريج مستراحات، وفي كل مستراح شبيه بالبيت، يجلس فيه رجل واحد، كأنه على مقداره، يكون فيه مكبوبًا على وجهه، وليس يمكنه أن يجلس ولا يمد رجله).

ولا نستطيع وصف ما فيها على التفصيل؛ وإنما نعلم أنها كانت ذات أقسام، فحبس للزنادقة، وحبس للعوام، وحبس للنساء، وكان في المطبق الغرف الواسعات والضيقة. وكان فيه الآبار يسجن

(1) وهو الذي سجن فيه كما يظهر أبناء الحسن المجتبى.

فيها. حدث يعقوب بن داود وزير المهدي قال حبسني المهدي، وذلك في المطبق. فدليت بحبل في بئر مظلمة لا أرى فيها الضوء قد بنيت عليها قبة، فكنت فيها خمس عشرة سنة.

وربما سجنوا في أماكن ومحال أخرى. فقد سجن سليمان بن وهب في كنيف (بيت الخلاء) قال: فأخذني اسحاق (بن إبراهيم، صاحب الشرطة) وحبسني في كنيف، وأغلق عليّ خمسة أبواب. فكنت لا أعرف الليل من النهار، وسُجن المحسن بن أبي الحسن بن الفرات في كنيف داخل الحجرة، ودلّوا في بئره رأسه بعد أن قُيّد وأُلبس جبة صوف غمست بالنفط. وربما سجنوا في الحجر الضيقة المظلمة، حدث أبو الحسن بن أبي الطاهر قال: قبض محمد بن القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب في وزارته للقاهر بالله، على أبي وعليّ معًا فحبسنا في حجرة ضيقة، وأجلسنا على التراب.

وكان الحبس الذي سجن فيه المهدي إبراهيم الموصلي مكانًا شبيهًا بالقبر مملوءًا بالأفاعي والبق. ولما سير المنصور جماعة من أبناء علي إلى الكوفة وحبسوا في سرداب تحت الأرض، لا يفرقون فيه بين ضياء النهار أو سواد الليل».[1]

(1) مجلة الرسالة (641/ 30). نسخة الكترونية في موقع الموسوعة الشاملة.

ويكفي أن نتعرف على مقدار معاناة الإمام عليه السلام في سجن السندي، أنّ الذي خفف عليه وهو الفضل بن يحيى قد جلد مائة سوط بيد السندي المجرم هذا، فإذا كانت عقوبة حاجب هارون المفضل هي مائة جلدة بسبب تخفيفه القيود والأذى عن الإمام، فكيف ستكون عقوبة الإمام نفسه وإيذاؤه بواسطة هذا المجرم؟ وهكذا إذا كان قد جلد محمد بن أبي عمير مائة خشبة لموالاته للإمام واتباعه إياه فكيف ستكون عقوبات الإمام عليه السلام نفسه ؟

لعل النص الوارد في الصلوات على الإمام والذي لا نظير له في نصوص الزيارات والصلوات قد حرص على تخليد شيء من معاناة الإمام عليه السلام حيث ذكر فيها التعذيب في قعر السجون وظلم المطامير وأنه ذو الساق المرضوضة بالقيود والأصفاد.. فقد روى السيد ابن طاووس في كتابه مصباح الزائر هذه الفقرات في الصلاة عليه: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَهْلِ بَيْتِهِ، وَصَلِّ عَلَى مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ وَصِيِّ الْأَبْرَارِ، وَإِمام الْأَخْيَارِ، وَعَيْبَةِ الْأَنْوَارِ، وَوَارِثِ السَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ، وَالْحِكَمِ وَالْآثَارِ، الَّذِي كَانَ يُحْيِي اللَّيْلَ بِالسَّهَرِ إِلَى السَّحَرِ بِمُوَاصَلَةِ الِاسْتِغْفَارِ، حَلِيفِ السَّجْدَةِ الطَّوِيلَةِ، وَالدُّمُوعِ الْغَزِيرَةِ، وَالْمُنَاجَاةِ الْكَثِيرَةِ، وَالضَّرَاعَاتِ الْمُتَّصِلَةِ، وَمَقَرِّ

النُّهَى وَالْعَدْلِ، وَالْخَيْرِ وَالْفَضْلِ، وَالنَّدَى وَالْبَذْلِ، وَمَأْلَفِ الْبَلْوَى وَالصَّبْرِ، وَالْمُضْطَهَدِ بِالظُّلْمِ، وَالْمَقْبُورِ بِالْجَوْرِ، وَالْمُعَذَّبِ فِي قَعْرِ السُّجُونِ، وَظُلَمِ الْمَطَامِيرِ، ذِي السَّاقِ الْمَرْضُوضِ بِحِلَقِ الْقُيُودِ، وَالْجِنَازَةِ الْمُنَادَى عَلَيْهَا بِذُلِّ الِاسْتِخْفَافِ، وَالْوَارِدِ عَلَى جَدِّهِ الْمُصْطَفَى، وَأَبِيهِ الْمُرْتَضَى، وَأُمِّهِ سَيِّدَةِ النِّسَاءِ، بِإِرْثٍ مَغْصُوبٍ، وَوَلَاءٍ مَسْلُوبٍ، وَأَمْرٍ مَغْلُوبٍ، وَدَمٍ مَطْلُوبٍ، وَسَمٍّ مَشْرُوبٍ.

اللَّهُمَّ وَكَمَا صَبَرَ عَلَى غَلِيظِ الْمِحَنِ، وَتَجَرَّعَ غُصَصَ الْكَرْبِ، وَاسْتَسْلَمَ لِرِضَاكَ، وَأَخْلَصَ الطَّاعَةَ لَكَ، وَمَحَضَ الْخُشُوعَ، وَاسْتَشْعَرَ الْخُضُوعَ، وَعَادَى الْبِدْعَةَ وَأَهْلَهَا، وَلَمْ يَلْحَقْهُ فِي شَيْءٍ مِنْ أَوَامِرِكَ وَنَوَاهِيكَ لَوْمَةُ لَائِمٍ، صَلِّ عَلَيْهِ صَلَاةً نَامِيَةً مُنِيفَةً زَاكِيَةً، تُوجِبُ لَهُ بِهَا شَفَاعَةَ أُمَمٍ مِنْ خَلْقِكَ، وَقُرُونٍ مِنْ بَرَايَاكَ، وَبَلِّغْهُ عَنَّا تَحِيَّةً وَسَلَامًا، وَآتِنَا مِنْ لَدُنْكَ فِي مُوَالاتِهِ فَضْلًا وَإِحْسَانًا، وَمَغْفِرَةً وَرِضْوَانًا..»[1]

(1) ابن طاووس، مصباح الزائر 382.

من الدور العلمي للإمام الكاظم

عندما يتم الحديث عن الدور العلمي والفكري الذي قام به الإمام موسى بن جعفر الكاظم ﷺ، قد تتملك البعض الدهشة، إذ يتصورون أن الإمام ﷺ مع كونه في السجون كيف يتسنى له أن يقوم بمثل هذا الدور؟ وهذه الفكرة كما أشرنا في موضع آخر هي خاطئة فإن حياة الإمام الكاظم ﷺ كانت حافلة بالدور العلمي وتبليغ الشريعة للناس في أغلب فترات حياته، حتى قبل إمامته الفعلية، بل حتى في فترات سجنه كان لا يتوقف عن هذا العمل والقيام بهذا الدور، وستكون السطور التالية مع اختصارها شارحة لهذا المعنى.

أولًا: من دوره العلمي وأجوبته ومناظراته أيام طفولته وشبابه المبكر:

1/ نبدأ في هذا من زمان أبيه الإمام جعفر الصادق ﷺ، فمع أنه ﷺ قد غطت شمسه الساطعة كل ما حوله، إلا أن ابنه الكاظم ﷺ أيضًا برز في وقت مبكر جدًا بنحوٍ تنقل كلماته،

ففيما كان الإمام موسى في بدايات عمره،[1] سأله أبو حنيفة النعمان مسألة عقائدية كانت تضطرب فيها الأفهام، وتستغلها الجهات السياسية للتنصل من مسؤولية المعصية والانحراف، فأجاب الإمام عليه السلام أبا حنيفة جوابًا في غاية الاتقان، ولنسمع ما يقوله الإمام علي الهادي حفيده وهو ناقل الخبر عن آبائه عنه مما يشير إلى افتخاره عليه السلام بجواب جده واستشهاده به[2]: «قال: خرج أبو حنيفة ذات يوم من عند الصادق عليه السلام، فاستقبله موسى بن جعفر عليه السلام، فقال له: يا غلام! ممن المعصية؟ فقال: لا تخلو من ثلاثة: إمّا أن تكون من الله عزّ وجل وليست منه،

(1) يستفاد ذلك من تعبير أبي حنيفة عنه بـ (يا غلام). وفي نقل البحار 48/ 175عن أعلام الدين للديلمي التصريح بأنه خماسي أو سداسي، وسيأتي ذكر رواية عن الإمام موسى فيها التصريح بتصديه لجواب جماعة من اليهود في هذا العمر!

(2) حدثنا محمد بن أحمد السناني المكتب رضي الله عنه، قال: حدثنا محمد بن أبي عبد الله الكوفي، قال: حدثنا سهل بن زياد الآدمي، عن عبد العظيم بن عبد الله الحسني، عن الإمام علي بن محمد، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه الرضا علي بن موسى عليهم السلام، ونحن نلاحظ هنا أن الإمام عليًّا الهادي عليه السلام وهو الذي كان يقوم بإعادة تصحيح المفاهيم العقائدية كما سيأتي في كتاب خاص عنه، قد روى ذلك عن أبيه الجواد عن جده الرضا والإمام عليٌّ الرضا قد روى الحادثة عن أبيه موسى الكاظم، مما يشير في رواية كل واحد منهم عن الآخر إلى اعتزازه بذلك الجواب! ويلاحظ أن فكرة (أن الله خلق العبد وما عمل من معصية أو طاعة) والتي هي في الأصل فكرة أموية تنتهي إلى الجبر وعدم الاختيار وبالتالي رفع مسؤولية الحاكم الظالم عن معاصيه وانحرافاته قد تبنتها السلطة العباسية عندما تحالفت مع أهل الحديث وبالذات في أيام المتوكل العباسي، فأصبحت سنة أموية عباسية، وقد كان الإمام الهادي راويها يعيش ضمن تلك الظروف. وفي الحادثة معان أخر قابلة للتأمل والتدبر.

فلا ينبغي للكريم أن يعذبَ عبده بما لم يكتسبه، وإمّا أن تكون من الله عز وجل ومن العبد، فلا ينبغي للشريكِ القوي أن يظلمَ الشريكَ الضعيفَ، وإما أن تكون من العبدِ وهي منه، فإنْ عاقبه الله فبذنبه، وإن عفا عنه فبكرمه وجوده».[1]

2/ وأوضح منه في تصديه ما نقل من محاورته مع اليهود كما رواها الإمام علي الرضا عن أبيه موسى بن جعفر ﷺ قال: كنت عند (والدي) أبي عبد الله ﷺ ذات يوم وأنا طفل خماسي إذ دخل عليه نفرٌ من اليهود فقالوا: أنت ابن محمد نبيّ هذه الأمة والحجّة على أهل الأرض قال لهم: نعم. قالوا: إنا نجد في التوراة أنّ الله تبارك وتعالى آتى إبراهيم ﷺ

(1) الشيخ الصدوق: الأمالي 495، وقد نقلها ابن حمزة الطوسي في ثاقب المناقب/ 171 ببعض الاختلاف، فقال: اشتهر عند الخاص والعام من حديث أبي حنيفة حين دخل دار الصادق ﷺ فرأى موسى ﷺ في دهليز داره وهو صبي، فقال في نفسه: إن هؤلاء يزعمون أنهم يُعطَون العلم صبيةً وأنا أسبر ذلك، فقال له: يا غلام إذا دخل الغريب بلدة، أين يُحدِث؟ فنظر إليه نظر مغضب، وقال: يا شيخ أسأتَ الأدب، فأين السلام؟

قال: فخجلت ورجعت حتى خرجت من الدار وقد نبل في عيني، ثم رجعت إليه وسلمت عليه، وقلت: يا بن رسول الله، الغريب اذا دخل بلدة أين يحدث، فقال صلوات الله عليه: يتوقى شطوط البلد، ومشارع الماء، وفيء النُّزَّال، ومسقط الثمار، وأفنية الدور، وجادَّ الطرق، ومجاري المياه ورواكدها، ثم يحدث أين شاء، قال: قلت: يا ابن رسول الله ممن المعصية؟ فنظر اليّ وقال: اما أن تكون من الله أو من العبد أو منهما معًا، فإن كانت من الله فهو أكرم أن يؤاخذه بما لم يجْنِه، وان كانت منهما فهو أعدل من أن يأخذ العبد بما هو شريك فيه، فلم يبق إلّا أن يكون من العبد، فإن عفا فبفضله، وإن عاقب فبعدله.

وولده الكتاب والحكم والنبوة وجعل لهم الملك والإمامة وهكذا وجدنا ذريّة الأنبياء لا تتعدّاهم النبوة والخلافة والوصيّة فما بالكم قد تعداكم ذلك وثبت في غيركم ونلقاكم مستضعفين مقهورين لا يرقب فيكم ذمّة نبيّكم.

فدمعت عينا أبي عبد الله عليه السلام ثم قال: نعم لم تزل أمناء الله مضطهدة مقهورة مقتولة بغير حق والظلمة غالبة ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾[1]، قالوا: فإنّ الأنبياء وأولادهم علِموا من غير تعليم وأوتوا العلم تلقيناً وذلك ينبغي لأئمتهم وخلفائهم وأوصيائهم فهل أوتيتم ذلك؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام: ادنُ يا موسى فدنوت فمسح يده على صدري ثم قال: اللهم أيده بنصرك بحق محمد وآله.

ثم قال: سلوه عما بدا لكم قالوا: وكيف نسأل طفلاً لا يفقه قلت: سلوني تفقهًا ودعوا العنَت! قالوا: أخبرنا عن الآيات التسع التي أوتيها موسى بن عمران قلت: العصا وإخراجه يده في جيبه بيضاء والجراد والقمل والضفادع والدّم ورفع الطور والمنّ والسلوى آية واحدة وفلق البحر! قالوا: صدقت فما أعطي نبيّكم من الآيات التي نفت الشك عن قلوب من أرسل إليه قلت: آيات كثيرة أعدّها إن شاء فاسمعوا وعوا وافقهوا.

(1) سبأ: 13.

أمّا أول ذلك فأنتم تقرّون أنّ الجنّ كانوا يسترقون السمع قبل مبعثه فمنعت من أوان رسالته بالرجوم وانقضاض النجوم وبطلان الكهنة والسحر.

ومن ذلك كلام الذئب يخبر بنبوّته واجماع العدوّ والموالي على صدق لهجته وصدق أمانته وعدم جهله أيام طفوليته وحين أيفع وفتأ وكهل لا يعرف له شكل ولا يوازيه مثل.

ومن ذلك أن سيف بن ذي يزن حين ظفر بالحبشة وفد عليه مثل وفد قريش فيهم عبد المطلب فسألهم عنه ووصف لهم صفته فأقرّوا جميعًا بأنّ هذه الصفة في محمد ﷺ فقال: هذا أوان مبعثه ومستقره أرض يثرب وموته بها.

ومن ذلك أبرهة بن يكسوم قاد الفيلة إلى بيت الحرام لهدمه قبل مبعثه فقال عبد المطلب: إن لهذا البيت ربًّا يمنعه ثم جمع أهل مكة فدعا وهذا بعد ما أخبره سيف بن ذي يزن فأرسل تبارك وتعالى عليهم طيرًا أبابيل ودفعهم عن مكّة وأهلها[1]... واستمر يذكر لهم من معاجز وكرامات رسول الله 29 موردًا آخرها القرآن الكريم.. فقام أبوه الإمام الصادق إليه وقبّل بين عينيه قائلا: أنت القائم من بعدي.

(1) عطاردي، الشيخ عزيز الله: مسند الإمام الكاظم 2/ 161.

3/ ويظهر أن لقاءه بأهل الكتاب وأحبار اليهود والنصارى كان متكررًا فقد روي أن أحد القساوسة النصارى ويسمى بريهة[1] (بريه) قد قدم المدينة يطلب الإمام أبا عبد الله الصادق ليناظره في الإسلام والمسيحية، ولما لم يجده واجتمع مع هشام بن الحكم، وغلبه هشام، مرَّ به على الإمام موسى بن جعفر الذي قال له: يا بريهة كيف علمك بكتابك؟ قال: أنا به عالِمٌ، قال: كيف ثقتك بتأويله؟ قال: ما أوثقني بعلمي به، قال: فابتدأ موسى بن جعفر عليهما السلام يقرأ الانجيل، فقال بريهة: والمسيح لقد كان يقرأ هكذا، وما قرأ هذه القراءة إلّا المسيح، قال بريهة: إياك كنت أطلب منذ خمسين سنة أو مثلك، قال فآمن وحسن إيمانه.

ولم يقتصر الأمر على مناظراته مع اليهود أو النصارى أو فقهاء

(1) ذكره السيد الخوئي في معجم رجال الحديث، ج 4ص 204 فقال: بريه النصراني: قال الشيخ: «بريه النصراني، له كتاب، أخبرنا به ابن أبي جيد القمي، عن ابن الوليد، عن أحمد بن إدريس، وسعد بن عبد الله، والحميري، عن الحسن بن علي الكوفي، عن عبيس بن هشام الناشري، عنه.. آمن على يد أبي الحسن موسى عليه السلام وحسن إيمانه، رواه الكافي: الجزء 1، كتاب الحجة 4، باب أن جميع الكتب المنزلة عندهم عليهم السلام 34، الحديث 1. وهذه الرواية ذكرها الصدوق وفيها مجادلة هشام معه، وإلزامه بدين الإسلام، التوحيد: باب الرد على الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة 37، ولكن الموجود فيها بريهة بدل بريه. وطريق الشيخ إليه صحيح. أقول: إن النجاشي لم يتعرض لترجمة بريه النصراني، فلعله بنى على اتحاده مع بريه العبادي، ومن الغريب، عدم تعرض الشيخ له في الرجال مع ذكره له في الفهرست قبل بريه العبادي بلا فصل وهو دليل التعدد.

سائر المذاهب، وإنما كان يناقش ويعالج المشكلات الثقافية في داخل الإطار الشيعي فحين أظهر مقلاص الأسدي مقالة الغلو في الأئمة عليهم السلام وخرج التوجيه من الإمام الصادق بلعنه والبراءة منه، وكان قد سبق له موضع في وسط أتباع الأئمة ومواليهم، شكك البعض في ذلك فتارة أنكروا خروج هذا اللعن وأخرى بالقول بأنه كيف نؤمر أولًا بتوليه ثم بالبراءة منه؟ فكان جواب الإمام موسى عليه السلام شفاءً عندما سأله أحد أصحاب أبيه وهو عيسى شلقان: قلت لأبي الحسن (موسى) عليه السلام وهو يومئذ غلام قبل أوان بلوغه: جعلت فداك ما هذا الذي نسمع من أبيك؟ إنه أمرنا بولاية أبي الخطاب[1] ثم أمرنا بالبراءة منه. قال: فقال أبو الحسن عليه السلام من تلقاء نفسه إنّ خلق الأنبياء على النبوة فلا يكونون إلّا أنبياء، وخلق المؤمنين على الإيمان فلا يكونون إلّا مؤمنين، واستودع قومًا إيمانًا فإن شاء أتمه وإن شاء سلبهم إياه، وإنّ أبا الخطاب كان ممن أعاره الإيمان فلما كذب على أبي سلبه الإيمان، قال (عيسى): فعرضت هذا الكلام على أبي عبد الله عليه السلام قال: فقال لو سألتنا عن ذلك ما كان ليكون عندنا غير ما قال[2].

(1) تقدمت ترجمته.

(2) عطاردي، مسند الإمام الكاظم 1/ 439.

بل ربما تحدث الإمام موسى وأبوه الإمام جعفر حاضر[1] فيستحسن جوابه ويشير إلى خلافته وإمامته بعده.

ثانيًا / من أحاديثه وعلومه فترة إمامته عليه السلام:

1/ بدءًا من سنة 148هـ وحيث كان للإمام موسى عليه السلام عشرون سنة تصدى لمنصب الإمامة وما تتطلبه من مواجهة الاشكالات العقائدية والفقهية وغيرها، وبطبيعة الحال كانت السلطة العباسية يهمها إسقاط النموذج الإمامي بين الناس بأية وسيلة ممكنة، فكانت الأسئلة (الصعبة في رأيهم) والتي لا يتمكن من الإجابة عليها هي الخيار المناسب. وبالرغم من أن المهدي العباسي لم يكن في قسوة أبيه المنصور ولا في خبث ابنه موسى الهادي أو مكر هارون العباسي إلا أنه لم يكن بطبيعة الحال حسن التعامل والموقف مع الإمام موسى بن جعفر وهو يراه امتدادًا لخط الإمامة الذي ينازعه خط الخلافة ولاءَ الناس وطاعتهم واستجابتهم، فحتى لو أقر للإمام بفضيلة فليس يعني ذاك أنه سوف ينفتح عليه ويفتح له الأبواب.. كلا وإنما قد يلقي سؤالًا فإن عجز عنه الإمام (كما

(1) المصدر نفسه/ 56 عن الرضا عليه السلام إن موسى بن جعفر عليه السلام تكلم يومًا بين يدي أبيه عليه السلام، فأحسن، فقال له: يا بني الحمد للّه الذي جعلك خلَفًا من الآباء وسرورًا من الأبناء وعوضًا عن الأصدقاء.

يتمنى الخليفة) فهو المراد حيث يظهر بمظهر سائر العلماء وأنه لا يتميز عليهم بميزة فعنده علم أشياء وقد تغيب عن علمه سائر الأشياء. وإن أجاب على ما هو المقصود استفاد من إجابته من دون أن يرتب على ذلك أثرًا أكبر كالإقرار بتفوقه على سائر العلماء أو توليته منصبًا عاليًا هو جدير به بل لا يسوّى حتى بمن كان أصغر منه![1].

فقد نقل الكليني بسنده عن علي بن يقطين قال: سأل المهدي أبا الحسن عليه السلام عن الخمر هل هي محرّمة في كتاب عز وجل؟ فإن الناس إنما يعرفون النهي عنها ولا يعرفون التحريم لها فقال له أبو الحسن عليه السلام: بل هي محرّمة في كتاب عز وجل يا أمير المؤمنين، فقال له: في أي موضع هي محرّمة في كتاب جلّ اسمه يا أبا الحسن.

فقال: قول عز وجل: ﴿ **قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ** ﴾[2] فأما قوله: ﴿**مَا ظَهَرَ مِنْهَا**﴾ يعني الزنا المعلن ونصب الرايات التي كانت ترفعها الفواجر للفواحش في الجاهلية وأما قوله عز وجل:

(1) وما ينقل عن المأمون في حواره مع أبيه لما جاء الإمام موسى بن جعفر ما يشهد لذلك.
(2) الأعراف: 33.

﴿وَمَا بَطَنَ﴾ يعني ما نكح من الآباء لأن الناس كانوا قبل أن يبعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا كان للرّجل زوجة ومات عنها تزوجها ابنه من بعده إذا لم تكن أمَّه فحرّم عز وجل ذلك.

وأما الإثم فإنها الخمرة بعينها وقد قال عز وجل في موضع آخر: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾[1] فأما الإثم[2] في كتاب الله فهي الخمرة والميسر وإثمهما أكبر كما قال الله تعالى، قال: فقال المهدي: يا علي بن يقطين هذه والله فتوى هاشمية![3].

ومن ذلك ما روي عن الحسن بن علي بن النعمان، قال: لما بنى المهدي في المسجد الحرام بقيت دار في تربيع المسجد، فطلبها من أربابها فامتنعوا، فسأل عن ذلك الفقهاء فكل قال له: إنه لا ينبغي أن يدخل شيئًا في المسجد الحرام غصبًا فقال له علي بن يقطين:

---

(1) البقرة: 219.

(2) ولعله يمكن تفسير مقالة الإمام بنحوين: الأول أن آية فيهما إثم كبير هو بمثابة الموضوع، والآية الأخرى: إنما حرم ربي الفواحش.. والاثم) هي الحكم فبجمعهما ينتج أن الله حرم الخمر التي هي الاثم. والنحو الثاني: على احتمال أن يكون الآية المباركة: قل فيهما: إثم كبير، كما تقول في شيء إنه حلال أو حرام، وهذا غير الوجه المعروف من أن المقصود أن يقول بأن فيهما إثمًا كبيرًا..

(3) عطاردي، مسند الإمام الكاظم 1/ 64.

يا أمير المؤمنين لو كتبت إلى موسى بن جعفر عليه السلام لأخبرك بوجه الأمر في ذلك.

فكتب إلى والي المدينة أن يسأل موسى بن جعفر عن دار أردنا أن ندخلها في المسجد الحرام فامتنع علينا صاحبها فكيف المخرج من ذلك؟ فقال: ذلك لأبي الحسن عليه السلام، فقال أبو الحسن عليه السلام: ولا بدّ من الجواب في هذا؟ فقال له: الأمر لا بدّ منه.

فقال له: اكتب بسم الله الرحمن الرحيم إن كانت الكعبة هي النازلة بالناس فالناس أولى بفنائها، وان كان الناس هم النازلون بفناء الكعبة فالكعبة أولى بفنائها فلما أتى الكتاب إلى المهدي اخذ الكتاب فقبله ثم أمر بهدم الدار فأتى أهل الدار أبا الحسن عليه السلام فسألوه أن يكتب لهم إلى المهدي كتابًا في ثمن دارهم فكتب إليه أنْ أرضخ لهم شيئًا فأرضاهم.

2/ وبمقدار ما كان الإمام عليه السلام مشغولًا بتوضيح المنهج الصحيح من خلال بيان العقائد الصحيحة والأحكام الشرعية المستندة إلى سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقد واصل منهج أبيه الإمام جعفر الصادق عليه السلام في مواجهة المناهج البشرية في فهم الأحكام العبادية، والتي تستند إلى القياس وفيما بعد إلى الاستحسان وما شابه ذلك في نفس الوقت الذي أعلى فيه من منزلة

العقل وإدراكاته كما يظهر للمتأمل في وصية لهشام بن الحكم في موضوع العقل وسيأتي الإشارة إليها.

أما في رفضه للقياسات والاستحسانات والتي نعتقد أن الخلفاء العباسيين بل والحاكمين بشكل عام يرجحونها ويدعمونها لأنها تقرب المساحة لهم، وتعطيهم حتى هم ولم يكونوا متخصصين في فهم الدين والشريعة مساحة واسعة للحركة في أمور التشريع! بحيث يصبح الخليفة وهو إنما أهله للمنصب في الغالب نسبه لأبيه لا غير- بقدرة قادر متمكنًا من أمور الشريعة ويحكم فيها بما ينبغي ولا ينبغي! ولأن هناك مصلحة للحاكمين في هذا فهم يحبون هذا المسلك والمنهج!

في المقابل ولمواجهة هذا التسيب في فهم التشريعات، رفض الأئمة عليهم السلام ما سمته الأحاديث بالقياس وإصابة الدين بالعقول! وضمن هذا كانت محاورات الإمام موسى الكاظم عليه السلام مع فقهاء المذهب الحنفي الذين قربتهم السلطة العباسية بدءًا من أيام المهدي العباسي وتصاعد هذا حتى بلغ ذروته أيام هارون الرشيد العباسي، فقد اجتمع مع أبي يوسف القاضي (توفي 181هـ) وهو أحد تلامذة أبي حنيفة النعمان في محضر المهدي العباسي فقال: أبو يوسف للمهدي: تأذن لي أن أسأله عن مسائل ليس عنده فيها شيء؟

فقال له: نعم، فقال لموسى بن جعفر عليه السلام أسألك؟ قال: نعم، قال: ما تقول في التظليل للمحرم.

قال: لا يصلح قال: فيضرب الخباء في الأرض ويدخل البيت؟ قال: نعم، قال:

فما الفرق بين هذين؟ قال أبو الحسن عليه السلام: ما تقول في الطامث أتقضي الصلاة؟

قال: لا، قال: فتقضي الصوم؟ قال: نعم، قال: ولم؟ قال: هكذا جاء، قال أبو الحسن عليه السلام: وهكذا جاء هذا، فقال المهدي لأبي يوسف: ما أراك صنعت شيئًا! قال: رماني بحجر دامغ.

ومثله صنع مع محمد بن الحسن الشيباني (ت 189هـ) وهو أيضًا من تلامذة أبي حنيفة مع الإمام عليه السلام، فقد سأل محمد بن الحسن أبا الحسن موسى عليه السلام بمحضر من الرشيد وهم بمكة فقال: أيجوز للمحرم أن يظلل على محمله نفسه فقال له موسى: لا يجوز له ذلك مع الاختيار، فقال له محمد بن الحسن: أ فيجوز له أن يمشي تحت الظلال مختارًا؟ فقال له: نعم، فتضاحك له محمد بن الحسن من ذلك فقال له أبو الحسن موسى عليه السلام: أتعجب من سنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتستهزئ بها؟ إنّ رسول الله كشف ظلاله في إحرامه ومشى تحت الظلال وهو محرم، إنّ أحكام الله

يا محمد لا تقاس، فمن قاس بعضها ببعض فقد ضل عن السبيل، فسكت محمد بن الحسن لا يرجع جوابًا! [1]

وهذا النقد الواضح لتوجه القياس وتحكيم ظاهر العقل وبادئ الرأي في أحكام الله التعبدية، كان خطًّا مستمرًا بين الأئمة المعصومين ولكنه كان يتخذ زخمًا قويًّا في الأوقات التي كان يتعاظم فيها ذلك التوجه ويحصل على دعم رسمي من السلطان، فكان لا بدَّ للأئمة المعاصرين له أن يتخذوا هذه المواقف! وكان زمان الإمامين الصادق وابنه الكاظم من تلك الازمنة التي نشط فيها هذا التوجه وساعده في ذلك قبول السلطة العباسية وخلفائها آنئذ.

ولكيلا يصب هذا النقد في مصلحة القشريين من أهل الحديث الذين سيدعمهم المتوكل العباسي بكل قوته فيما بعد فقد أعلى الأئمة شأن العقل وأكدوا على استعماله، والمجالات التي ينبغي أن يكون فيها وتلك التي لا يكون وهو ما سيأتي الحديث عنه عند الحديث عن وصية الإمام الكاظم لهشام بن الحكم في صفحات قادمة.

3/ في هذه الفترة التي استغرقت نحو 35 سنة وهي مدة إمامته، لو استثنينا منها السنين التي سجن فيها الإمام، بل حتى فيها..

(1) المصدر نفسه 161 عن كشف الغمة 2/ 230.

سنجد أن الإمام عليه السلام قد عالج الكثير من القضايا التي يحتاجها المؤمنون بحيث يعد حديثه من حيث الكثرة في المراتب العالية التي تتلو حديث جده الإمام محمد الباقر وأبيه جعفر الصادق، وابنه الإمام الرضا عليهم السلام فقد جمع الشيخ عزيز الله عطاردي في كتابه (مسند الإمام الكاظم عليه السلام) نحو ثلاثة آلاف حديث[1] ترتبط به في الشؤون المختلفة، من الأصول العقائدية، والروايات الفقهية، وأبواب الأخلاق، وأشار بالترجمة إلى نحو (605) من الرواة، وهو تصديق لما قاله الشيخ المفيد من أنه عليه السلام: «أكثر الناس في الرواية عنه، وكان أفقه أهل زمانه وأحفظهم لكتاب الله، وأحسنهم صوتًا بتلاوة

(1) وهذا يشير إلى أن ما ذكره الذهبي في ميزان الاعتدال 4/ 202 من قوله في ترجمة الإمام عليه السلام: وحديثه قليل جدًّا.. إن كان المقصود منه؛ حديثه عن رسول الله صلى الله عليه وآله، فله وجه عندهم، وإن كان المقصود مطلقًا فهو يدل على قلة التتبع. وأعجب منه ابن حبان الذي ذكر الإمام عليًّا الرضا عليه السلام في كتابه المجروحين!! 2/ 106وأنه يروي عنه أبيه العجائب!! ونقل عن الإمام الرضا عن أبيه الكاظم عن آبائه عن النبي صلى الله عليه وآله سبعة أحاديث، لم نفهم وجه كونها من العجائب مثل: أن من أدى لله فريضة فله عند الله دعوة مستجابة! أو أن «الإيمان إقرار بالقلب وقول باللسان وعمل بالأركان» والذي يقول فيه الآجري في كتابه الأربعون حديثًا/ 108: هذا الحديث أصلٌ كبيرٌ في الإيمان عند فقهاء المسلمين قديمًا وحديثًا، وهو موافق لكتاب الله، لا يخالف هذا الأمر إلا مرجئ خبيث مهجور مطعون عليه في دينه..
أو «ادهنوا بالبنفسج بارد في الصيف حار في الشتاء».. وأمثالها! وترك نحو ثلاثة آلاف رواية عن الإمام الكاظم كما سيأتي في هذا الفصل وأكثر منها عن الإمام الرضا! ولكن هي شنشنة نعرفها من أخزم!

القرآن»، وهذا العدد أعم من أن يكون المترجمون ثقات وعلى منهجه عليه السلام أو غير ذلك.

مسند الإمام الكاظم عليه السلام

وبنظرة سريعة على فهرس الكتاب المذكور الذي يقع في ثلاثة أجزاء، نجد موسوعية في مواضيع هذه الروايات حيث تمددت على مساحة كبيرة من حقول المعرفة الدينية.

فهو في الجزء الأول:

تعرض إلى كتاب العقل وفضائله وكتاب العلم والمعرفة وباب الاستغناء بالكتاب والسنة وباب ذم القياس، وأبواب اختلاف الحديث.

كما تعرّض في كتاب التوحيد إلى أبواب أنّ الله يوصف بما وصف به نفسه والنهي عن التشبيه والتحديد، إنه ليس كمثله شيء وأبواب علمه تعالى وصفاته ونفي الزمان والمكان عنه وجوامع التوحيد.

ثم تناول في كتاب أخبار الأنبياء ما روي عنه في نوح وإبراهيم وموسى ويوسف وأيوب وسليمان وزكريا وعيسى عليهم السلام وأخيرًا ما روي عنه في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكذلك ما روي عنه في ذي القرنين ولقمان وأصحاب الرس وتعرض إلى احتجاج كل نبي مع قومه.

أمّا في كتاب الإمامة والولاية فقد أورد روايات الإمام عليه السلام في

أنّ الإمام هو الحجة، وما يعرف به المحق والمبطل في الإمامة وفي أن الأئمة عليهم السلام في العدل والشجاعة سواء، وأن الإمام يعلم علم المنايا والبلايا وأنهم عليهم السلام حكماء الله في أرضه وأنهم ورثة الأنبياء، وأن الأرض لا تخلو من إمام.

كما أورد ما روي عنه في أمير المؤمنين وفاطمة والحسنين عليهم السلام، وأورد المؤلف في خاتمة الكتاب بعض كرامات الإمام الكاظم وخوارق عادته عليه السلام، منهيًا ذلك الكتاب بذكر أصحابه وشيعته.

ثم ليعود من جديد في كتاب الإيمان والكفر والصفات الأخلاقية وآداب المعاشرة مبيناً تلك الصفات المطلوبة والأخرى المرغوب عنها والمذمومة.

وفي الجزء الثاني:

بدأ بكتاب القرآن وفضائل السور، وعرج منه على باب الدعاء، ثم أورد في كتاب الاحتجاجات جملة من احتجاجات الإمام عليه السلام مع المهدي العباسي ومع هارون الرشيد العباسي، ومع علماء ذلك الزمان كأبي يوسف القاضي، ومحمد بن الحسن الشيباني واستاذهما أبي حنيفة ومع نقيع الأنصاري، ولم ينس أن يذكر احتجاجه مع اليهود والنصارى وقد أشرنا إلى بعض ذلك فيما مرَّ من الصفحات.

وبهذا المقدار يكون ما يرتبط بالأصول العقائدية قد أخذ نحو جزء ونصف من كتاب المسند، ليبدأ بعد ذلك في الفقه والقوانين الشرعية، فبدأ بكتاب الطهارة وما يرتبط بها من الحديث عن النجاسات، ويتصل بذلك باب الوضوء والأغسال وفيها أحكام النساء والجنابة.

ثم كتاب الصلاة وفيه الأبواب المختلفة كباب الأذان ولباس المصلي ومكانه، وأوقات الصلاة والقبلة والقراءة وما يسجد ثم أقسام الصلوات وفيها صلاة الجماعة وصلاة الجمعة وفضلها والصلاة على الأموات وصلاة العيدين وصلاة الليل وصلاة الخوف.

وبعد أن أورد باب الخمس، ذكر ما يرتبط بالمعاملات، فجاء بما يرتبط بالتجارة، والشركة والمضاربة، والاجارة.

وعاد ولا أدري لماذا أخر هذه الأبواب عن العبادات للحديث عن الحج والطواف وصلاته وتقديم الطواف.

وأورد بعد ذلك الروايات في كتاب الزيارة، وأبواب التسليم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وزيارة أمير المؤمنين عليه السلام.

وعرج بعد ذلك على كتاب الجهاد وما يرتبط به، ومنه باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والشهيد والمجاهد في سبيل الله.

ليعود مرة أخرى إلى كتاب النكاح وينتهي بكتاب الطلاق.

وفي الجزء الثالث نجد كتاب الحدود والديات، والوصايا والوقوف، والميراث والجنائز، والمواعظ والآداب والسنن.

وأنت ترى أخي القارئ، أختي القارئة أن عدد المواضيع هذه كبيرٌ وأنها تشتمل على العقائد والفقه والأخلاقيات وهي في الغالب الأسس التي تبنى عليها الموسوعات الحديثية كالكافي مثلاً لثقة الإسلام الكليني. مع أننا لا نعتقد أن المؤلف شكر الله سعيه قد أحاط بكل حديث الإمام الكاظم عليه السلام.

ولكن مع ذلك فإن هذا العدد الذي يتجاوز صحيح البخاري مثلاً مع حذف المكررات يعتبر كبيرًا ومهمًّا.

4/ نماذج من كلماته وأحاديثه:

إن مقدار ثلاثة آلاف حديث هي جديرة بأن تفرد لها دراسة خاصة، ففيها من الغنى والثراء العلمي والمعرفي الكثير، لكننا حيث لا يتيسر لنا ذلك سنشير إلى بعض العناوين السريعة ونستشهد عليها بأقواله عليه السلام:

غاية معرفة العلم:

أ/ أي علم نطلبه ونكسبه ونصرف العمر فيه؟ في هذا نجد من أحاديث الإمام عليه السلام أنه يقول:

«وجدت علم الناس في أربع؛ أولها أن تعرف ربك، والثانية أن تعرف ما صنع بك، والثالثة أن تعرف ما أراد منك، والرابعة أن تعرف ما يخرجك من دينك، معنى هذه الأربع: الأولى وجوب معرفة الله تعالى التي هي اللطف.

الثانية معرفة ما صنع بك من النعم التي يتعين عليك لأجلها الشكر والعبادة، **الثالثة** أن تعرف ما أراد منك فيما أوجبه عليك وندبك إلى فعله لتفعله على الحد الذي أراده منك فتستحق بذلك الثواب، **الرابع** أن تعرف الشيء الذي يخرجك عن طاعة الله فتجتنبه»[1].

ب/ وبالتالي فإن على العاقل ألّا يضيع عمره وجهده في علوم ليس لها أثر إيجابي في حياته الدنيوية أو الأخروية، ولذلك فإن أيام العرب وغزواتهم الفاقدة للهدف، وأشعارهم التي أرختها ولا مضمون فيها سوى الفخر الفارغ هي من إضاعة العمر وإتلافه، وعلى هذا ينبغي أن يقيس الانسان العاقل سائر العلوم في نفعها وعبثيتها، فقد أشار الإمام عليه السلام إلى ما قاله جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقد دخل المسجد فإذا جماعة قد أطافوا برجل فقال: ما هذا؟

(1) عطاردي، مسند الإمام الكاظم 1/ 258 عن كشف الغمة للاربلي.

فقالوا: علّامة يا رسول الله. فقال: وما العلّامة؟ قالوا: أعلم النّاس بأنساب العرب ووقائعها وأيّام الجاهليّة وبالأشعار، فقال ﷺ: ذاك علم لا يضرّ من جهله ولا ينفع من علمه.

ولو تمَّ تطبيق هذا المقياس على الكثير من مصادر المعلومات، ومواضيعها لانطبق عليها.

ومثل ذلك القضية التي شغلت الأمة الإسلامية بها أكثر من نصف قرن على مستوى انشغال الخلفاء بها (198 إلى 247هـ) وأما على مستوى الفكر والاعتقاد والنزاع الفكري والنظري فقد استمرت قرونا! بينما هي ينطبق عليها تمامًا ما سبق! ولذلك لم يشارك فيها الأئمة عليهم السلام ولم يأمروا أصحابهم في الدخول فيها، لانطباق المقياس المذكور عليها بل حتى لما سئل الإمام عليه السلام عنها رفض أن يدخل فيها، فعن سليمان بن جعفر الجعفري، قال: قلت لأبي الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام: يا ابن رسول الله ما تقول في القرآن فقد اختلف فيه من قبلنا؟ فقال قوم: إنه مخلوق، وقال قوم: إنه غير مخلوق، فقال عليه السلام: أما إني لا أقول في ذلك ما يقولون، ولكني أقول: إنه كلام الله.

في منهج معرفة الدين:

بعدما كانت معرفة الدين وأحكامه وثقافته لازمة للإنسان

المؤمن، ينبغي أن يكون له منهج سليم، وهنا يقع قسم غير قليل من الناس في الخطأ ويسلكون سبلًا لا تنتهي بهم إلى الهداية بالرغم من أن (نيتهم) ربما كانت الوصول إلى رضا الله تعالى، ومعرفته، ومعرفة أحكامه، لكن الوصول إلى الهدف الصحيح لا يكفي فيه النية الصالحة بل لا بدَّ أن تكون معه خريطة وصول صحيحة، وهداية راشدة! وهذا ما كان يؤكد عليه القرآن الكريم والأئمة المعصومون عليهم السلام .

في هذا العنوان يطالعنا عدد من الروايات بألسنة متنوعة، ومضمون متفق:

1/ فمن ذلك ما روي عن الإمام موسى عليه السلام كما نقله في الكافي بسند معتبر عن سَماعة: قلت له: أكلُّ شيء في كتاب الله وسنّة نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم؟ أو تقولون فيه؟ قال: بل كلُّ شيء في كتاب الله وسُنّة نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم.

وهذا يشير إلى أن الأمر ما دام كذلك فلا ينبغي أن يستلف العالم أو يقترض مناهج بشرية، وأدوات بعيدة عن الكتاب والسُّنَّة.

2/ وبشكل أكثر صراحة تمَّ نقد تلك المناهج في روايات كثيرة، بالرغم من أن بعض أصحاب الإمام ربما تأثروا بها باعتبارها (تجديدًا) في الأحكام، و(إعمالًا للعقل ودوره) فأرادوا أن

يدخلوها في دائرة الأحكام والوصول إليها، لكن الإمام عليه السلام كان صارمًا في رفض ذلك.

فعن سماعة قال: قلت لأبي الحسن عليه السلام: إنّ عندنا من قد أدرك أباك وجدّك، وإنّ الرّجل منّا يُبتلَى بالشيء لا يكون عندنا فيه شيء فيقيس؟ فقال: إنّما هلك من كان قبلكم حين قاسوا.

وكذلك عن محمد بن حكيم، قال: قلت لأبي الحسن عليه السلام: إنّا نتلاقى فيما بيننا فلا يكاد يرد علينا شيء إلّا وعندنا فيه شيء وذلك شيء أنعم الله به علينا بكم، وقد يرد علينا الشيء وليس عندنا فيه شيء إلّا وعندنا ما يشبهه فنقيس على أحسنه؟ فقال: لا، وما لكم وللقياس، ثمّ قال: لعن الله أبا فلان، كان يقول: قال عليٌّ وقلت، وقالت الصحابة وقلت!

3/ إلا أن هذا لا يعني تزكية اتجاه أهل الحديث على حشويتهم وتعبدهم بالتناقض والتضاد، ومخالفة الأحكام العقلية لأجل أن حديثًا ما قد روي، فهم يغلقون الباب على عقولهم ويفتحون باب الخبر على مصراعيه! كلا! فإنه مع وجود أخبار تكون متناقضة مع القرآن أو العقل أو السُّنَّة (باقي الأحاديث)، ومعارضة للحق، فهذه لم يقلها النبي ولا الإمام ولو جاء بها عشرات الرواة فضلًا عن خبر الواحد، فلا يكفي

البحث السندي ليقال جاز القنطرة، والحديث لازم لمن رآه وإنما لا بدَّ من عرض مضمونه على القرآن وعلى العقل وسائر الأحاديث.

فعن العبد الصالح عليه السلام قال: إذا جاءك الحديثان المختلفان فقِسْهما على كتاب الله وعلى أحاديثنا، فإن أشبههما فهو حق وان لم يشبههما فهو باطل.

وعنه عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ألا! هل عسى رجل يكذّبني وهو على حشاياه متّكئ؟ قالوا: يا رسول الله ومن الّذي يكذّبك؟ قال: الذي يبلغه الحديث فيقول: ما قال هذا رسول الله قط، فما جاءكم عنّي من حديث موافق للحقّ فأنا قلته، وما أتاكم عنّي من حديث لا يوافق الحقّ فلم أقله ولن أقول إلّا الحقّ.

4/ وكتطبيق على ذلك يشير الإمام عليه السلام إلى بعض ما انتشر من روايات مخالفة للتنزيه والتوحيد للخالق، ويعتقد أنها من تسرب الإسرائيليات لمصادر المسلمين وخصوصًا في مدرسة الخلفاء، والتي يقضي بعضها بنسبة النزول والحركة والانتقال إلى الله سبحانه وتعالى عن ذلك، فقد رد عليهم الإمام عليه السلام وقد ذكر عنده قوم يزعمون أنّ الله تبارك وتعالى ينزل إلى السماء الدنيا بالقول التالي:

«إنّ الله لا ينزل ولا يحتاج إلى أن ينزل، إنّما منظره في القرب والبعد سواء، لم يبعد منه قريب، ولم يقرب منه بعيد، ولم يحتج إلى شيء بل يحتاج إليه وهو ذو الطول لا إله إلّا هو العزيز الحكيم.

أمّا قول الواصفين: إنّه ينزل تبارك وتعالى فإنما يقول ذلك من ينسبه إلى نقص أو زيادة، وكلّ متحرك محتاج إلى من يحركه أو يتحرك به، فمن ظنّ بالله الظنون هلك، فاحذروا في صفاته من أن تقفوا له على حدّ تحدّونه بنقص أو زيادة، أو تحريك أو تحرك، أو زوال أو استنزال، أو نهوض أو قعود، فإن الله جلّ وعزّ عن صفة الواصفين، ونعت الناعتين وتوهم المتوهمين؛ وتوكّل على العزيز الرحيم الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين».

ويعود يذكّر أحد أصحابه وقد سأله عن شيء من التوحيد، بكلام أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام، وهو مما لا يستطيع غيره أن يأتي به، فيكتب إليه قسمًا مما قاله جده عليه السلام: «أوّل الديانة به معرفته وكمال معرفته توحيده وكمال توحيده نفي الصفات عنه، بشهادة كلّ صفة أنّها غير الموصوف وشهادة الموصوف أنّه غير الصفة وشهادتهما جميعًا بالتثنية الممتنع منه الأزل؛ فمن وصف الله فقد حدّه ومن حدّه فقد عدّه، من عدّه فقد أبطل أزله ومن قال:

كيف؟ فقد استوصفه ومن قال: فيمَ؟ فقد ضمّنه ومن قال على مَ؟ فقد جهله ومن قال: أين؟ فقد أخلى منه، ومن قال ما هو؟ فقد نعته ومن قال: إلى مَ؟ فقد غيّاه، عالم إذ لا معلوم وخالق إذ لا مخلوق وربّ إذ لا مربوب وكذلك يوصف ربّنا وفوق ما يصفه الواصفون».

ثالثًا: التعليم والتوجيه في فترة السجن:

من الغريب أن نلاحظ أن الإمام موسى الكاظم عليه السلام، لم يتوقف عن دوره في تبيين العقائد الصحيحة والأحكام الشرعية لمن يطلبها حتى وهو في فترة السجن (من 179 إلى 183هـ)، سواء سجنه في البصرة أو بغداد أو ما بينهما في فترات الإفراج عنه وبقائه تحت الإقامة الجبرية في بغداد!.

وبالرغم من أننا نعتقد بأن الإمام عليه السلام كان له القدرة من الله تعالى بأن يتواصل بشكل غيبي مع أصحابه لو أراد واقتضت الضرورة ذلك، كما أن بإمكانه أن يتوسل ببعض الطرق الخفية على أعين السلطات وإن لم تكن غيبية. إلا أننا نعتقد أن ذلك كان يدخل في الحالات النادرة والقليلة، وأما الحالات المعتادة فهي الطرق العادية.

ياسين الضرير يكتب عنه كتابًا

ومما نقله التاريخ من ذلك، أنه روى أحد الرواة عنه واسمه ياسين الضرير الزيات البصري[1] حيث كان يلتقي الإمام بالبصرة عندما سجن فيها، واختصّ به وروى عنه، وصنّف كتابًا.

وموسى المروزي وكتاب آخر:

والأغرب من ذلك أن الإمام عليه السلام لما كان في سجن السندي بن شاهك، ويفترض أنه كان مضيَّقًا عليه بشكل كبير (كما ذكرنا عند الحديث عن سجون الإمام عليه السلام) إلا أن ذلك لم يمنع قدوم من يحب العلم والمعرفة عليه وأخذهم منه؛ كلٌّ بدافع خاص وبطريقة مختلفة عن الآخر!

فممن ذكروا في ذلك موسى بن إبراهيم المروزي وقيل إنه كان مؤدب أولاد السندي بن شاهك (الذي تولى سجن الإمام عليه السلام) ولعله بهذه العلاقة استطاع أن يأخذ عن الإمام وأن يسأله ويروي عنه في الفترة التي كان عليه السلام فيها في سجن السندي[2].

---

(1) الشبستري، أحسن التراجم لأصحاب الإمام موسى الكاظم 2/ 205، وقال فيه: ياسين الضرير، الزيات، البصري. محدث امامي حسن الحال، وقيل من الثقات، له كتاب. تشرف بخدمة الإمام عليه السلام لما كان بالبصرة، وروى عنه. جاء اسمه في أكثر من عشرين موردا في أسناد الروايات. روى عنه محمد بن عيسى بن عبيد، ونوح بن شعيب النيسابوري. كان حيًّا قبل سنة 183.

(2) ذكره الشبستري في أحسن التراجم 2/ 156 فقال ما مختصره: موسى المروزي: محدث، =

وتلميذا أبي حنيفة البارزان:

وقد ذكر ابن الصباغ المالكي في كتابه الفصول المهمة، خبر دخول تلميذي أبي حنيفة على الإمام الكاظم عليه السلام وهو في سجن السندي، ليختبراه!، في مسائل من العلم، فإذا بالإمام عليه السلام، يفاجئهما باطلاعه على الأمور الغيبية، ومن خلال ذلك يبين لهما بشكل غير مباشر ارتباط الإمامة وأئمة الهدى بالله سبحانه بنحو استثنائي، فلننظر ما يقوله ابن الصباغ:

لمّا حَبَسَ هارونُ أبا الحسن موسى الكاظم عليه السلام دخل عليه السجن ليلاً أبو يوسف ومحمّد بن الحسن صاحبا أبي حنيفة فقال أحدهما للآخر: نحن على أحد الأمرين، إمّا أن نساويه أو نشكله فسلمّا عليه وجلسا عنده وأرادا أن يختبراه بالسؤال لينظرا مكانه من العلم، فجاء رجلٌ كان موكّلاً من قبل السندي بن

= فقيه، له كتاب. سكن بغداد وحدث بها، وكان صاحب شرطة قنطرة السماكين في الكرخ. سمع الإمام عليه السلام وهو محبوس عند السندي بن شاهك. تولى تأديب ولد السندي بن شاهك. كذب حديثه بعض العامة، وعده آخرون منهم من المجهولين. روى عنه محمد بن خلف بن عبد السلام، وعبيد الله الدهقان. كان حيًّا سنة 229. روى عن أبي الحسن الأول عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من حفظ من أمتي أربعين حديثًا مما يحتاجون إليه في أمر دينهم بعثه الله يوم القيامة فقيها عالمًا. وعنه عليه السلام أيضًا قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أربع يفسدن القلب وينبتن النفاق في القلب كما ينبت الماء الشجر: استماع اللهو، البذاء، واتيان باب السلطان، وطلب الصيد «وكذلك عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من أصبح وهو لا يهم بظلم أحد غفر الله له ما اجترم.

شاهَك بالكاظم عليه السلام فقال له: إنّ نوبتي قد انقضت وأُريد الانصراف إلى غدٍ إن شاء الله فإن كان لك حاجة تأمرني حتّى أن آتيك بها معي إذا جئتك غدًا، فقال: ما لي حاجة انصرف!

فلمّا أن خرج قال لأبي يوسف ومحمّد بن الحسن: إنّي لأعجب من هذا الرجل يسألني أن أُكلّفه حاجةً يأتيني بها غدًا إذا جاء وهو ميّت في هذه الليلة.

فأمسكا عن سؤاله وقاما ولم يسألا عن شيء وقالا: أردنا أن نسأله عن الفرض والسنّة أخذ يتكلّم معنا علم الغيب، والله لنرسل خلف الرجل من يبيت عند باب داره وننظر ما يكون من أمره.

فأرسلا شخصًا من جهتهما جلس على باب ذلك الرجل فلمّا كان أثناء الليل وإذا بالصراخ والواعية، فقيل لهم: ما الخبر؟ فقالوا: مات صاحب البيت فجأةً، فعاد إليهما الرسول وأخبرهما بذلك فتعجّبًا من ذلك غاية العجب.

وعلي بن سويد السائي:

ومن ذلك أجوبته عليه السلام على رسالة أرسلها إليه أحد أصحابه وهو علي بن سويد السائي الذي قال: كتبت إلى أبي الحسن عليه السلام وهو في الحبس أسأله فيه عن حاله وعن جواب مسائل كتبت بها

إليه، فكتب إليّ: وأمّا ما ذكرت يا عليُّ ممن تأخذ معالم دينك، لا تأخذنّ معالم دينك عن غير شيعتنا، فإنك إن تعديتهم أخذت دينك عن الخائنين الذين خانوا الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم وخانوا أماناتهم، إنهم اؤتمنوا على كتاب الله عز وعلا فحرّفوه وبدّلوه، فعليهم لعنة الله ولعنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ولعنة ملائكته ولعنة آبائي الكرام البررة ولعنتي ولعنة شيعتي إلى يوم القيامة[1].

وهند بن الحجاج:

وربما أرسل هو عليه السلام على بعض أصحابه ليأتي إليه ويوصيه بما أهمه كما حصل مع هند بن الحجاج فيما رواه بشار مولى السندي بن شاهك، قال: كنت من أشد الناس بغضًا لآل محمد، فدعاني السندي يومًا فقال: يا بشار إنّي أريد أن أئتمنك على ما ائتمنني هارون قلت: إذن لا أبقي فيه غاية! قال: هنا موسى بن جعفر قد دفعه إليّ وقد دفعته بحفظه فاجعله في دار خوف وكنت أقفل عليه عدة اقفال، فإذا مضيت في حاجة وكّلت امرأتي بالباب ولا تفارقه حتى أرجع.

قال بشار: فحوّل الله ما كان في قلبي من البغض حبًّا، قال:

(1) الشبستري: أحسن التراجم 1/ 411.

فدعاني عليه السلام يومًا فقال: يا بشار احضر في سجن القنطرة وادع لي هندَ بن الحجاج وقل له: أبو الحسن يأمرك بالمصير إليه، فإنه ينتهرك ويصيح عليك فإذا فعل ذلك، فقل أنا قد قلت وأبلغت رسالته فإن شئت فافعل وان شئت لا تفعل واتركه وانصرف.

قال: ففعلت ما أمرني به فأقفلت الأبواب كما كنت أقفل وأقعدت امرأتي على الباب وقلت لا تبرحي حتى آتيك وقصدت إلى سجن القنطرة، ودخلت إلى هند بن الحجاج، وقلت له أبو الحسن يأمرك بالمصير إليه فصاح عليّ وانتهرني فقلت له: قد أبلغتك فإن شئت فافعل وان شئت لا تفعل وانصرفت.

فتركته وجئت إلى أبي الحسن عليه السلام فوجدت امرأتي قاعدة على الباب والأبواب مقفلة فلم أزل أفتح واحدًا بعد واحد حتى وصلت إليه فأعلمته الخبر، فقال:

نعم فدعا لي وانصرفت فخرجت إلى امرأتي فقلت لها هل جاء أحد بعدي فدخل هذا الباب فقالت: لا والله ما فارقت الباب ولا فتحت الأقفال حتى جئت..[1]

وبالفعل فقد جاء إليه عليه السلام، وألقى إليه ما يحب!.

(1) عطاردي، مسند الإمام الكاظم 1/ 387 عن ثاقب المناقب

محورية العقل
في توجيهات الإمام الكاظم

في وصية الإمام أبي الحسن موسى بن جعفر سلام الله عليه لهشام بن الحكم رضوان الله تعالى عليه إنه قال (يا هشام وإنّ الله تبارك وتعالى بشّر أهل العقل والفهم في كتابه، فقال: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ (*) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[1] يا هشام: إنّ الله عزّ وجل أكمل للناس الحجج بالعقول، وأفضى إليهم بالبيان، ودلّهم على ربوبيته بالأدلاّء، يا هشام: إن الله وعّظ أهل العقل ورغّبهم في الآخرة، فقال: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[2]، يا هشام: ثمّ بيّن أنّ العقل مع العلم، فقال: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾[3] يا هشام: إن لله حجتين على الخلق حجة ظاهرة وهم الأنبياء وحجة باطنة وهي العقول).

(1) الزمر: 17 ـ 18.
(2) الأنعام: 32.
(3) العنكبوت: 43.

نقَل هذه الوصية من وصايا الإمام الكاظم عليه السلام لهشام بن الحكم بالإضافة إلى الكليني في الكافي الحسنُ بن شعبة الحراني رضوان الله تعالى عليه المعاصر للشيخ الكليني، وقد توفي في القرن الرابع الهجري في كتابه تحف العقول عن آل الرسول[1].

تكتسب هذه الوصية أهمية من جهات:

الأولى: المتكلم.

الثانية: المخاطَب.

الثالثة: الظرف الزمني السياسي والاجتماعي.

الرابعة: مضمون الخطاب والوصية.

أما الجهة الأولى: فلا حاجة فيها إلى مزيد إيضاح، فإن المتكلم والموصي هنا هو إمام معصوم، من الأئمة الذين أوجب الله طاعتهم، وأكرمهم بعلمه، وجعل فيهم وصية نبيه.

وأما الجهة الثانية، وهو المخاطَب والمستمع فهو هشام بن الحكم (الكندي أو الشيباني ولاءً) الكوفي (ت 179هـ) وهذا ما يعطي الوصية موقعًا متميزًا فإن الحكيم يتكلم مع كل شخص بمقدار تعقله، ويملأ وعاء كل شخص بحسب استيعابه، وهشام بن الحكم يعد في الدرجة الأولى من

(1) يعرب الكتاب كما يرى مترجمو المؤلف عن مستوى مؤلفه وحسن اختياراته، فقد نخل كلمات المعصومين وخطبهم، وانتخب أفضل الخطب والوصايا وكأنه كان يعد برنامجًا تربويًا للمؤمن، وجاءت هذه الوصية فيه..

أصحاب الإمامين الصادق والكاظم عليهما السلام. وبالرغم من أنه كان في أول أمره على غير منهج الإمامة متقدمًا في المعارف العقلية والفلسفية، لكنه ما لبث أن التقى بالإمام جعفر الصادق فغرق في ساحل بحره عليه السلام، وكان مناظِرًا سريع البديهة، متكلمًا حاذقًا، ويكفي في ذلك النظر إلى مناظرته مع عمرو بن عبيد في الإمامة[1] وتقدم في أصحاب الإمام جعفر عليه السلام وورد فيه مدح كثير.

(1) الكليني، الكافي 1/ 217 علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن الحسن بن إبراهيم، عن يونس بن يعقوب قال: كان عند أبي عبد الله عليه السلام جماعة من أصحابه منهم حمران بن أعين، ومحمد بن النعمان، وهشام بن سالم، والطيار، وجماعة فيهم هشام بن الحكم وهو شاب فقال أبو عبد الله عليه السلام: يا هشام ألا تخبرني كيف صنعت بعمرو بن عبيد وكيف سألته؟ فقال هشام: يا ابن رسول الله إني أُجلُّك وأستحييك ولا يعمل لساني بين يديك، فقال أبو عبد الله: إذا أمرتكم بشيء فافعلوا. قال هشام: بلغني ما كان فيه عمرو بن عبيد وجلوسه في مسجد البصرة فعظم ذلك عليَّ فخرجت إليه ودخلت البصرة يوم الجمعة فأتيت مسجد البصرة فإذا أنا بحلقة كبيرة فيها عمرو بن عبيد وعليه شملة سوداء متزر بها من صوف، وشملة مرتد بها والناس يسألونه، فاستفرجت الناس فأفرجوا لي، ثم قعدت في آخر القوم على ركبتي ثم قلت: أيها العالم إني رجل غريب تأذن لي في مسألة؟ فقال لي: نعم، فقلت له:
أَلَك عين؟ فقال يا بني أيُّ شيء هذا من السؤال؟ وشيء تراه كيف تسأل عنه؟ فقلت هكذا مسألتي فقال: يا بني سلْ وان كانت مسألتك حمقاء قلت: أجبني فيه! قال لي: سل. قلت ألك عين؟ قال: نعم قلت: فما تصنع بها؟ قال: أرى بها الألوان والأشخاص، قلت: فلك أنف؟ قال: نعم قلت: فما تصنع به؟ قال: أشم به الرائحة قلت: أَلك فم؟ قال: نعم، قلت: فما تصنع به؟ قال: أذوق به الطعم، قلت: فلك أذن؟ قال: نعم، قلت: فما تصنع بها؟ قال: أسمع بها الصوت، قلت: ألك قلب؟ قال: نعم، قلت: فما تصنع به؟ قال: أميز به كلما ورد على هذه الجوارح والحواس، قلت: أوليس في هذه الجوارح غنى عن القلب؟ فقال: لا، قلت: وكيف ذلك وهي صحيحة سليمة، قال: يا بني إن الجوارح إذا شكّت في شيء شمته أو رأته أو ذاقته أو سمعته، ردّته إلى القلب فيستيقن اليقين ويبطل الشك، قال هشام: فقلت له: فإنما أقام الله القلب لشك الجوارح؟ قال: نعم، قلت: لابد من القلب وإلا لم تستيقن الجوارح؟ قال: نعم، فقلت له: يا أبا مروان فالله تبارك وتعالى لم يترك جوارحك حتى جعل لها إمامًا يصحح لها الصحيح ويتيقن به ما شك فيه! ويترك هذا الخلق كلهم في حيرتهم وشكهم واختلافهم، لا يقيم لهم إمامًا يردون إليه شكهم وحيرتهم، ويقيم لك إمامًا لجوارحك ترد إليه حيرتك وشكك؟! قال: فسكت ولم يقل لي شيئًا. =

وأما الجهة الثالثة وهي الظرف السياسي والاجتماعي الذي قيلت فيه الوصية فإننا نستطيع أن نتبينه من خلال الأمور التالية:

1/ من الناحية الفقهية والتشريعية: كانت الفترة التي قيلت فيها هذه الوصية هي فترة اصطراع الاتجاهين الرئيسين في الأمة؛ أتباع مدرسة الرأي وأتباع مدرسة الحديث، في الفقه.. وكذلك بدايات الصراع بين المعتزلة والاشاعرة في العقائد والأصول.

وبالرغم من أن الصراع الأول بين الاتجاهين في الفقه كانت بذوره في وقت مبكر من تاريخ المسلمين، أي منذ زمان الخليفة الثاني، إلا أنه تحول إلى مدرسة فقهية بالتدريج في الكوفة، ومذهب متميّز في الأخذ بالرأي كان على رأسه أبو حنيفة النعمان، ومذهب متميز في المدينة سيكون على رأسه مالك بن أنس، وفي موضوع العقائد سيتميز الاتجاهان؛ العقلي والحديثي في مذهبي المعتزلة والاشاعرة..[1].

= ثم التفت إليّ فقال لي: أنت هشام بن الحكم؟ فقلت: لا، قال: أمن جلسائه؟ قلت: لا، قال: فمن أين أنت؟ قال: قلت: من أهل الكوفة قال: فأنت إذا هو، ثم ضمني إليه، وأقعدني في مجلسه وزال عن مجلسه وما نطق حتى قمت، قال: فضحك أبو عبد الله عليه السلام وقال: يا هشام مَنْ علّمك هذا؟ قلت: شيء منك وألفته، فقال: هذا والله مكتوب في صحف إبراهيم وموسى.

(1) للتفصيل في ذلك يراجع سلسلتنا: من تاريخ المذاهب في الإسلام.

وفي هذين الصراعين الفكريين كان دور العقل ومعرفته مبالَغًا فيه إفراطًا وتفريطًا، ففيما أقحم أصحاب الرأي العقل في ساحة أكبر من ساحته الحقيقية وأدخلوه إلى حريم العبادات والأحكام التي يفترض فيها التسليم وإعلان العجز عن فهم فلسفتها وعللها، ورفع راية الخضوع تعبدًا.

منع الاتجاه الآخر العقل من أي دور له، وأغلقوا عليه بالمزلاج، وأعطوه إجازة في كل مورد جاء فيه (خبرٌ) وإن كان العقل يحيله، ولا يقبله!

وأوضح من ذلك جرى الأمر في أصول العقائد والمعارف الكبرى. فيما يرتبط بالمدرستين: الاعتزال والأشعرية.

فكانت هذه الوصية من هذا الإمام العظيم لهذا العقل الكبير، والعالم العيلم بمثابة تحديد ما للعقل وما عليه، وما ينبغي أن يكون فيه وما لا بدَّ له من اجتنابه!

2/ كذلك نعتقد أن الموضوع السياسي لم يكن غائبًا عن خلفيات هذه الوصية بالتعقل والبناء على الجري وراء أحكام العقل في السياسة والمجتمع! فبينما كانت الأحداث السياسية في أشد عنفوانها بل عنفها، لا سيما أيام الحكام الأعنف والأشد الذين عاصرهم الإمام الكاظم ﷺ؛ من أبي جعفر المنصور

إلى المهدي ابنه، وموسى الهادي وأخيرًا هارون الرشيد، وكان ينبغي أن يُسلك في هذه الفترات الحرجة سلوكا (عاقلًا حكيما) وألا يستسلم لفورة الغيظ بل ولا يستدرَج المؤمنون باستفزازات السلطات تلك للقيام بعمل تكون فيها نهايتهم وتدميرهم!

كان لا بدَّ من التوصية بالتعقل بل واتخاذ (كظم الغيظ) سيرة وطريقة حياة! في وقت كان الاتجاه الغالب عند المؤمنين بالإمامة على أثر الظلامات التي مارستها الحكومات تجاههم، المسارعة إلى النهضة والثورة، حتى لقد عبرت عنه بعض الروايات بـ (النزق)[1] وأن الإمام ودّ لو يفتدي ذلك ببعض لحم ساعده! ولذلك كان الوصية بالتقية، واللطف في الحاجات وعدم الاذاعة وغيرها.

ففي مقابل ذلك التسرع في المواقف، والنزق في الحركات، والانسياق وراء الحماس والاعلان عن أقصى المواقف كان ينبغي التوصية بالتعقل الاجتماعي وكظم الغيظ السياسي.

3/ الموضوع الحياتي: فإن نعمة العقل وإن كانت بحسب الخلقة موجودة لدى الناس إلا أن هذا المصباح لا يلبث أن يعتم على ضوئه بل ربما أطفئ بفعل غلبة الشهوات تارة، ومعوقات

(1) الصدوق، محمد بن علي بن بابويه: الخصال 58 عن علي بن الحسين ﷺ قال: وددت أني افتديت خصلتين في الشيعة لنا ببعض [لحم] ساعدي: النزق وقلة الكتمان.

عمل العقل وحكمه أخرى كالإعلام المضلل ورأي المحيط الذي يعيش فيه الانسان! وهكذا.

من هنا ينبغي أن يتدبر المؤمنون في هذه الوصية باعتبارها منهجًا في تحكيم العقل في المسائل المختلفة وإدارة الشؤون الحياتية.

وبإطلالة فهرستية على الوصية[1] سوف نلاحظ الأفكار التالية فيها:

1/ ابتدأ الإمام عليه السلام ببيان أن الله سبحانه قد بشّر أهل العقل في كتابه ومدحهم فيه، وبأنه جعل الآيات دليلًا على ربوبيته وحين أكمل البشر بالعقول هداهم بها إليه؛ وعرض من تلك الآيات خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار وتسخير النجوم بل وخلق الانسان من التراب، وإنزال الماء من السماء.. كل ذلك فيه آيات لمن يتعقل ويبصر ما وراءها![2].

(1) الكليني، الكافي1/ 61.

(2) يا هشام إن الله تبارك وتعالى بشر أهل العقل والفهم في كتابه فقال: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ (*) ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[الزمر: 17 ـ 18].
يا هشام إن الله تبارك وتعالى أكمل للناس الحجج بالعقول، ونصر النبيين بالبيان، ودلهم على ربوبيته بالأدلة، فقال: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ (*) إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا =

2/ وحين يبصر أهل العقل الدنيا وتحولاتها وسرعة انقضائها فإن عملهم يكون لأجل الآخرة، فبينما كانت الدنيا لهوًا ولعبًا كانت الآخرة خيرًا عامًّا، وليس هذه الفكرة حاصلة لكل الناس وإن أوتوا قدرة عقلية وإنما تتجلى عند أهل العلم فالعقل ينمو عند أهل العلم بينما يخبو نوره عند الجاهلين.

3/ وبمقدار ما كان التفكر والعلم نورًا كانت الكثرة والتأثر بها حجابًا وظلمة، فإننا نلاحظ أن كثيرًا من الانحرافات في الحياة (فكرية أو سلوكية) كانت أرضيتها التأثر بالكثرة

= مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴾[البقرة 163 ـ 164].
يا هشام قد جعل الله ذلك دليلًا على معرفته بأن لهم مدبرًا، فقال: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴾[النحل: 12].
وقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ يُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡ ثُمَّ لِتَكُونُواْ شُيُوخٗاۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبۡلُۖ وَلِتَبۡلُغُوٓاْ أَجَلٗا مُّسَمّٗى وَلَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾[غافر: 67].
وقال: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾[الحديد: 17].
وقال: ﴿وَجَنَّٰتٞ مِّنۡ أَعۡنَٰبٖ وَزَرۡعٞ وَنَخِيلٞ صِنۡوَانٞ وَغَيۡرُ صِنۡوَانٖ يُسۡقَىٰ بِمَآءٖ وَٰحِدٖ وَنُفَضِّلُ بَعۡضَهَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلۡأُكُلِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴾[الرعد: 4].
وقال: ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَيُحۡيِۦ بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴾[الروم: 24].
وقال: ﴿قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗاۖ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَٰقٖۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡۖ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَۖ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾[الأنعام: 151].
وقال: ﴿ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلٗا مِّنۡ أَنفُسِكُمۡۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ فَأَنتُمۡ فِيهِ سَوَآءٞ تَخَافُونَهُمۡ كَخِيفَتِكُمۡ أَنفُسَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴾[الروم: 28].

و (بالناس) فإن البعض يرى خاطئًا أنه كيف يمكن أن يكون (كلٌّ) هؤلاء خاطئين وأنا على هدى؟ ثم يفكر أنه لكي يعيش بسهولة معهم لا بدَّ أن يتعايش مع ما هم عليه من الفكر والسلوك.. وهكذا تضاف أرقام جديدة لـ (الناس) لكي تؤثر في غيرها بنفس الطريقة! بينما لم تكن الكثرة علامة هدى بالضرورة! بل ربما كانت القلة المفكرة والمنفردة المتأملة هي الناجية والصائبة.

4/ وإذا كان أولو الأموال في نظر أهل الدنيا هم أصحاب الحظوظ والسعادة، فإن أولي الألباب والعقول في النظرة الإلهية هم أصحاب الخير والحظ الكبير. ولذلك لا بدَّ من تغيير المفاهيم فإنه على أثرها تتغير الحركة والسلوك فهل البحث عن المال هو هدف هذه الحياة أو تحصيل العقل؟

فإذا كانت الدنيا بمثابة بحر عميق فإنك تحتاج فيها إلى سفينة صالحة، وإذا كان لكل سفينة قيّمٌ وملّاحٌ فإن قائد هذه السفينة هو العقل[1].

(1) يا هشام ثم ذكر اولي الألباب بأحسن الذكر، وحلاهم بأحسن الحلية، فقال: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[البقرة: 269]. وقال: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[آل عمران: 7] وقال: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[آل عمران: 190]. وقال: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ =

5/ في ترتيب بديع قال الإمام عليه السلام لهشام: دليل العقل هو التفكر.. لكن كيف نحصل على التفكر؟ دليل التفكر هو الصمت، فإن من يكثر كلامه ولغطه لا يعطي لعقله فرصة للتفكر! وإذا كان كل شيء يحتاج لمطية تعينه وتنقله فإن مطية العقل هي التواضع.

وفي أروع جمع لحجج الله على الخلق قال عليه السلام: إن لله على الناس حجتين: حجة ظاهرة وحجة باطنة، فأما الظاهرة فالرسل والأنبياء والأئمة عليهم السلام، وأما الباطنة فالعقول.. فأعلى قيمة العقل لكي يساويه بالأنبياء والرسل والأئمة، ولكيلا تكون لأحد حجة في أنه لم يصله التوجيه الرسالي ما دام نداء العقل مصاحبًا له أينما كان![1]

= ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلأَلْبَٰبِ﴾[الرعد: 19] وقال: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْأَخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلأَلْبَٰبِ﴾[الزمر: 9]. وقال: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلأَلْبَٰبِ﴾[ص: 29]. وقال: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ (*) هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُوْلِى ٱلأَلْبَٰبِ﴾[غافر: 53 ـ 54] وقال: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[الذاريات: 55].

يا هشام إن الله تعالى يقول في كتابه: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾[ق: 37] يعني: عقل، وقال: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾[لقمان: 12]، قال: الفهم والعقل.

يا هشام إن لقمان قال لابنه: تواضع للحق تكن أعقل الناس، وإن الكيس لدى الحق يسير، يا بني إن الدنيا بحر عميق، قد غرق فيها عالم كثير فلتكن سفينتك فيها تقوى الله، وحشوها الإيمان وشراعها التوكل، وقيمها العقل ودليلها العلم، وسكانها الصبر.

(1) يا هشام إن لكل شيء دليلًا ودليل العقل التفكر، ودليل التفكر الصمت، ولكل شيء مطية ومطية العقل التواضع وكفى بك جهلًا أن تركب ما نهيت عنه. يا هشام ما بعث الله أنبياءه ورسله إلى =

6/ في تعريف مختصر للعاقل ببعض صفاته قال: «إن العاقل (هو) الذي لا يشغل الحلالُ شكرَه، ولا يغلب الحرامُ صبرَه..»

ويعود ليبين ما يهدم العقل ويلغي دوره فيقول إن تلك المهدمات هي: طول الأمل/ وكثرة الكلام/ وشهوات النفس.. فإذا اجتمعت هدمت العقل! «من سلط ثلاثًا على ثلاث فكأنما أعان على هدم عقله: من أظلم نور تفكره بطول أمله، ومحا طرائف حكمته بفضول كلامه، وأطفأ نور عبرته بشهوات نفسه، فكأنما أعان هواه على هدم عقله، ومن هدم عقله، أفسد عليه دينه ودنياه».

7/ ومن أهم علائم العقل: علاقة العبد بربه فإن كان مطيعًا لربه فهو العاقل وإن كان مطيعًا لهواه فيا ضيعة العقل! إن من أنس بالله ورغب فيما عنده كان الله صاحبه وغناه وعزه! لذا ترى الإمام عليه السلام يوصي تلميذه بأن يعزب عن طاعة الهوى ويجدّ في طاعة الاله فيقول «يا هشام كيف يزكو عند الله عملك،

= عباده إلا ليعقلوا عن الله، فأحسنهم استجابة أحسنهم معرفة، وأعلمهم بأمر الله أحسنهم عقلًا، وأكملهم عقلًا أرفعهم درجة في الدنيا والآخرة.
يا هشام إن لله على الناس حجتين: حجة ظاهرة وحجة باطنة، فأما الظاهرة فالرسل والأنبياء والأئمة عليهم السلام، وأما الباطنة فالعقول.

وأنت قد شغلت قلبك عن أمر ربك وأطعت هواك على غلبة عقلك.

يا هشام الصبر على الوحدة علامة قوة العقل، فمن عقل عن الله اعتزل أهل الدنيا والراغبين فيها، ورغب فيما عند الله، وكان الله أنسه في الوحشة، وصاحبه في الوحدة، وغناه في العيلة، ومُعزه من غير عشيرة».

8/ وإن كان لكل شيء هدف وجود وغاية بقاء، فإن هدف وجود الخلق هو طاعة الله سبحانه، فلا نجاة إلا بتلك الطاعة ولا معنى للحياة إلا بها. والطاعة لا تعني الممارسات الظاهرية للعبادات فقط وإنما هي مضافًا إليها العلم والوعي بمنزلة العبد من ربه، وعظمة الرب.

9/ ما هي العلاقة بين الدنيا وأموالها وكمالياتها وبين العقل؟ إن المتأمل في حياة بعض الناس يرى أن محور حياتهم وشقاء عمرهم هو لتحصيل (الفضول) والكماليات! وكأنما ذلك هو هدف حياتهم.. فتراه يأسف على سيارة فارهة بل أكلة لذيذة ما لا يأسف على فوات الطاعة وفعل الذنب! بينما العاقل هو الذي يترك فضول الدنيا ويعزب عن كمالياتها فضلًا عن الذنوب والخطايا! «يا هشام إن العاقل رضي بالدون من الدنيا

مع الحكمة، ولم يرض بالدون من الحكمة مع الدنيا، فلذلك ربحت تجارتهم. يا هشام إن العقلاء تركوا فضول الدنيا فكيف الذنوب، وترك الدنيا من الفضل، وترك الذنوب من الفرض.

يا هشام إن العاقل نظر إلى الدنيا وإلى أهلها فعلم أنها لا تنال إلا بالمشقة ونظر إلى الآخرة فعلم أنها لا تنال إلا بالمشقة، فطلب بالمشقة أبقاهما».

10/ الدنيا طالبة ومطلوبة والآخرة كذلك، لكن بينهما تعاكس ولذلك فـ «إن العقلاء زهدوا في الدنيا ورغبوا في الآخرة، لأنهم علموا أن الدنيا طالبة مطلوبة والآخرة طالبة ومطلوبة، فمن طلب الآخرة طلبته الدنيا حتى يستوفي منها رزقه، ومن طلب الدنيا طلبته الآخرة فيأتيه الموت، فيفسد عليه دنياه وآخرته».

11/ مصدر الخيرات هو كمال العقل، فليتضرع الانسان لربه بأن يكمل عقله! وأن يبقى مستمرًا على الهدى فإن القلوب قد تزيغ بعدما هديت! إن في كمال العقل الغنى وإن لم يكن مالٌ! وفيه راحة القلب والسلامة في الدين، فـ «من أراد الغنى بلا مال، وراحة القلب من الحسد، والسلامة في الدين فليتضرع إلى الله عز وجل في مسألته بأن يكمل عقله، فمن

عقل قنع بما يكفيه، ومن قنع بما يكفيه استغنى، ومن لم يقنع بما يكفيه لم يدرك الغنى أبدًا.

«يا هشام إن الله حكى عن قوم صالحين: أنهم قالوا: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾[1] حين علموا أن القلوب تزيغ وتعود إلى عماها ورداها».

12/ كيف يُعرَف تمام العقل وكماله عند أحد؟ اختبره كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: بـ (خصال شتى:

- الكفر والشر منه مأمونان، والرشد والخير منه مأمولان،
- وفضل ماله مبذول، وفضل قوله مكفوف،
- ونصيبه من الدنيا القوت،
- لا يشبع من العلم دهره،
- الذل أحب إليه مع الله من العز مع غيره، والتواضع أحب إليه من الشرف،
- يستكثر قليل المعروف من غيره، ويستقل كثير المعروف من نفسه،
- ويرى الناس كلهم خيرًا منه، وأنه شرهم في نفسه، وهو تمام الأمر).

13/ وإذا كانت الخصال السابقة التي تدل على كمال العقل تحتاج

(1) آل عمران: 8.

إلى فترة من الزمن لاختبار الشخص، ومعاشرة طويلة قد لا تتيسر للكثير، فهذه علامات سريعة للعاقل يمكن معرفتها بسهولة، كما يقول أيضًا أمير المؤمنين عليه السلام كما نقلها عنها حفيده موسى بن جعفر عليه السلام: «إن من علامة العاقل أن يكون فيه ثلاث خصال: يجيب إذا سئل، وينطق إذا عجز القوم عن الكلام، ويشير بالرأي الذي يكون فيه صلاح أهله، فمن لم يكن فيه من هذه الخصال الثلاث شيء فهو أحمق». وهذه هي التي تؤهل الشخص للتصدر في المجالس لا الثياب الغالية أو الهيئة العالية أو المال الكثير أو المنصب المهم، ولذلك قال أمير المؤمنين عليه السلام متمِّمًا: «لا يجلس في صدر المجلس إلا رجلٌ فيه هذه الخصال الثلاث أو واحدة منهن، فمن لم يكن فيه شيء منهن فجلس فهو أحمق».

14/ وعلامات أُخر في السلوك الاجتماعي، للعاقل لو فكر فيها الانسان لاجتنب الكثير من الاخفاقات والاحباطات، يقول عليه السلام: «يا هشام إن العاقل:

- لا يحدّث من يخاف تكذيبه» فما الداعي لأن تنقل شيئًا لشخص لن يلبث أن يشكك في كلامك أو يجبهك بالتكذيب في وجهك؟ العاقل ينتخب من يضع معلوماته عنده!

- «ولا يسأل من يخاف منعه» فبإمكانك أن تعرف أن هذا الشخص يحتمل أن يرفضك ويرد مطلبك.. فماذا انتفعت من سؤالك وطلبك منه؟ غير الذلة والحرج وربما تحقق الفتور في العلاقة إن لم يكن العداوة.
- «ولا يعد ما لا يقدر عليه» فلا ينبغي أن تأخذك الخفة وتعطي السماء بيد والأرض بأخرى، وعلى طريقة أبشر لأملأنها لك خيلًا ورجالًا.. ثم إذا عدت إلى إمكاناتك وجدت نفسك خاليًا، ووجدت وعدك في الهواء؟ لا تَعِدْ بما لا تقدر عليه وإن كان لا بدَّ أن تقول شيئًا فقل أصنع ما أستطيعه! أو أرجو أن أوفق للقيام بذلك الأمر.. وهكذا.
- «ولا يرجو ما يعنف برجائه» لا تبالغ في توقعاتك من الآخرين فإما أنك لم تفهم مشاعرهم تجاهك! أو أنك لم تُقدّر إمكاناتهم الحقيقية، وكان رجاؤك فوق ما يستطيعون أو ما يريدون بكثير!
- «ولا يقدم على ما يخاف فوته بالعجز عنه» وإنما يقدم على الأشياء والفرص بحسب إمكاناته وقدراته، فليس في كل مطر لك زرع! ولا في كل سوق لك بضاعة!

إن الغرض الأساس من هذه الوصية هو توجيه هشام ومن بعده

شيعة الإمام عليه السلام إلى منزلة العقل، وكيفية تنميته وإعطاء المقاييس التي من خلالها يتعرف إلى سلوك العقلاء، وبماذا يتم العقل ويكمل.

التغفيل وكمال العقل:

إننا نجد وبالذات في هذه الفترات أشكال التحايل المالي والعاطفي والجنسي والسياسي، ما يعظم الحاجة إلى تنمية العقل وتحكيمه في كل مفاصل الحياة، فكم سمعنا عن أشخاص بنوا ثروات ثم إذا بها تذهب أو يذهب أكثرها على أثر حيلة استغفل من خلالها أصحاب الحيلة هذا الشخص أو ذاك فإذا به تحت بروق المطامع والشهوات يهوي صريعًا مفلسًا! وتتساءل: هل يعقل أن يكون هذا الشخص قد سقط هذه السقطة الكبيرة؟ ومثل ذلك ترى في الأمر العاطفي والجنسي وكيف أضاع أشخاص شخصياتهم وأعمارهم وأعمالهم على أثر (سقوط العقل) عن التحكم في قراراتهم ﴿فَأَصْبَحُواْ خَٰسِرِينَ﴾[1].

بل على أثر الاستغفال في الجانب السياسي كان مصيرهم أسوأ مما يتصور! وكل ذلك كان يمكن النجاة منه والخلاص لو أنهم اعتصموا بعروة العقل وكانت ﴿قُلُوبٌ يَعۡقِلُونَ بِهَآ﴾[2].

(1) المائدة: 53.

(2) الحج: 46 .

الحياة الأسرية للإمام الكاظم

جاء في وصية الإمام موسى بن جعفر[1]: «وإلى عليٍّ (يعني

(1) نقلها الكليني في الكافي1/ 364، (.. أشهدهم أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث ما في القبور وأن البعث بعد الموت حق وأن الوعد حق وأن الحساب حق والقضاء حق وأن الوقوف بين يدي الله حق وأن ما جاء به محمد ﷺ حق وأن ما نزل به الروح الأمين حق، على ذلك أحيا وعليه أموت وعليه ابعث إن شاء الله، وأشهدهم أن هذه وصيتي بخطي وقد نسخت وصية جدي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ ووصية محمد بن علي قبل ذلك نسختها حرفًا بحرف ووصية جعفر بن محمد، على مثل ذلك وإني قد أوصيت إلى عليٍّ وبنيَّ بعدُ معه إن شاء وآنس منهم رشدًا وأحب أن يقرهم فذاك له وإن كرههم وأحب أن يخرجهم فذاك له ولا أمر لهم معه وأوصيت إليه بصدقاتي وأموالي وموالي وصبياني الذي خلفت وولدي إلى إبراهيم والعباس وقاسم وإسماعيل وأحمد وأم أحمد وإلى عليٍّ أمر نسائي دونهم وثلث صدقة أبي وثلثي، يضعه حيث يرى ويجعل فيه ما يجعل ذو المال في ماله، فإن أحب أن يبيع أو يهب أو ينحل أو يتصدق بها على من سميت له وعلى غير من سميت، فذاك له وهو أنا في وصيتي في مالي وفي أهلي وولدي وإن يرى أن يقر إخوته الذين سميتهم في كتابي هذا أقرهم وإن كره فله أن يخرجهم غير مثرب عليه ولا مردود، فإن آنس منهم غير الذي فارقتهم عليه فأحب أن يردهم في ولاية فذاك له وإن أراد رجل منهم أن يزوج أخته فليس له أن يزوجها إلا بإذنه وأمره، فإنه أعرف بمناكح قومه وأي سلطان أو أحد من الناس كفه عن شيء أو حال بينه وبين شيء مما ذكرت في كتابي هذا أو أحد ممن ذكرت، فهو من الله ومن رسوله برئ والله ورسوله منه براء وعليه لعنة الله وغضبه ولعنة اللاعنين والملائكة المقربين والنبيين والمرسلين وجماعة المؤمنين وليس لاحد من السلاطين أن يكفه عن شيء وليس لي عنده تبعة ولا تباعة ولا لاحد من ولدي له قبلي مال، فهو مصدق فيما ذكر، فإن أقل فهو أعلم وإن أكثر فهو الصادق كذلك وإنما أردت بإدخال الذين أدخلتهم معه من ولدي التنويه بأسمائهم والتشريف لهم. وأمهات أولادي من أقامت منهن في منزلها =

الرضا) أمر نسائي دونهم (باقي اخوته) وثلث صدقة أبي وثلثي، يضعه حيث يرى ويجعل فيه ما يجعل ذو المال في ماله، فإن أحب أن يبيع أو يهب أو ينحل أو يتصدَّق بها على من سميت له وعلى غير من سميت، فذاك له. وإن أراد رجل منهم أن يزوج أخته فليس له أن يزوجها إلا بإذنه وأمره، فإنه أعرف بمناكح قومه... وأمهات أولادي من أقامت منهن في منزلها وحجابها فلها ما كان يجري عليها في حياتي إن رأى ذلك، ومن خرجت منهن إلى زوج فليس لها أن ترجع إلى محواي الا أن يرى عليٌّ

= وحجابها فلها ما كان يجري عليها في حياتي إن رأى ذلك، ومن خرجت منهن إلى زوج فليس له أن ترجع إلى محواي الا أن يرى عليٌّ غير ذلك وبناتي بمثل ذلك ولا يزوج بناتي أحد من إخوتهن من أمهاتهن ولا سلطان ولا عم إلا برأيه ومشورته، فإن فعلوا غير ذلك فقد خالفوا الله ورسوله وجاهدوه في ملكه وهو أعرف بمناكح قومه، فإن أراد أن يزوج زوج وإن أراد أن يترك ترك وقد أوصيتهن بمثل ما ذكرت في كتابي هذا وجعلت الله عز وجل عليهم شهيدًا وهو وأم أحمد [شاهدان] وليس لاحد أن يكشف وصيتي ولا ينشرها وهو منها على غير ما ذكرت وسميت، فمن أساء فعليه ومن أحسن فلنفسه وما ربك بظلام للعبيد وصلى الله على محمد وعلى آله وليس لأحد من سلطان ولا غيره أن يفض كتابي هذا الذي ختمت عليه الأسفل، فمن فعل ذلك فعليه لعنة الله وغضبه ولعنة اللاعنين والملائكة المقربين وجماعة المرسلين والمؤمنين من المسلمين وعلى من فض كتابي هذا. وكتب وختم أبو إبراهيم والشهود وصلى الله على محمد وعلى آله».

وفي وصية أخرى له ذكرت في البحار 48/ 281 جاء فيها: فإن تزوجت امرأة من ولد موسى بن جعفر فلا حق لها في هذه الصدقة حتى ترجع إليها بغير زوج، فإن رجعت كانت لها مثل حظ التي لم تتزوج من بنات موسى ومن توفي من ولد موسى وله ولد، فولده على سهم أبيهم للذكر مثل حظ الانثيين على مثل ما شرط موسى بين ولده من صلبه، ومن توفي من ولد موسى ولم يترك ولدا رد حقه على أهله الصدقة.

غير ذلك وبناتي بمثل ذلك ولا يزوج بناتي أحد من إخوتهن من أمهاتهن ولا سلطان ولا عم إلا برأيه ومشورته، فإن فعلوا غير ذلك فقد خالفوا الله ورسوله.

تشير هذه الوصية إلى جوانب من الحياة الاسرية والزوجية التي كان يعيشها الإمام الكاظم عليه السلام.

وبقراءة هذه الوصية كاملة سنلاحظ الإشارة إلى أنه أشرك أبناءه في الوصية وعدّدَهم والغرض في ذلك هو تشريفهم والتنويه بذكرهم بل وأشار في هذه الوصية إلى احدى زوجاته وهي أم أحمد بن موسى بن جعفر، وهذه المرأة الصالحة وهي ليست أمّ الإمام الرضا ولكنها من زوجات الإمام موسى الفاضلات وإحدى الراويات عنه وممن سلمت بإمامة الإمام الرضا. ويستفاد من هذه الوصية أنه بالإمكان أن تكون المرأة وصيًّا حيث ذكرها الإمام كأحد الأوصياء فلا يشترط الذكورة في الوصية، وقد نص في هذه الوصية أن المتصرف الأول فيها هو الإمام علي الرضا عليه السلام، وهذا بالإضافة إلى أنه أحد علائم الإمامة والإشارة إلى الإمام من بعده كما ذكر ذلك متكلمو الإمامية، في باب علائم الإمام والإشارة إليه. هو صريح في عدم منازعته في قراراته فيما يرتبط بمواضيع الوصية، والتي كان منها:

أولًا: أمر زوجاته.

ثانيًا: أمر بناته..

بالنسبة إلى الزوجات وأمهات الأولاد يكلَّف الإمام الرضا بالصرف عليهن والانفاق ما دمن باقيات في بيت أبيه ولم يتزوجن، فإن تزوجن أو خرجن فلا مسؤولية عليه تجاههن. وهذا يؤكد على ما هو معروف بين الإمامية من أن زوجات الأوصياء لا مانع من زواجهن بعد طلاقهن أو موته عنهن، خلافًا لزوجات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، حيث لا يحق لهن الزواج بعد النبي.

كما أنه قد حدد بأن يكون ذلك من ثلث أمواله، وفي ذلك إشارة إلى رجحان ترك الانسان من ثلث ماله ما يعين زوجاته وأرحامه من بعده وإن كن وارثات، بالإضافة إلى أنه دليل على جواز الوصية للوارث خلافًا لما عليه مدرسة الخلفاء من أنه (لا وصية لوارث)!

والثلث مما ترك الإمام عليه السلام يعتبر شيئًا كثيرًا، وسيأتي الحديث عنه في البحث عن الجانب الاقتصادي في حياة الإمام الكاظم عليه السلام، فإن ما بقي إلى يومنا هذا من أملاك وبساتين وضِيَع موسى بن جعفر هو عظيم جدًا مع اندثار قسم منه، فكيف به في ذلك الزمان؟

ويلاحظ في هذه الوصية شدة الاهتمام ببناته، حيث أوكل أمر زواجهن إلى ابنه الإمام الرضا، فمن شاء زوج منهن ومن شاء ترك، وجهة ذلك أنه الأعرف بمناكح قومه، واحتياجات أخواته ونصحه لهن!

كم هو عدد أولاده [ذكورًا وإناثًا]:

أكثر التقديرات عددًا هو ما ذكره ابن عنبة في كتاب عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب وذكر فيه أنّ موسى الكاظم ﷺ وَلَد ستّين ولدًا، سبعًا وثلاثين بنتًا، وثلاثة وعشرين ابنًا، دَرَج منهم خمسة[1] لم يُعقبوا، بغير خلاف فيكون الباقي منهم: خمسة وخمسين.

ولعل صاحب كتاب الإمام الكاظم وذراريه[2] اعتمد هذا القول فذكر في الكتاب أسماء 18من الذكور و35 من الاناث ومجموعهم يكون 53، وبعد استثناء من دَرجوا وماتوا وهم صغار يكون العدد قريبًا جدًا لما ذكره ابن عنبة. وقال الأربلي: «قال ابن الخشاب: ولد له عشرون ابنًا، وثمانية عشر بنتًا»[3].

وقال عليّ بن محمّد العلويّ العَمْري في (المجْدي في أنساب الطالبيّين) أنّ الإمام الكاظم ﷺ: «وَلَد سبعًا وثلاثين بنتًا واثنتين

(1) الحسيني (ابن عنبة)، أحمد بن علي: عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب.
(2) الخفاف، اسماعيل: الإمام الكاظم وذراريه 133.
(3) الإربلي، علي بن أبي الفتح: كشف الغمة في معرفة الأئمة 3/ 6.

وعشرين ذكرًا غير الأطفال فيكون ولده فيما رواه الأشناني تسعة وخمسين ولدًا»[1].

وأما الشيخ المفيد فقال: «وكان لأبي الحسن موسى عليه السلام سبعة وثلاثون ولدًا ذكرًا وأنثى»[2].

وقال ابن شهر آشوب: «أولاده ثلاثون فقط، ويقال: سبعة وثلاثون»[3].

نختار رأي الشيخ المفيد في أنهم 37 ولدًا:

والذي يقوى بالنظر هو كلام الشيخ المفيد رحمه الله، ويؤيد ذلك ما رواه الشيخ الصدوق في عيون أخبار الرضا حادثة قدوم الإمام موسى بن جعفر عليه السلام على هارون الرشيد في زيارته المدينة كما نقلها المأمون ابنه بالقول: أتدرون من علّمني التشيّع؟ فقال القوم جميعًا: لا والله ما نعلم، قال: علّمنيه الرشيد، قيل له: وكيف والرشيد كان يقتل أهل هذا البيت؟ قال: كان يقتلهم على الملك لأنّ الملك عقيم، ولقد حججت معه سنة فلمّا صار إلى المدينة تقدّم إلى حجّابه وقال: لا يدخلنّ عليّ رجل من أهل المدينة ومكّة من أبناء المهاجرين والأنصار وبني هاشم وسائر بطون

(1) العلوي العمري، علي بن محمد: المجدي في أنساب الطالبين 266.
(2) المفيد، الإرشاد2/ 244.
(3) ابن شهرآشوب: المناقب 4/ 324.

قريش إلّا نسب نفسه.. إلى أن قال: ذاكرًا قدوم الإمام موسى بن جعفر وإقبال هارون عليه يسأله عن أحواله، ثم قال له: يا أبا الحسن ما عليك من العيال؟ فقال: يزيدون على الخمسمائة قال: أولاد كلهم؟ قال: لا أكثرهم موالي وحشم.

أما الولد فلي نيف وثلاثون والذكران منهم كذا والنسوان منهم كذا قال: فلمَ لا تزوج النسوانَ من بني عمومتهن وأكفائهن؟ قال: اليد تقصر عن ذلك قال: فما حال الضيعة؟ قال: تعطي في وقت وتمنع في آخر!.

قال: فهل عليك دين؟ قال: نعم قال: كم؟ قال: نحو عشرة آلاف دينار فقال الرشيد: يا بن عم أنا أعطيك من المال ما تزوج الذكران والنسوان وتقضي الدين وتعمر الضياع فقال له: وصلتك رحم يا بن عم وشكر الله لك هذه النية الجميلة والرحم ماسة والقرابة واشجة والنسب واحد والعباس عم النبي ﷺ وصنو أبيه وعمّ علي بن أبي طالب عليه السلام [1].

(1) الصدوق: عيون أخبار الرضا 1/ 85 بسند لا بأس به إلى سفيان بن نزار حيث روى الحادثة بتفصيلها عن المأمون، ومع أن (سفيان بن نزار) هذا لم يذكروه في الرجال، وذكر المامقاني في تنقيح المقال أنه ليس من الرواة ولذلك لم يذكروه، إلا أن من نقل الحادثة وهم كثير جدًّا لم يتوقفوا فيها أو فيه، واعتمدوا نقلها في كتبهم. بدءًا من الشيخ الصدوق في عيون أخبار الرضا، ومرورًا بالعلامة المجلسي في البحار وتلميذه البحراني في العوالم، كله نقلًا عن الصدوق، وهكذا من تأخر عنهم.

فبناء على هذه الرواية يكون لدى الإمام عليه السلام حين استقبله هارون العباسي، ثلاثون ونيّفٌ من الأولاد ذكورًا وإناثًا، و(نيّف) في اللغة وتستعمل بعد العقود والعشرات عادة، هي من واحد إلى ثلاثة، يعني أكثر ما سيكون في ذلك الوقت هو ثلاثة وثلاثون! ولم تتحدد سنة زيارة هارون للمدينة، ولا ريب أنها كانت قبل سنة 179هـ وهي السنة التي عزم فيها على اعتقال الإمام وأرسله بعد ذلك ليسجن في البصرة، وقيل إنه قد حج في سنوات 173هـ و174 و175 فإذا فرضنا أنه كان اللقاء في احدى هذه السنوات فمن المعقول جدًّا أن يصبح عدد أولاده إلى حين اعتقاله سنة 179هـ دون الأربعين كما ذكره الشيخ المفيد من تحديده بـ 37 ولدًا، وأما ما ذكر عن المجدي وابن عنبة من أنهم ستون أو سبعة وخمسون فبعيد للغاية، وذلك أنه لا يعقل أن يكون قد تضاعف عددهم خلال أربع سنوات أو خمس سنوات، وما كان عنده من الأولاد خلال خمس وعشرين سنة سابقة وهو ثلاثون ولدًا سيتضاعف خلال خمس سنوات ليصبح ستين!! مع ملاحظة أن السنوات الخمس الأخيرة كان في حالة سجن أو شبيهة بها!.

ونحتمل ولا نملك دليلًا على ذلك أن البعض حين قال 37 ولدًا، حسب الأمر عائدًا للذكور بينما كان لمجموع الذكور والإناث.

وكذلك نستبعد ما ذكره ابن شهرآشوب في اختياره عدد الثلاثين، فإن الإمام صرح بناء على الرواية المذكورة أن له من الولد ثلاثين ونيّفا، فإذا كان إلى حين ذلك الوقت وهو وقت لقائه بهارون، لديه هذا العدد من الولد فكيف نقص هذا العدد إلى الثلاثين مع أنه بقي في المدينة مع أهله ونسائه مدة خمس سنوات أو نحوها، ومقتضى ذلك زيادة العدد لا نقصانه!.

ولعل سائلًا يقول: إنه تمَّ ذكر أسماء أكثر من هذا العدد، كما فعل صاحب كتاب الإمام الكاظم وذراريه، فماذا تصنعون بذلك؟

والجواب: إن جمع الأسماء من كتب مختلفة يؤدي بشكل طبيعي إلى مثل هذه النتيجة خصوصًا وأن الشخصية الواحدة قد تعنون بعدة أسماء أحيانًا ولا يتم تحقيق أن هذا المسمى قد يكون أطلق عليه أسماء متعددة، وأحيانًا يفترض له عنوان (الأكبر والأصغر) فيكون شخصيتين بدلًا من كونه واحدًا وهكذا.

كيف تمَّ ذلك والحال أنه كان في السجن؟

يستبعد البعض حتى العدد الذي ذكره الشيخ المفيد رحمه الله وهو 37 ولدًا بين ذكر وأنثى، ويتساءلون: كيف يمكن ذلك والحال أن أغلب حياة الإمام عليه السلام كانت في السجون؟.

والجواب: أن هذا الاستبعاد مبني على أرضية خاطئة وهي أن الإمام موسى بن جعفر قضى أغلب حياته في السجن فلا يتيسر له هذا العدد من الأولاد، فإذا كانت هذه الأرضية متداعية فلا يوجد معنى صحيح للسؤال، أما خطأ تلك الأرضية فهو أننا قد أثبتنا فيما مرَّ من الصفحات بأن فترات بقاء الإمام عليه السلام في السجن لا تتجاوز 6 سنوات في أكثر التقديرات الصحيحة، فكان منها سنة أو نحوها في أيام المهدي العباسي، وحوالي أربع سنوات أيام هارون الرشيد العباسي. ويبقى بعد ذلك من عمره الشريف ومجموعة (55 سنة)، تسعٌ وأربعون سنة، فإذا فرضنا أنه تزوج وعمره عشرون سنة أو دون ذلك[1] فإن حصول هذا العدد من الأولاد من عدة نساء (بين زوجات وملك يمين) خلال ثلاثين سنة أو نحوها ليس أمرًا استثنائيًا على الاطلاق، وسيأتي ذكر لبعض زوجاته ونسائه.

زوجاته ونساؤه:

1/ في طليعة القائمة تأتي والدة الإمام علي بن موسى عليه

(1) قد ذكر المؤلفون بأن إبراهيم بن موسى بن جعفر وهو الأكبر بين أولاده قد ولد في سنة 146 أي قبل شهادة جده الإمام الصادق عليه السلام وهذا يعني أن الإمام موسى كان عمره حين ولد ابنه ثمانية عشر عامًا!

وعليها السلام، وهي من الجواري وأمهات الأولاد، واسمها المشهور (تُكتَم) بصيغة المجهول من فعل كتم يكتم، على وزن ومعنى (تُستَر). وقد ذكرنا في موضع آخر معنى أمهات الأولاد، وفلسفة اقتران الأئمة عليهم السلام بهن. وربما سميت (نجمة أو الخيزران) وقد أنجبت هذه الجارية للإمام موسى: ابنه عليًا الرضا وابنته فاطمة (المعروفة بالمعصومة والمدفونة في قم) وكذلك قيل إنها أم القاسم بن موسى (المدفون في الحلة من العراق).

وقد ذكر الشيخ الصدوق في عيون أخبار الرضا قصة شرائها للإمام بما يظهر منه علو شأنها، بالإضافة إلى ما ذكرته والدة الإمام الكاظم عليه السلام في حقها قائلة للإمام موسى: إن تكتم جاريةٌ ما رأيت قط أفضل منها... وقد وهبتها لك.

2/ أم أحمد بن موسى بن جعفر: ويكفي في فضلها أن بعض الروايات أشارت إلى أن الإمام موسى أودعها حين أخرج للسجن سنة 179هـ، الكتب والوصايا وما يتعلق بمواريث الإمامة والأئمة، لتعطيها لمن يطلبها من بعده، والذي سيكون عليا الرضا ابنه، وخصها بذكر اسمها من بين نسائه في وصيته. وكذلك موقفها المتميز في مبايعة الإمام وتقديمه

على كل إخوته ومن بينهم ابنها أحمد الذي هو بدوره لما اجتمع «أهل المدينة على باب أُم أحمد وسار أحمد معهم إلى المسجد ولما كان عليه من الجلالة ووفور العبادة ونشر الشرائع، وظهور الكرامات ظنوا بأنه الخليفة والإمام بعد أبيه، فبايعوه بالإمامة فأخذ منهم البيعة، ثمّ صعد المنبر وأنشأ خطبته التي كانت في نهاية البلاغة وكمال الفصاحة، ثمّ قال: أيها الناس كما إنكم جميعًا في بيعتي فاني في بيعة أخي علي بن موسى الرضا عليه السلام واعلموا أنّه الإمام والخليفة من بعد أبي، وهو ولي الله والفرض عليّ وعليكم من الله ورسوله طاعته، بكل ما يأمرنا، فكل من كان حاضرًا خضع لكلامه، وخرجوا من المسجد، يتقدمهم أحمد بن موسى عليه السلام. وحضروا باب دار الإمام الرضا عليه السلام فجددوا معه البيعة، فدعا له الرضا عليه السلام وكان في خدمة أخيه مدة من الزمن إلى أن أرسل إلى الرضا وأشخصه إلى خراسان»[1] وأحمد ابنها هو المعروف بـ (شاهجراغ) والمدفون في شيراز/ إيران.

وقد ذكر له عليه السلام أمهات أولاد أخريات لم تنقل أحوالهن بل ولا أسماؤهن.. نعم نحن لا نقبل ما ذكره البعض من المبالغة في

(1) المجلسي: بحار الأنوار48/ 310.

أعدادهن، تبعًا لتصور أولئك بأن عدد الأولاد المذكور يقتضي أعدادًا مماثلة من الزوجات، وقد سبق القول إننا نختار مختار الشيخ المفيد، ويكفي في ذلك أن يكون للإمام عليه السلام خمس جوار وأمهات أولاد لإنجاب مثل ذلك العدد، خلال مدة تصل إلى ثلاثين سنة هي الفترة من أول زواجه إلى سنة سجنه 179.. وهذا العدد أمر طبيعي للغاية.

ومن أولاده: بعد الإمام علي بن موسى عليه السلام [1]

1/ إبراهيم بن موسى؛ وهو الأكبر من ولده وبه كان يكنى في إحدى كناه فيقال: أبو إبراهيم. قيل إن أمه أم ولد تسمى نجية.

2/ أحمد بن موسى وقد سبق ذكره.

3/ القاسم بن موسى وهو الذي ينقل قصة تشرده وزواجه وموته خطباءُ المنبر لكونها مشجية. وهو مدفون بالحلة من العراق وله مقام ومشهد.

هل تزوجت بنات الإمام موسى الكاظم أو لا؟

قولان:

الأول: ولعله المشهور في أوساط عامة الناس أن بنات

(1) سيتم الحديث عن أحواله في كتاب خاص إن شاء الله تعالى.

الإمام ﷺ، لم يتزوجن بأجمعهن، ولعل هذا يأتي في سياق الحديث عن مظلومية الإمام ﷺ، وربما يستند أصحاب هذا القول إلى أن أبرز بناته وهي فاطمة (المعصومة) لم يعرف أنها تزوجت! وإلى أن اليعقوبي في تاريخه قد ذكر بأن الإمام أوصى أن لا يتزوجن![1] إما لجهة عدم وجود الكفء أو للوضع السياسي الصعب الذي مرَّ به الإمام. وبناء عليه فإنه لم تتزوج أي من بناته إلا أم سلمة وقد توترت علاقة زوجها القاسم بن محمد بن الإمام الصادق مع أهله على أثر ذلك فحلف أنه ما فعل ذلك إلا من أجل أن يذهب بها إلى الحج.

والقول الثاني: ينتهي إلى رفض تلك الكلية!

ولهم أن يناقشوا من خلال الأمور التالية:

1/ إن كلام اليعقوبي (ت 284) مرسل من غير اعتماد على رواية أو خبر سابق، إذ بينه وبين شهادة الإمام الكاظم ﷺ مائة سنة من الزمان! ولم ينقل هذا الخبرَ غيرُه لا قبله ولا بعده فيما تتبعنا! ولا نعلم من أين أتى به!

(1) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب: تاريخ اليعقوبي 2/ 415 وأوصى موسى بن جعفر ألا تتزوج بناته، فلم تتزوج واحدة منهن إلا أم سلمة، فإنها تزوجت بمصر، تزوجها القاسم ابن محمد بن جعفر بن محمد، فجرى في هذا بينه وبين أهله شيء شديد، حتى حلف أنه ما كشف لها كنفا، وأنه ما أراد إلا أن يحج بها!.

2/ بالنظر إلى مجمل وصايا الإمام عليه السلام، لا نجد أنه (أوصى) ألا تتزوج بناته وإنما أنه لا حق لأحد من أخ أو عم أو سلطان أن يزوجهن! وإنما ذلك هو لعلي الرضا أخيهن فإن شاء فعل وإن شاء ترك! ومن خالف في ذلك فعليه لعنة الله! وهذا بعيد غاية البعد عن موضوع المنع من تزويجهن! بل قد يكون دليلًا على رغبته في تزويجهن ولكن بهذه الصورة.. وإلا لو تمَّ الفهم بهذا النحو، فإنه يقال إن إنفاق الثلث هو بيد فلان ولا حق لغيره أن ينفقه! أن يقال إن هذه وصية بعدم إنفاق الثلث!! وهو كما ترى غير صحيح.

ونحن نحتمل أن يكون الفهم الخاطئ لما جاء في هذه الوصية هو السبب في نسبة منع التزويج إلى الإمام عليه السلام.

3/ إننا نستبعد صدور مثل هذه الوصية من الإمام عليه السلام لكونها مرجوحة فإن العزوبة في الشريعة الإسلامية ليست مستحسنة، لا سيما بالنظر إلى ما عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «تزوجوا فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: من أحب أن يتبع سنتي فإن من سنتي التزويج»[1] وأول شخص يمكن أن يطبق سنة النبي هو الإمام فهو ابن النبي لذلك لا يتصور أن تبقى سبع عشرة فتاة من بناته عازبات من غير مبرر واضح.

(1) الكليني، الكافي 5/ 329.

وحتى لو كانت هناك ظروف تقتضي ذلك بالنسبة لبعض الناس في بعض الفترات فإنها تقدر بقدرها لا أن تكون عامة، خصوصًا بالنسبة لكل بنات الإمام عليه السلام وهن ما يزيد عددهن على خمس عشرة فتاة!

4/ ما قد يشار إليه في أن الظرف السياسي أو الاجتماعي كان مانعًا عن تزويجهن، لم نجد له واقعية واضحة، فإن الوضع السياسي للإمام الكاظم عليه السلام لم يكن واحدًا في طول إمامته بل شهد فترات استرخاء طويلة في بعضها وفترات شدّ، فيمكن القول إن زمان المهدي العباسي لم يكن من فترات الضغط الشديدة كما كان زمان الهادي، أو السنوات الخمس الأخيرة من عمره الشريف زمان هارون العباسي، والحال أن فترة إمامته استمرت خمسًا وثلاثين سنة، فلا نعتقد أنها كانت صعبة إلى الدرجة التي تمنع تزويج البنات! ولم نعهد في تاريخ أحد من أئمة أهل البيت مثل ذلك مع أن ظروف بعضهم السياسية لم تكن أقل من ظروف وأيام الكاظم عليه السلام.

وهكذا الحال بالنسبة للوضع الاجتماعي والزعم بأنه لا يوجد الكفء فإن هذا أضعف من سابقه! والأمر فيه واضح!

5/ وما قيل من أنه لم تتزوج من بناته سوى أم سلمة، وأنه

تزوجها القاسم حفيد الإمام الصادق واعتذر بأنه تزوجها للذهاب للحج.. فيقال إنه لم تذكر المصادر التاريخية تزوج بنات الأئمة كحدث من الأحداث التي تنقل! نعم لو كان يرافق ذلك حدث أو واقعة للزوج من حرب أو سجن أو ما شابه فإنه تنقل تلك الحادثة وربما نقل أيضًا موضوع زواجه بابنة الإمام، ولو تتبعنا ذلك في المصادر التاريخية لوجدناه واضحا، وهذا أمر طبيعي فإن المؤرخ لا يعتبر زواج فلانة أو طلاقها من الحوادث التاريخية التي يجب تدوينها وتأريخها! وليس ذلك مقصورًا على بنات الإمام الكاظم بل هو جارٍ في بنات سائر الأئمة عليهم السلام.

إن كتب الأحاديث لو نقلت شيئًا عنهن فإنما تنقل الروايات التي روينها،[1] وكتب التاريخ إنما تنقل الأحداث التي ترتبط بهن، وليس منها أنهن تزوجن أو طلقن أو ما شابه ما لم يرتبط بذلك

(1) المجلسي: بحار الأنوار65/ 78 عن كتاب المسلسلات: حدثتنا فاطمة بنت علي بن موسى الرضا عليه السلام قالت: حدثتني فاطمة وزينب وأم كلثوم بنات موسى بن جعفر عليه السلام قلن حدثتنا فاطمة بنت جعفر بن محمد عليه السلام قالت: حدثتني فاطمة بنت محمد بن علي عليه السلام قالت: حدثتني فاطمة بنت علي بن الحسين عليه السلام قالت: حدثتني فاطمة وسكينة ابنتا الحسين بن علي عليه السلام عن أم كلثوم بنت علي عليه السلام عن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: لما أسري بي إلى السماء دخلت الجنة فإذا أنا بقصر من درة بيضاء مجوفة، وعليها باب مكلل بالدر والياقوت، وعلى الباب ستر فرفعت رأسي فإذا مكتوب على الباب «لا إله إلا الله محمد رسول الله علي ولي القوم «وإذا مكتوب على الستر بخ بخ من مثل شيعة علي؟.. الحديث.

حدث من الأحداث! بل نرى أن الكلام عن أم سلمة المذكورة إنما جاء في سياق الحديث عن زوجها القاسم وأنه ذهب إلى مصر ووفد على حكامها.

على أن ما ذكر في نص اليعقوبي يخالفه ما ذكره مؤرخون من أن أم سلمة (وربما سميت فاطمة في بعض المصادر) سافرت بصحبة زوجها القاسم حفيد الإمام الصادق إلى مصر[1] وهذا ليس في طريق الحج وقد أولدها وكان من بناتها: زينب وقد بقيت في مصر،[2] وهذا ينفي ما قيل من أنه إنما تزوجها ليذهب معها إلى الحج. وينفي ما قيل من أنه ما كشف لها كنَفًا (حضنًا).. فكيف وقد أولدها؟

ومن خلال ما تقدم لا نستطيع تأييد القول الأول الذي لا شاهد عليه سوى نقل اليعقوبي في تاريخه، وهو خبر من غير إسناد ولم يذكره أحد لا قبله ولا بعده، بالإضافة إلى ابتلائه بجملة من الملاحظات تبينت عند التعرض للقول الثاني الذي نراه أوفق بالأصول والقواعد.

(1) إبراهيم، السيد محمد زكي: مراقد أهل البيت في القاهرة 86

(2) مجموعة مؤلفين، أهل البيت في مصر 459

كظم الغيظ في الجانب السياسي

﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ (*) ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[1].

عُرف الإمام أبو الحسن موسى بن جعفر بالكاظم فصار هذا اللقب الرسمي له بحيث إذا قيل الكاظم تبادر إلى الذهن موسى بن جعفر فما هي قصة هذا اللقب؟

وردت هذه الصفة في القرآن الكريم في الآية المباركة سابقة الذكر التي تتحدث عن أن الجنة التي عرضها السماوات والأرض إنما أعدت للمتقين، وهم الذين يتميزون بالصفات الأربع:

- منفقون في السراء والضراء.
- كاظمون للغيظ.
- عافون عن الناس.
- محسنون إلى الآخرين.

(1) آل عمران: 133 ـ 134.

ومعنى (كظم) في اللغة

إشارة إلى معنى الربط والإحكام، ففي القديم حين كانوا يملؤون القربة بالماء، يربطون أعلاها بقوة حتى لا يندلق الماء، أو يتسرب منها، فيقال كظم القربة أي أحكم ربطها حتى لا يتسرب ماؤها، وهذا المعنى الطبيعي استعير واستجلب في المنحى الأخلاقي فاعتبر قلب الانسان بمثابة تلك القربة، وحيث أنه يمتلئ أحيانًا بالغيظ والمشاعر المتفجرة ويخشى من خروجها كان لا بدَّ له من (كظم) وربط وإحكام.

والغيظ شدة في الغضب، تظهر آثاره على جوارح الانسان، إذ ليس كل غضب هو كذلك، لكن الغيظ له آثار خارجية وتعبيرات تظهر على وجه الانسان، وكلامه، وسلوكه وجوارحه، ولذلك فرّق بعضهم في التعبير بصحة استعمال (إن الله يغضب لغضبها) كما ورد في الأخبار، لكن لا يصح أن يقال (إنه يغتاظ) لأن لازم هذا الثاني حصول الآثار والتغيرات على الشخص المغتاظ وهو لا يصح في الله سبحانه وتعالى!.

وربما يشير إلى ذلك ما جاء في كتاب الله تعالى ﴿وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِۚ﴾[1] .

(1) آل عمران: 119.

إن الكاظم لغيظه هو الذي يشد حبل التجلد والسيطرة على قلبه حتى لا يخرج غيظه على الآخرين في كلام جارح أو حركة جوارح منتقمة أو ما شابه ذلك.

وقد تسأل إن هذه الصفة موجودة في باقي المعصومين، فلماذا أصبحت للإمام الكاظم لقبًا وكأنها خاصة به؟

لا سيما وأنه قد ورد في بعض الروايات أنه تمَّ تطبيقها على الإمام زين العابدين، كما نقل ذلك شيخ الطائفة الطوسي في تفسير التبيان (ت460هـ) والبيهقي في سنن البيهقي (458هـ) وبعدهما الشيخ الطبرسي في مجمع البيان، فقد ذكروا في تفسير هذه الآية المباركة ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[1]: روي أن جارية لعلي بن الحسين، جعلت تسكب عليه الماء ليتهيأ للصلاة، فسقط الإبريق من يدها فشجه، فرفع رأسه إليها، فقالت له الجارية: أن الله تعالى يقول: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾ فقال لها: قد كظمت غيظي. قالت: ﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾ قال: قد عفا الله عنك. قالت: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ قال: اذهبي فأنت حرّة لوجه الله[2].

(1) آل عمران: 134.

(2) الطبرسي، الفضل بن الحسن: تفسير مجمع البيان 2/ 393.

وقد نسب الحادثة كتّابٌ آخرون لبعض الأئمة كالإمام الصادق تارة، والإمام الكاظم[1] أخرى ولكن أكثر المصادر تشير إلى أنها حصلت للإمام زين العابدين عليه السلام.

وقد أغرب الغزالي في إحياء علوم الدين[2] حين نسبها إلى شخص يسمى ميمون بن مهران، وآخر نسبها إلى هارون العباسي وهذا من أعجب العجب فإن هارون كان لا يقف أمام غيظه شيء! ويكفيك ما فعله بالإمام موسى بن جعفر حيث لم يتحمل منه أن ينتسب إلى جده رسول الله! بل يكفيك أن ترى ما صنعه بالبرامكة مع ما شيدوه له من أركان حكمه فلم يبق عليهم باقية!

وعلى كل حال فإن هذه الصفة (الكاظم) أصبحت لقَبًا للإمام موسى بن جعفر عليه السلام بحيث لو أطلقت لا يكاد يتبادر للذهن سواه.. لماذا؟

إننا نعتقد أن ذلك يرجع إلى أن هذه الصفة كانت العنوان العام الذي كان يعرّف سياسة الإمام موسى طيلة حياته وإمامته، ونعيد إلى الذهن ما ذكرناه في حديثنا عن الإمام الحسن بن علي المجتبى عليهما السلام من أن ألقاب الأئمة لم تكن هكذا عشوائية وإنما في الغالب هي إشارات إلى الأدوار التي قام بها المعصومون.

(1) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة 46/ 18.

(2) الغزالي؛ أبو حامد: إحياء علوم الدين 6/ 51.

وبناء على ذلك نقول: إن كظم الغيظ تارة يكون ضمن الإطار الفردي الاخلاقي مثل الحادثة المذكورة مع الجارية أو العبد، وأخرى يكون استراتيجية عامة في التعامل مع السلطة الحاكمة أو الفئات المخالفة، ونعتقد أن هذا الثاني أكثر أهمية من الأول.

فإن اتخاذ كظم الغيظ استراتيجية تعاملٍ مع السلطات بالرغم من تعمدها استفزاز مخالفيها هو أقصى درجات التعقل والحفاظ على الذات والمكتسبات والأنصار، بينما الانسياق وراء الاستفزاز بالرد والتحدي قد يكون فخًّا نصبته السلطات لمخالفيها لتجرهم إلى معركة غير متكافئة وتنهي بذلك وجودهم.

إن بقاء الإمام موسى بن جعفر عليه السلام وشيعته خارج دائرة المواجهة المباشرة مع السلطة العباسية التي كانت في أوج قوتها أيام ثلاثة من خلفاء العباسيين الأقوياء، وفي إبان شباب هذه الدولة ونشاطها، كان من ثمرات سياسة كظم الغيظ وعدم الاستجابة للاستفزازات. ولهذا طالت مدة إمامة الإمام موسى نحوا من خمس وثلاثين سنة، وهي من أطول فترات الإمامة بين المعصومين عليهم السلام [1].

(1) استمرت فترة إمامة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام 30 سنة، والإمام علي بن الحسين 33 سنة، والإمام الصادق 34 سنة، بينما كانت إمامة الإمام الكاظم 35 سنة، والإمام الهادي 33 سنة.. ففترة إمامة الكاظم هي أطول الفترات قاطبة.

إن تشنج المنصور العباسي حتى كان قد عزم على أن يقتل وصي الإمام جعفر الصادق لولا أن الإمام قد احتاط لذلك بتدبير، وتقلب المهدي العباسي، وشراسة موسى الهادي، وخبث ومكر هارون الرشيد، كل ذلك كان يحتاج إلى كظم الغيظ والتفكير بهدوء في إدارة المعركة مع هذه السلطات الظالمة، لأجل استمرار دور الإمامة في عملها مع المؤمنين.

نعم لا شك أن كظم الغيظ كصفة أخلاقية في التعامل مطلوب من جميع المؤمنين، وقد ورد فيه أحاديث كثيرة منها ما عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من كظم غيظًا وهو قادر على إنفاذه وحلم عنه، أعطاه الله أجر شهيد»[1] وفي رواية أخرى عنه صلى الله عليه وآله وسلم: «من كظم غيظًا وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله على رؤوس الخلائق حتى يخيره من أي الحور شاء»[2] ومنها ما عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام: «من كظم غيظًا، وهو يقدر على إمضائه، حشا الله قلبه أمنًا وإيمانًا يوم القيامة».

وينبغي أن يكون كظم الغيظ هو البوصلة التي تحدد اتجاه التعامل بين الناس، بين الوالد وولده، وبين الزوج وزوجته، وبين رب العمل وعماله، وهكذا.

(1) الصدوق: الأمالي 516.

(2) السيوطي، جلال الدين: الدر المنثور في التفسير بالمأثور2/ 73.

ولا ريب في أن هذه الطريقة لها أكبر الأثر الايجابي في تصحيح علاقات المؤمنين بعضهم ببعض.

إلا أن الشيء الأهم والأكثر آثارًا ونتائج هو كظم الغيظ في المجال السياسي، فقد لاحظنا أن حروبًا من الممكن أن تقوم وتخلف القتلى والجرحى وتنهك البلاد والعباد كان من الممكن تجاوزها لو تمَّ السيطرة عليها بكظم الغيظ وتجنب تأثيرات حالة الانتقام وسيطرة عقلية الثأر!

وفي زمان الإمام الكاظم عليه السلام كان معظم الخلفاء قد أخذتهم زهوة السلطة، والشعور بالقوة، والاستمتاع بإخضاع المخالفين[1] وكان في بعضهم من بذاءة اللسان وقذارته ما يستفز الحليم ويثير العاقل، والغريب أن مثل هؤلاء إذا صدر منهم بذاءة وقذارة لسان ورُدّ عليهم في ذلك لا يفيقون أو ينتبهون إلى خطئهم وأنه كان غير مناسب أن يقولوا مثل ذلك! بل تأخذهم العزة بالإثم ويتخذون موقفًا بالعقوبة أسوأ!

فانظر إلى ما ذكره الطبري[2] عن بذاءة المنصور العباسي

(1) ابن عساكر، أبو القاسم: تاريخ دمشق لابن عساكر 32/ 331: قال عبد الصمد بن علي للمنصور (العباسي): يا أمير المؤمنين لقد هجمت بالعقوبة حتى كأنك لم تسمع بالعفو! قال: لأن بني مروان لم تبلَ رممُهم وآل أبي طالب لم تُغمَد سيوفهم ونحن بين قوم قد رأونا أمس سوَقة واليوم خلفاء فليس تتمهد هيبتنا في صدورهم إلا بنسيان العفو واستعمال العقوبة..

(2) الطبري، محمد بن جرير: تاريخ الطبري 6/ 176.

وقذارة لسانه في حق بني عمومته (بني الحسن) وهو الذي بايعهم من قبل أن يسيطر العباسيون على الخلافة، قال: «لم يزل أبو جعفر جميل الرأي في محمد حتى قال له رياح[1] يا أمير المؤمنين أما أهل خراسان فشيعتك وأنصارك وأما أهل العراق فشيعة آل أبي طالب... فوقعت في نفس أبي جعفر فلما حج دخل عليه محمد فقال: يا محمد أليس ابنتك تحت إبراهيم بن عبد الله بن حسن؟ قال: بلى ولا عهد لي به إلّا بمنى في سنة كذا وكذا! قال فهل رأيت ابنتك تختضب وتمتشط؟ قال: نعم! قال: فهي إذاً زانية! قال: مه! يا أمير المؤمنين أتقول هذا لابنة عمك؟ قال: يا ابن اللخناء (الزانية)! قال: أي أمهاتي تلخن؟ قال يا ابن الفاعلة[2] ثم ضرب وجهه بالجرز (آلة حديدية) وحدره».

(1) رياح بن عثمان المري: واليه على المدينة وهو الذي أغرى المنصور العباسي بأن أرسل رسولاً إلى أحد وزراء أبي جعفر المنصور يقول له قد بلغني أمر محمد وإبراهيم وإدهان الولاة في أمرهما وإن ولّاني أمير المؤمنين المدينة ضمنت له أحدهما.. فولّاه المدينة.. وكان بذيء اللسان على المنبر كسيده المنصور.

(2) انظر في سطرين من الكلمات لقد قذف المحصنات المؤمنات الغافلات ثلاث مرات، وكل قذف من ذلك يستوجب حدّا شرعيًّا! وهذا هو نفسه الذي يزعم كاذبًا في مقالته لمالك بن أنس أنه لم يبق أحدٌ أعلم على وجه الأرض من مالك ومنه أي المنصور!! قال الذهبي في سير أعلام النبلاء 8/ 111 وابن خلدون في مقدمته 18 إن المنصور أحضر مالك بن أنس وقال له: «لم يبق على وجه الأرض أعلمُ مني ومنك! وإني قد شغلتني الخلافة، فضع أنت للناس كتابًا ينتفعون به، تجنب فيه رخص ابن عباس وشدائد ابن عمر ووطئه للناس توطئة. قال مالك: فو الله لقد علمني التصنيف يومئذ»!

ومنها ما يذكر في أحوال هارون الملقب بالرشيد، وهو أبعد ما يكون عن الرشد، فإنه استقدم أسوأ الشعراء لسانًا وسلطه على سيد الخلق بعد النبي علي عليه السلام وعلى أشرف النساء في العالمين وهي فاطمة الزهراء » ليهجوها ويذمها!! وهي من هي! نعم استقبل مروان بن أبي حفصة[1] (مات 182هـ) الشاعر المرتزق ليذم سادة الخلق!.

وهذا من البذاءة بمكان! فإن هذا الخليفة الذي يخوض صراعًا سياسيًّا أو عسكريًّا مع العلويين! ينبغي أن يبقي هذا الصراع في موضعه أما أن يتعرض للأجداد وللنساء ولا سيما من يعتقد بهن المسلمون جميعًا كفاطمة عليها السلام فهو مما لا يتصور خصوصًا ممن يشترك مع العلويين في النسب الهاشمي، فإن بني أمية مع كل ما فعلوه لم يصلوا إلى هذا المستوى المتدني!

وكان هذا مقصودًا ومتعمَّدًا فإن مثل هذه الممارسات لا ريب ستدفع العلويين إلى الانتصار لأنفسهم وأهلهم وأجدادهم

(1) وقد رد عليه كثير من شعراء شيعة أهل البيت عليهم السلام، ومنهم الحسين بن أحمد بن الحجاج النيلي البغدادي رحمه الله حيث قال في قصيدة له:

أكان قولك في الزهراء فاطمة ... قول أمرئ لهج بالنصب مفتون
عيرتها بالرحى والحب تطحنه ... لازال زادك حب غير مطحون
وقلت إن رسول اللَّه زوّجها ... مسكينة بنت مسكين لمسكين

فينهضون بالثورة فيُستأصَلون بالآلة العسكرية للدولة! وهذا ما حصل للكثير من بني الحسن بن علي عليه السلام، وأبناء الشهيد زيد بن علي بن الحسين.

وكان الخلفاء يريدون أن يستفزوا الإمام الكاظم ليخرج مع الخارجين ويثور مع الثائرين وحينئذ يتم قتله بدم بارد ولن يجد من يرثيه بل إذا وُجد أحدٌ سيلومه على فعله!

وهنا كان الإمام عليه السلام كاظمَ الغيظ، فلم يكن يرى أن يخاطر بنفسه لا ولا بشيعته وأنصاره في معركة وقودها الغيظ ومبعثها الانفعال ولم تكن سوى استجابة للاستفزاز.

وبالرغم من أن الإمام عليه السلام قد دعي من الثائرين سواء في حركة محمد النفس الزكية أو حركة الحسين شهيد فخ للنهوض معهم إلا أنه لم يفعل ذلك، لا لأنه يرى صحة نهج الخلافة العباسية بل كان يراها ظالمة، ولكنه لم يكن ينهض على أثر استفزاز الخلفاء إياه، ففي أيام المنصور العباسي عندما نهض بنو الحسن الثلاثة (محمد وإبراهيم وإدريس) ولم ينهض معهم الإمام عليه السلام تمت معاتبته من قبل بعض أحفاد الإمام الحسن وأنه لماذا لم ينهض معهم؟ وربما كان مثل ذلك الخطاب مدفوعًا من جهة السلطة أو كان بإمكانها الاطلاع عليه وهذا ما حدث بالفعل.

فقد نقل في الكافي رواية، قال كتب يحيى بن عبد الله بن الحسن إلى موسى بن جعفر عليه السلام «أما بعد فإني أوصي نفسي بتقوى الله وبها أوصيك فإنها وصية الله في الأولين ووصيته في الآخرين، خبرني من ورد عليّ من أعوان الله على دينه ونشر طاعته بما كان من تحننك مع خذلانك، وقد شاورت في الدعوة للرضا من آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقد احتجبتها واحتجبها أبوك من قبلك وقديمًا ادعيتم ما ليس لكم وبسطتم آمالكم إلى ما لم يعطكم الله، فاستهويتم وأضللتم وأنا محذرك ما حذرك الله من نفسه».

فكتب إليه أبو الحسن موسى بن جعفر عليه السلام «من موسى (ابن) أبي عبد الله جعفر وعلي[1] مشتركين في التذلل لله وطاعته إلى يحيى بن عبد الله بن حسن، أما بعد فإني أحذرك الله ونفسي وأعلمك أليم عذابه وشديد عقابه، وتكامل نقماته، وأوصيك ونفسي بتقوى الله فإنها زين الكلام وتثبيت النعم، أتاني كتابك

(1) هكذا في بعض نسخ الكافي وأما في العوالم الإمام الكاظم 1/ 367 فقد جاء في الهامش من محققه: «قوله: من موسى بن عبد الله: في بعض النسخ عبدي الله، وهو الأظهر. بأن يكون عليه السلام ذكر في الكتاب انتسابه إلى الوالد الأكبر أيضًا علي بن أبي طالب عليه السلام.
فقوله: مشتركين: على صيغة الجمع، وفي بعض النسخ أبي عبد الله، والمراد ما ذكرنا أيضًا، وكذا على نسخة «عبد الله» أيضًا بأن يكون الوصف بالعبودية مخصوصًا بجعفر عليه السلام. وقيل: كأنّه أشرك أخاه علي بن جعفر معه في المكاتبة ليصرف بذلك عنه ما يصرف عن نفسه وقوله: مشتركين على صيغة التثنية، منه أيضًا».

تذكر فيه أني مدع وأبي من قبل، وما سمعت ذلك مني وستكتب شهادتهم ويسألون ولم يدع حرص الدنيا ومطالبها لأهلها مطلبًا لآخرتهم، حتى يفسد عليهم مطلب آخرتهم في دنياهم وذكرت أني ثبطت الناس عنك لرغبتي فيما في يديك وما منعني من مدخلك الذي أنت فيه لو كنت راغبًا ضعف عن سنة ولا قلة بصيرة بحجة ولكن الله تبارك وتعالى خلق الناس أمشاجًا وغرائب وغرائز، فأخبرني عن حرفين أسألك عنهما ما العترف في بدنك؟ وما الصهلج في الانسان؟ ثم اكتب إلي بخبر ذلك وأنا متقدم إليك أحذرك معصية الخليفة وأحثّك على برّه وطاعته وأن تطلب لنفسك أمانًا قبل أن تأخذك الأظفار ويلزمك الخناق من كل مكان، فتروح إلى النفس من كل مكان ولا تجده، حتى يمنّ الله عليك بمنه وفضله ورقة الخليفة أبقاه الله فيؤمنك ويرحمك ويحفظ فيك أرحام رسول الله ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ (*) إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾[1].

قال الجعفري: فبلغني أن كتاب موسى بن جعفر عليه السلام وقع في يدي هارون فلما قرأه قال: الناس يحملوني على موسى بن جعفر وهو بريء مما يرمى به»[2].

(1) طه: 47 ـ 48.

(2) الكليني: الكافي1/ 414.

ولا يعني هذا أنه لم يكن يتعاطف مع الحركات الثورية المخلصة المعارضة للسلطة الظالمة، ولكنه لم يكن يرى أن يصطدم مع هذه الدولة الجبارة في قوتها والتي سوف تحشد كل تلك القوة في مواجهة من يعارضها، بل إنها كانت تتمنى الاصطدام وتتحين الفرص لذلك، لأنه يمكنها من القضاء على القوة المنافسة في ميدان هي الأقوى فيه. أما ميدان العلم والتبليغ ونشر العقيدة الصحيحة والاستقامة على المنهج فهي فيه الأضعف.

إننا رأينا أن الإمام ﷺ مع تعاطفه القلبي الذي لم يكن يخفى حتى على يحيى بن عبد الله (إن تمت الرواية السابقة وليس ذلك بعيدًا)[1] حتى أنه أشار إليه في رسالته للإمام، وتعاطفه المشهور مع الحسين بن علي بن الحسن المثلث شهيد فخ، حتى إنه «لما خرج الحسين بن علي المقتول بفخ واحتوى على المدينة، دعا موسى بن جعفر إلى البيعة، فأتاه فقال له: يا ابن عم لا تكلفني ما كلف ابنُ عمِّك عمَّك أبا عبد الله فيخرج مني ما لا أريد كما خرج

(1) بل قد نقل الأصفهاني في مقاتل الطالبيين 1/ 383 ما هو أكثر من ذلك؛ فقال راويا عن بعضهم «سمعت الحسين بن علي، ويحيى بن عبد الله يقولان: ما خرجنا حتى شاورنا أهل بيتنا، وشاورنا موسى بن جعفر فأمرنا بالخروج..»، وللحديث عن طبيعة علاقة بني الإمام الحسن المجتبى ﷺ بالأئمة مجال غير هذا قد نتعرض إليه بالتفصيل.

من أبي عبد الله ما لم يكن يريد، فقال له الحسين: إنما عرضت عليك أمرًا فإن أردته دخلت فيه، وإن كرهته لم أحملك عليه والله المستعان، ثم ودعه، فقال له أبو الحسن موسى بن جعفر حين ودعه: يا ابن عم إنك مقتول فأجد الضراب فإن القوم فساق يظهرون إيمانًا ويسترون شركا وإنا لله وإنا إليه راجعون، أحتسبكم عند الله من عصبة، ثم خرج الحسين وكان من أمره ما كان، قتلوا كلهم كما قال عليه السلام»[1].

ولو نظرنا إلى ظروف بعض هذه الحركات الثورية لرأينا أن السلطة العباسية مارست معهم الاستفزاز في صوره المختلفة من شتم الآباء واتهام النساء العفيفات بالزنا والاهانة والتنكيل بأهل الشرف والمنزلة من العلويين والإيذاء بمختلف صوره حتى يرفضوا ذلك وينهضوا في وجه العباسيين فإذا فعلوا ذلك قالوا بصراحة لهم: الآن حل لنا دمكم!!

ولعل ما جرى مع الحسين بن علي شهيد فخ قبيل نهضته يشير إلى هذا.. فإنهم يذكرون أنه: «كان سبب خروج الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب أن موسى الهادي ولى المدينة إسحاق بن عيسى بن علي، فاستخلف عليها

(1) المصدر نفسه 415.

رجلًا من ولد عمر بن الخطاب يعرف بعبد العزيز بن عبد الله، فحمل على الطالبيين وأساء إليهم، وافرط في التحامل عليهم، وطالبهم بالعرض كل يوم، وكانوا يعرضون في المقصورة، واخذ كل واحد منهم بكفالة قرينه ونسيبه فضمن الحسين بن علي ويحيى بن عبد الله بن الحسن، الحسن بن محمد بن عبد الله بن الحسن، ووفى أوائل الحاج وقدم من الشيعة نحو من سبعين رجلًا، فنزلوا دار ابن أفلح بالبقيع وأقاموا بها، ولقوا حسينًا وغيره، فبلغ ذلك العمري فأنكره، وكان قد اخذ قبل ذلك الحسن بن محمد بن عبد الله، وابن جندب الهذلي الشاعر، ومولى لعمر بن الخطاب، وهم مجتمعون، فأشاع إنه وجدهم على شراب، فضرب الحسن ثمانين سوطًا، وضرب ابن جندب خمسة عشر سوطا، وضرب مولى عمر سبعة أسواط، وأمر بأن يدار بهم في المدينة مكشفي الظهور ليفضحهم. فبعثت إليه الهاشمية صاحبة الراية السوداء في أيام محمد بن عبد الله فقالت له: لا ولا كرامة لا تشهر أحدًا من بني هاشم وتشنع عليهم وأنت ظالم. فكف عن ذلك وخلى سبيلهم.

رجع الحديث إلى خبر الحسين. قالوا: فلما اجتمع النفر من الشيعة في دار ابن أفلح أغلظ العمري أمر العرض، وولى على

الطالبيين رجلًا يعرف بأبي بكر بن عيسى الحائك مولى الأنصار فعرضهم يوم جمعة فلم يأذن لهم بالانصراف حتى بدأ أوائل الناس يجيئون إلى المسجد، ثم أذن لهم فكان قصارى أحدهم أن يغدو ويتوضأ للصلاة ويروح إلى المسجد، فلما صلوا حبسهم في المقصورة إلى العصر ثم عرضهم فدعا باسم الحسن بن محمد فلم يحضر، فقال ليحيى والحسين بن علي: لتأتياني به أو لأحبسنكما فإن له ثلاثة أيام لم يحضر العرض ولقد خرج أو تغيب، فراده بعض المرادة وشتمه يحيى، وخرج فمضى ابن الحائك هذا فدخل على العمري فأخبره فدعا بهما فوبخهما وتهددهما»[1].

وهكذا ضيق هؤلاء الولاة الجهلة على العلويين كل الطرق إلا طريق الثورة والمواجهة وهكذا كان فأعلن الحسين بن علي الثورة في مكة وسيطر عليها فيما أرسل موسى الهادي العباسي جيشًا ضخمًا وتواجهت الفئتان؛ أهل الآخرة وأهل الدنيا والمادة، فذهب أهل الآخرة لما كانوا يأملونه وذهبت أرواحهم إلى بارئهم فيما أبّنهم الإمام موسى الكاظم عليه السلام بقوله في حق شهيد فخ: إنا لله وإنا إليه راجعون، مضى والله مسلمًا صالحًا صوّامًا قوّامًا آمرًا بالمعروف، ناهيًا عن المنكر، ما كان في أهل بيته مثله.

(1) الأصفهاني، أبو الفرج: مقاتل الطالبيين 311.

وقد نجّى الإمام ﷺ من الانتقام العباسي لا سيما وأن الحاكم العباسي الهادي، كان مصممًا على قتله باعتبار أنه سيد العلويين ورأسهم! نجّاه ما عرف عنه من (كظم الغيظ) في المجال السياسي، واتخاذه أساليب أخر في تبليغ رسالته الدينية والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو ما سبق أن ذكرناه في صفحات سابقة من أن هذا الحاكم عندما جيء إليه برؤوس الثائرين «ذكر موسى بن جعفر صلوات الله عليه فنال منه قال: والله ما خرج حسين إلا عن أمره ولا اتبع إلا محبته لأنه صاحب الوصية في أهل هذا البيت قتلني الله إن أبقيت عليه.

فقال له أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم القاضي وكان جريئًا عليه: يا أمير المؤمنين أقول أم أسكت؟ فقال: قتلني الله إن عفوت عن موسى بن جعفر، ولولا ما سمعت من المهدي فيما أخبر به المنصور بما كان به جعفر من الفضل المبرز عن أهله في دينه وعلمه وفضله، وما بلغني عن السفاح فيه من تقريظه وتفضيله لنبشت قبره وأحرقته بالنار إحراقًا، فقال أبو يوسف: نساؤه طوالق، وعتق جميع ما يملك من الرقيق، وتصدق بجميع ما يملك من المال، وحبس دوابه، وعليه المشي إلى بيت الله الحرام إن كان مذهب موسى بن جعفر

الخروج.. لا يذهب إليه ولا مذهب أحد من ولده، ولا ينبغي أن يكون هذا منهم..»[1].

وفي عهد هارون استقبل الإمامَ مرارًا وكان يحاول أن يستثيره بكلام أو يستفزه من خلال موقف، يكون حجة له أمام الآخرين في التخلص منه، لكن الإمام عليه السلام وهو كاظم الغيظ المسيطر على مواقفه، والماضي في خطته الخاصة لم يكن ليعطي لهارون تلك الفرصة، فكان لا يقول كلامًا منبعثًا من الغيظ ولا يتخذ موقفًا يمليه الغضب، بل ولا حتى يحتج للحق بما قد يكون تمهيدًا لعدوه في قتله، ولعل المتأمل في الحوار الطويل بينه وبين هارون، يلاحظ تخلصه عليه السلام من كل خديعة أو احبولة كان ينسجها هارون بذكاء ومهارة، ففيما رواه الشيخ الصدوق في العيون والطبرسي في الاحتجاج مرفوعًا إلى الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام قال: لما أدخلت على الرشيد سلمت عليه فرد علي السلام ثم قال: يا موسى بن جعفر، خليفتان يجبى إليهما الخراج؟.

فقلت: يا أمير المؤمنين! أعيذك بالله أن تبوء بإثمي وإثمك، وتقبل الباطل من أعدائنا علينا، فقد علمت بأنه قد كذب علينا منذ قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كما علم ذلك عندك، فإن رأيت بقرابتك

(1) المجلسي: بحار الأنوار48/ 153.

من رسول الله ﷺ أن تأذن لي أحدثك بحديث أخبرني به أبي عن آبائه عن جدي رسول الله ﷺ؟

فقال: قد أذنت لك.

فقلت: أخبرني أبي عن آبائه عن جدي رسول الله ﷺ أنه قال: إن الرحم إذا مست الرحم تحركت واضطربت، فناولني يدك جعلني الله فداك.

قال: ادن مني!

فدنوت منه، فأخذ بيدي ثم جذبني إلى نفسه وعانقني طويلاً ثم تركني وقال: اجلس يا موسى! فليس عليك بأس، فنظرت إليه فإذا به قد دمعت عيناه، فرجعت إلى نفسي، فقال: صدقت وصدق جدك ﷺ لقد تحرك دمي واضطربت عروقي حتى غلبت عليَّ الرقة وفاضت عيناي، وأنا أريد أن أسألك عن أشياء تتلجلج في صدري منذ حين، لم أسأل عنها أحدًا، فإن أنت أجبتني عنها خليت عنك ولم أقبل قول أحد فيك، وقد بلغني عنك أنك لم تكذب قط، فأصدقني فيما أسألك مما في قلبي.

فقلت: ما كان علمه عندي فإني مخبرك به إن أنت أمنتني.

قال: لك الأمان إن أصدقتني، وتركت التقية التي تعرفون بها معشر بني فاطمة.

فقلت: ليسأل أمير المؤمنين عما يشاء.

قال: أخبرني لم فضلتم علينا، ونحن وأنتم من شجرة واحدة، وبنو عبد المطلب ونحن وأنت واحد، إنا بنو العباس وأنتم ولد أبي طالب، وهما عمَّا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقرابتهما منه سواء؟.

فقلت: نحن أقرب.

قال: وكيف ذلك؟

قلت: لأن عبد الله وأبا طالب لأب وأم، وأبوكم العباس ليس هو من أم عبد الله ولا من أم أبي طالب.

قال: فلم ادعيتم أنكم ورثتم النبي صلى الله عليه وآله وسلم والعم يحجب ابن العم، وقبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد توفي أبو طالب قبله والعباس عمُّه حيٌّ؟

فقلت له: إن رأى أمير المؤمنين أن يعفيني عن هذه المسألة، ويسألني عن كل باب سواه يريده.

فقال: لا، أو تجيب. فقلت: فآمني.

قال: قد آمنتك قبل الكلام.

فقلت: إن في قول علي بن أبي طالب عليه السلام: إنه ليس مع ولد الصلب ذكرًا كان أو أنثى لأحد سهم إلا الأبوين والزوج والزوجة، ولم يثبت للعم مع ولد الصلب ميراث، ولم ينطق به الكتاب العزيز

والسُّنَّة، إلا أن تيمًا وعديًّا وبني أمية قالوا: العم والد، رأيا منهم بلا حقيقة ولا أثر عن رسول الله ﷺ، ومن قال بقول علي عليه السلام من العلماء قضاياهم خلاف قضايا هؤلاء، هذا نوح بن دراج يقول في هذه المسألة بقول علي عليه السلام، وقد حكم به، وقد ولاه أمير المؤمنين فأمر بإحضاره وإحضار من يقول بخلاف قوله، منهم: سفيان الثوري، وإبراهيم المدني، والفضيل بن عياض، فشهدوا أنه قول عليٍّ عليه السلام في هذه المسألة، فقال لهم فيما أبلغني بعض العلماء من أهل الحجاز: لمَ لا تفتون وقد قضى به نوح بن دراج؟ فقالوا: جسَر وجبُنّا، وقد أمضى أمير المؤمنين عليه السلام قضيته بقول قدماء العامة عن النبي ﷺ أنه قال: أقضاكم عليٌّ وكذلك عمر بن الخطاب قال: عليٌّ أقضانا وهو اسم جامع، لأن جميع ما مدح به النبي ﷺ أصحابه من القرابة والفرائض والعلم داخل في القضاء.

قال: زدني يا موسى!

قلت: المجالس بالأمانات وخاصة مجلسك.

فقال: لا بأس به.

فقلت: إن النبي ﷺ لم يورث من لم يهاجر، ولا أثبت له ولاية حتى يهاجر. فقال: ما حجتك فيه؟ قلت: قول الله تبارك وتعالى:

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ ﴾[1] وإن عمي العباس لم يهاجر.

فقال لي: إني أسألك يا موسى هل أفتيت بذلك أحدًا من أعدائنا، أم أخبرت أحدًا من الفقهاء في هذه المسألة بشيء؟

فقلت: اللهم لا، وما سألني عنها إلا أمير المؤمنين.

ثم قال لي: لمَ جوَّزتم للعامة والخاصة أن ينسبوكم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويقولوا لكم: يا بني رسول الله! وأنتم بنو علي، وإنما ينسب المرء إلى أبيه، وفاطمة إنما هي وعاء، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم جدكم من قبل أمكم؟

فقلت: يا أمير المؤمنين! لو أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم نُشِر فخطب إليك كريمتك هل كنت تجيبه؟

فقال: سبحان الله! ولمَ لا أجيبه بل أفتخر على العرب والعجم وقريش بذلك.

فقلت له: لكنه لا يخطب إليّ ولا أزوجه.

فقال: ولمَ؟ فقلت: لأنه ولدني ولم يلدك.

(1) الأنفال: 72.

فقال: أحسنت يا موسى!

ثم قال: كيف قلتم إنا ذرية النبي ﷺ والنبي لم يعقب، وإنما العقب للذكر لا للأنثى، وأنت ولد الابنة ولا يكون لها عقب له.

قلت: أسألك بحق القرابة والقبر ومن فيه، إلا أعفيتني عن هذه المسألة.

فقال: لا، أو تخبرني بحجتكم فيه يا ولد علي! وأنت يا موسى يعسوبهم وإمام زمانهم، كذا أنهي إلي، ولست أعفيك في كل ما أسألك عنه حتى تأتيني فيه بحجة من كتاب الله، وأنتم تدعون معشر ولد علي أنه لا يسقط عنكم منه شيء ألف ولا واو إلا تأويله عندكم، واحتججتم بقوله عز وجل: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾[1] واستغنيتم عن رأي العلماء وقياسهم.

فقلت: تأذن لي في الجواب؟ قال: هات.

فقلت: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ (*) وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[2] من أبو عيسى يا أمير المؤمنين؟

(1) الأنعام: 38.

(2) الأنعام: 84، 85.

فقال: ليس لعيسى أب. فقلت: إنما ألحقناه بذراري الأنبياء عليهم السلام من طريق مريم عليها السلام، وكذلك الحقنا بذراري النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قبل أمنا فاطمة عليها السلام، أزيدك يا أمير المؤمنين؟

قال: هات.

قلت: قول الله عز وجل: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[1] ولم يدع أحد أنه أدخل النبي صلى الله عليه وآله وسلم تحت الكساء عند مباهلة النصارى إلا علي بن أبي طالب، وفاطمة، والحسن والحسين، فأبناءنا الحسن والحسين، ونساءنا فاطمة، وأنفسنا علي بن أبي طالب عليهم السلام، على أن العلماء قد أجمعوا على أن جبرئيل قال يوم أحد: يا محمد! إن هذه لهي المواساة من علي قال: لأنه مني وأنا منه. فقال جبرئيل: وأنا منكما يا رسول الله ثم قال:

لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي

فكان كما مدح الله عز وجل به خليله عليه السلام إذ يقول: ﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾[2] إنا نفتخر بقول جبرئيل أنه منا.

(1) آل عمران: 61.

(2) الأنبياء: 60.

فقال: أحسنت يا موسى! ارفع إلينا حوائجك.

فقلت له: إن أول حاجة لي أن تأذن لابن عمك أن يرجع إلى حرم جده[1] صلى الله عليه وآله وسلم وإلى عياله.

فقال: ننظر إن شاء الله[2].

(1) يظهر من هذه الجملة أن المحادثة حصلت في غير المدينة المنورة، ولعلها كانت في بغداد في بعض الفترات التي كان يتم فيها الإفراج عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام فإنه قد تخلل بين سجونه الثلاثة فيها فترات كان خارج السجن، أو كان يطلب إخراجه من السجن لبعض الوقت.

(2) الصدوق: عيون أخبار الرضا 1/ 78. والطبرسي: الاحتجاج2/ 165.

الجانب الاقتصادي
من حياة الإمام الكاظم

مما أوصى به الإمام موسى بن جعفر بعض ولده: «إياك والكسل والضجر فإنهما يمنعانك من حظ الدنيا والآخرة».

بالرغم من وجود أسباب يفترض أنها تحد من حركة الإمام موسى عليه السلام في الاتجاه نحو الكسب والعمل الاقتصادي وطلب الرزق، إلا أننا نلاحظ بشكل واضح حضور هذا الجانب في حياته وحركته. أما تلك الأسباب المانعة فيمكن إيجازها فيما يلي:

1/ إن الإمام عليه السلام له أن يكتفي برزق الله الغيبي، إذ ليس بأقل بل هو أعظم شأنًا من مريم بنت عمران التي كان يأتيها رزقها صباحًا ومساءً و﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا﴾[1] ومن كان يمتلك مثل هذا ليس بحاجة إلى إجهاد نفسه في طلب الرزق!.

(1) آل عمران: 37.

2/ لزوم إبرازه ﷺ جانب الزهد في الدنيا، حتى يقتدي به أتباعه وعموم المؤمنين في عدم الاعتناء بالدنيا والحرص عليها، ومن أجل ذلك فلا داعي لأن يستنبط الآبار ويستزرع البساتين، لا سيما بالمقدار الذي نقل عنه وأنه استنبط نحو سبعين ما بين عين وبئر.

3/ إنه ﷺ قرابة رسول الله فهو على ذلك يستحق من سهم القربى في الخمس، إذا احتاج إلى ذلك، كما أنه باعتباره إمامًا فإنه يستطيع أن يغني نفسه من الخمس.

إلا أننا نجد وعلى خلاف ما سبق تمامًا أن الإمام ﷺ كان سعيه في طلب الرزق الحلال وكسب المعاش ملفتًا للنظر كمًّا ونوعًا كما سيأتي تفصيله، وأما المبررات في ذلك فهي التالية:

أولًا: قضية القدوة للمؤمنين: ذلك أنه كأنّه يقول لشيعته بل لعموم المؤمنين إن إمامكم والذي يستطيع أن يوفر رزقه بطرق غيبية يسيرة، مع ذلك لا يفعله، ويقول لكم بألا تركنوا إلى الكسل عن أمر المعاش وطلب الحلال، ويوصي بشكل مباشر أحد أولاده، ومن خلاله سائر المؤمنين بالقول «إياك والكسل والضجر، فإنهما يمنعانك حظ الدنيا والآخرة».

ثانيًا: ما يرتبط بالرؤية العامة للحياة فإن الأئمة عليهم السلام أرادوا أن يواجهوا خط الرهبنة والتصوف والانعزال والتواكل

وترك السعي في الأمور الدنيوية، ولعل هذا التوجه كان ولا يزال مسؤولًا عن جزء كبير من التخلف الذي حصل في الأمة، وهذا الخط يستعين بالكسل والضجر الموجودين لدى بعض الناس، فإذا ضُم إليهما فلسفة دينية خاطئة، أنتج تخلفًا عميقًا في الأمة.

في مقابل هذا ما نراه من المعصومين في إشاعتهم لخط النشاط والعمل والاقبال على الانتاج والعطاء، ويلخص الحوار الذي دار بين الإمام محمد الباقر عليه السلام وبين محمد بن المنكدر النظرتين المتخالفتين للحياة[1].

ثالثًا: إن موقع الإمام عليه السلام يفرض عليه بالإضافة إلى رعايته لمن يكون من عياله، وقد بلغوا (كأسرة وحشم وعاملين وغيرهم نحو خمسمائة)[2] وإذا أضفنا إليهم رفده من يحتاج من شيعته

(1) الطوسي: تهذيب الأحكام 6/ 325: أن محمد بن المنكدر كان يقول: ما كنت أرى أن علي بن الحسين عليه السلام يدع خلفًا أفضل من علي بن الحسين عليه السلام حتى رأيت ابنه محمد بن علي عليه السلام فأردت أن أعظه فوعظني فقال له أصحابه: باي شيء وعظك؟ قال: خرجت إلى بعض نواحي المدينة في ساعة حارة فلقيني أبو جعفر محمد بن علي عليه السلام وكان رجلًا بادنًا ثقيلًا وهو متكئ على غلامين أسودين أو موليين، فقلت في نفسي سبحان الله شيخ من أشياخ قريش في هذه الساعة على مثل هذه الحال في طلب الدنيا أما إنّي لأعظنّه، فدنوت منه فسلمت عليه فرد عليّ بنهر وهو يتصاب عرقًا فقلت:
أصلحك الله شيخ من أشياخ قريش في هذه الساعة على هذه الحال في طلب الدنيا!
أرأيت لو جاء أجلك وأنت على هذه الحالة ما كنت تصنع؟ فقال: لو جاءني الموت وأنا على هذه الحال جاءني وأنا في طاعة من طاعات الله عز وجل أكف بها نفسي وعيالي عنك وعن الناس، وإنما كنت أخاف أن لو جاءني الموت وأنا على معصية من معاصي الله عز وجل فقلت: صدقت يرحمك الله أردت أن أعظك فوعظتني.

(2) ورد ذكر هذا العدد في حواره مع هارون الخليفة العباسي في زيارة الإمام عليه السلام له عندما قدم المدينة.

المؤمنين بل من عامة المؤمنين، وعطاءه إياهم، ترميمًا لحالتهم وقضاء لحاجتهم، فإن الحاجة إلى المال تتضاعف وتكبر.

ورابعًا: إن الخلافة العباسية كانت حريصة على أن لا يستغني الأئمة بالمال من جهتها، فالعباسيون الذين كانوا يريقون المال كالماء على أقدام الشعراء والغانيات الجواري كانوا حريصين جدًا على أن لا يصل المال من جهتهم إلى أئمة الهدى إضعافًا لهم،[1] وإشغالاً إياهم بمتطلبات الحياة المادية، فكان ينبغي للأئمة عليهم السلام أن يسدوا هذا الخلل وأن يكتفوا بما يكسبونه عن الاعتماد على عطاءات (لن تأتي) من جهة الخلافة.. بل ربما حجب عنهم حقهم كسائر الناس فضلاً عن عطائهم ما يستحقونه باعتبارهم أسرة النبي وموقعهم العلمي والديني.

لما سبق وغيره، وجدنا الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، مع كل مسؤولياته الدينية والتبليغية يقوم كما فعل جده أمير المؤمنين عليه السلام في

(1) يشير إليه الخبر الذي نقله الصدوق في العيون 1/ 84 والطبرسي في الاحتجاج 2/ 166.. وموضع الشاهد منه: فلما أراد هارون الرحيل من المدينة إلى مكة أمر بصرة سوداء فيها مائتا دينار، ثم أقبل على الفضل فقال له: اذهب إلى موسى بن جعفر وقل له: يقول لك أمير المؤمنين نحن في ضيقة وسيأتيك برنا بعد هذا الوقت.
فقمت (يقول المأمون ناقل الخبر) في وجهه فقلت: يا أمير المؤمنين! تعطي أبناء المهاجرين والأنصار وسائر قريش وبني هاشم ومن لا تعرف حسبه ونسبه: خمسة آلاف دينار إلى ما دونها. وتعطي موسى بن جعفر وقد عظمته وأجللته مائتي دينار، وأخس عطية أعطيتها أحدًا من الناس؟ فقال: اسكت لا أم لك! فإني لو أعطيته هذا ما ضمنته له، ما كنت آمنه أن يضرب وجهي غدًا بمئة ألف سيف من شيعته ومواليه، وفقر هذا وأهل بيته أسلم لي ولكم من بسط أيديهم وإغنائهم.

الفترة الفاصلة بين وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبين خلافته الظاهرية باستزراع الأراضي والقرى الزراعية، واستنباط الآبار وإجراء العيون.

وسنعرض ذلك في عناوين قادمة.

قرى وضِيَع زراعية:

1/ صريا:

تكاد تتفق كلمة المؤرخين على أن (صريا) وقد تشدد الراء، قرية زراعية بناها الإمام الكاظم عليه السلام بالقرب من المدينة المنورة (حوالي خمس كيلومترات)، وكان يقيم فيها الإمام الرضا، وورد ذكرها في أحاديث الإمامية،[1] وقد ولد فيها الإمام الهادي وكان يسكنها الإمام الجواد عليه السلام.

(1) منها ما ورد في قصة الإمام الكاظم عليه السلام مع من جاء إليه من نيسابور حاملًا زكوات وأخماس أهلها، ومن ذلك درهم شطيطة في القصة المعروفة، فقال له وقد أعطاه لها كفنًا (قد جعلت شقتك في أكفاني، وبعثت إليك بهذه من أكفاننا، من قطن قريتنا صريا قرية فاطمة عليها السلام وبذر قطن، كانت تزرعه بيدها الشريفة لأكفان ولدها، وغزل أختي حكيمة بنت أبي عبد الله عليه السلام، والكثير من الأخبار عن الإمام الرضا عليه السلام فها هو يدعو أحمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي إليه في صريا ويبعث له بدابة، ويقضي معه عامة الليل فيها.. وها هو عبد الله بن إبراهيم الغفاري يقول في خبر طويل -: إنّه ألحّ عليّ غريم لي وآذاني، فلمّا مضى عنّي مررت من وجهي إلى صريا ليكلّمه أبو الحسن عليه السلام في أمري، فدخلت عليه فإذا المائدة بين يديه، فقال لي: كل. فأكلت، فلمّا رفعت المائدة أقبل يحادثني، ثمّ قال: ارفع ما تحت ذاك المصلّى، فإذا هي ثلاثمائة دينار وتزيد، فإذا فيها دينار مكتوب عليه، ثابت فيه: «لا إله إلّا الله، محمّد رسول الله صلّى الله عليه وعلى أهل بيته» من جانب، وفي الجانب الآخر: «إنّا لم ننسك، فخذ هذه الدنانير، فاقض بها دينك، وأنفق ما بقي على عيالك». ويستقبل فيها أشخاصًا يسألونه عن قضايا الإمامة، وأنه هل تخلو الأرض من حجة أو لا.. إلى آخر الرواية.

ولعل هذه الضيعة كانت هي المقصودة في كلام هارون العباسي عندما استقبل الإمام عليه السلام في المدينة، وسأله عن أحواله، إلى أن قال هارون: ما حالُ الضيعة؟ قال الإمام عليه السلام: تعطي في وقت وتمنع في آخر.

2/ **نقمى:**

وهي من مزارعه عليه السلام وتقع قريبًا من جبل أحد، وقد عُرفت أنها من أملاك آل أبي طالب كما في المعاجم، وقد ورد ذكرها في كتاب الارشاد للشيخ المفيد عندما قصد أحدهم الإمامَ الكاظم في قضاء دينه، قال: حدثنا محمد بن عبد الله البكري، قال: «قدمت المدينة أطلب بها دينًا فأعياني، فقلت: لو ذهبت إلى أبي الحسن موسى عليه السلام فشكوت إليه، فأتيته بنقمى في ضيعته، فخرج إليّ ومعه غلام معه منسف فيه قديد مجزع، ليس معه غيره، فأكل وأكلت معه، ثم سألني عن حاجتي، فذكرت له قصتي، فدخل ولم يقم إلا يسيرًا حتى خرج إلي، فقال لغلامه: اذهب ثم مد يده إلي فدفع إلي صرة فيها ثلاثمائة دينار، ثم قام فولى، فقمت وركبت دابتي وانصرفت».

3/ **ساية:**

كما كان له مزرعة أو (مزارع كما يشير الخبر الآتي) في قرية ساية وهي في أطراف المدينة المنورة (وإليها ينسب أحد أصحابه

وأصحاب ابنه الرضا وهو علي بن سويد السائي)، فإنه قد ورد ذكرها وذكر ضيعته فيها فيما نقله غير واحد من المؤرخين ومنهم الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد[1] عن محمد بن الإمام موسى قال: خرجت مع أبي إلى ضياعه بساية فأصبحنا في غداة باردة وقد دنونا منها، وأصبحنا على عين من عيون ساية، وخرج إلينا من تلك الضياع عبد زنجي فصيح مستذفر بخرقة، على رأسه قدر فخار يفور، فوقف على الغلمان فقال: أين سيدكم؟ قالوا: هو ذاك، قال: أبو من يُكنّى؟ قالوا له: أبو الحسن، قال: فوقف عليه، فقال: يا سيدي يا أبا الحسن هذه عصيدة أهديتها إليك، قال: ضعها عند الغلمان، فأكلوا منها، قال: ثم ذهب فلم نقُل بلَغ حتى خرج على رأسه حزمة حطب، حتى وقف فقال له يا سيدي هذا حطب أهديت إليك. قال: ضعه عند الغلمان وهب لنا نارًا. فذهب فجاء بنار.

قال: وكتب أبو الحسن اسمه واسم مولاه فدفعه إليّ وقال: يا بني احتفظ بهذه الرقعة حتى أسألك عنها. قال: فوردنا إلى ضياعه، وأقام بها ما طاب له، ثم قال: امضوا بنا إلى زيارة البيت، قال: فخرجنا حتى وردنا مكة، فلما قضى أبو الحسن عمرته دعا صاعدًا فقال اذهب فاطلب لي هذا الرجل فإذا علمت بموضعه فأعلمني

(1) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد 13/ 31.

حتى أمشي إليه، فإني أكره أن أدعوه والحاجة لي. قال لي صاعد: فذهبت حتى وقفت على الرجل، فلما رآني عرفني ـ وكنت أعرفه، وكان يتشيع ـ فلما رآني سلم عليّ، وقال: أبو الحسن قدم؟ قلت: لا، قال: فإيش أقدمك؟ قلت: حوائج؟ وقد كان علم بمكانه بساية، فتتبعني وجعلت أتقصى منه ويلحقني بنفسه، فلما رأيت أني لا أنفلت منه، مضيت إلى مولاي ومضى معي حتى أتيته، فقال لي: ألم أقل لك لا تعلمه؟ فقلت فداك لم أعلمه، فسلم عليه فقال له أبو الحسن: غلامك فلان تبيعه؟ قال له جعلت فداك الغلام لك والضيعة وجميع ما أملك، قال: أما الضيعة فلا أحب أن أسلبكها وقد حدثني أبي عن جدي أن بائع الضيعة ممحوق، ومشتريها مرزوق. قال: فجعل الرجل يعرضها عليه مدلًّا بها، فاشترى أبو الحسن الضيعة والرقيق منه بألف دينار وأعتق العبد ووهب له الضيعة.

4/ اليسيرة (اليسيرية):

وهي أرض زراعية قد اشتراها الإمام ﷺ، بثلاثين ألف دينار فيما ورد في بعض الروايات،[1] وهي التي زعم كاذبًا بعض من وشى بالإمام ﷺ لهارون، أنه اشتراها من الأموال التي تحمل إليه من الشرق والغرب، وقد وهبها الإمام ﷺ قبل شهادته لبعض أولاده.

(1) نجف، محمد مهدي: الجامع لرواة أصحاب الإمام الرضا ﷺ 1/ 102.

عطاءات وهبات لحاجة الناس:

اشتهر عن عطاءات الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، أنها كانت كافية لإخراج الشخص من حالة الحاجة والفقر إلى حالة الاكتفاء لو استثمرها بالنحو الصحيح، فقد اشتهر عنهم القول[1] عجبت لمن وصلته صرر موسى كيف يشتكي الفقر، وكان في الصرة ما بين ثلاث مئة إلى أربع مئة دينار.

ذلك أن الأئمة عليهم السلام كانوا مقصد المحتاجين من شيعتهم ومن غير شيعتهم، وذلك أن سؤالهم والطلب منهم لم يكن يحتاج إلى شيء غير معرفة مكان وجود الإمام عليه السلام، والنطق بالحاجة حتى يأتيه العطاء، بخلاف كثير من أبواب الخلفاء التي كانت مغلقة إلا على من يبيع المواقف أو ينشد الشعر أو يتغنى بفضائلهم!

لقد ذكر الخطيب البغدادي في ترجمة الإمام موسى بن جعفر نصًّا غدا فيما بعد معتمدَ الكثير ممن جاء بعده وذكر فيه جانبًا من فضائل الإمام وأفضاله، فمما ذكر في أفضال الإمام عليه السلام ما عن عيسى بن محمد بن مغيث القرشي وبلغ تسعين سنة، قال: زرعت

(1) قد ذكر ذلك الخطيب البغدادي فقال: وكان يصر الصرة ثلاثمائة دينار، وأربعمائة دينار، ومائتي دينار، ثم يقسمها بالمدينة، وكان مثل صرر موسى بن جعفر عليه السلام إذا جاءت الإنسان الصرة فقد استغنى.

بطيخًا وقِثّاء وقرعًا في موضع بالجوانية على بئر يقال لها: أمُّ عظام، فلما قرب الخير واستوى الزرع، بيّتَني الجراد، فأتى على الزرع كله، وكنت غرمت على الزرع وفي ثمن جملين مئة وعشرين دينارًا. فبينما أنا جالس طلع موسى بن جعفر بن محمد، فسلم، ثم قال: أيش حالك؟ فقلت: أصبحت كالصريم، بيتني الجراد فأكل زرعي. قال: وكم غرمت فيه؟ قلت: مئة وعشرين دينارًا مع ثمن الجملين. فقال: يا عرفة زِنْ لابن المغيث مئة وخمسين دينارًا مع ثمن نربحك ثلاثين دينارًا والجملين. فقلت: يا مبارك ادخل وادع لي فيها. فدخل ودعا، وحدثني عن رسول الله ﷺ أنه قال: تمسكوا ببقايا المصائب «ثم علقت عليه الجملين، وسقيته، فجعل الله فيها البركة: زكت، فبعتُ منها بعشرة آلاف»[1].

وفي بعض ما ينقل من أحواله عليه السلام أنه لم يكن ينتظر الفقير والمحتاج أن يأتي إليه بل كان يبادر، ويحمل إليه ما يرمم حاجته، وكان يتفقد فقراء المدينة فيحمل إليهم في الليل العين والورق (الذهب والفضة) وغير ذلك، فيوصلها إليهم وهم لا يعلمون من أي وجه هو.

(1) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد 13/ 31.

في الطريق إلى الشهادة

1/ كانت سياسة كظم الغيظ هي الاستراتيجية العامة للإمام عليه السلام فيما قبل مرحلة سجنه بل إلى الفترة الأكثر من سجنه لكنها تغيرت في الفترة الأخيرة.

فإذا كان الإمام عليه السلام في الفترات الأولى يلاحظ ألّا يقول كلامًا يجر عليه أو على شيعته الأذى وربما يتعرض فيه إلى القتل أو شيعته إلى الاستئصال أو أن يتخذ موقفًا ينتهي إلى ذات النتيجة فإن هذا الأمر تغير مع دخوله تحت يد السندي بن شاهك وعهدة البرامكة الذين سعى سيدهم يحيى بن خالد إلى إنهاء وجود الإمام عليه السلام موافقًا في ذلك رغبة في نفس هارون العباسي، هنا تغيرت كلمات الإمام ومواقفه فصارت صارمة وقوية فلم يبق شيء يُخاف عليه، فليصرح الإمام بمواقفه، ولتبق للتاريخ والناس شهادة صارخة على ما ارتكب في حقه من ظلامات.

سنشهد في هذه المرحلة كلامًا قويًا ومواقف حاسمة تجاه الخلافة العباسية وهارون العباسي نفسه، ولا مجال فيها لتقية أو مداراة!

وقد بينت إحدى رسائل الإمام ﷺ التي أرسلها من داخل السجن إلى علي بن سويد السائي تلك المرحلة الجديدة بقوله فيها: «كتبت تسألني عن أمور كنت منها في تقية، ومن كتمانها في سعة، فلما انقضى سلطان الجبابرة، وجاء سلطان ذي السلطان العظيم بفراق الدنيا المذمومة إلى أهلها، العتاة على خالقهم، رأيت أن أفسر لك ما سألتني عنه، مخافة أن تدخل الحيرة على ضعفاء شيعتنا من قبل جهالتهم، فاتق الله عز ذكره وخص بذلك الأمر أهله، واحذر أن تكون سبب بلية على الأوصياء أو حارشًا عليهم بإفشاء ما استودعتك، وإظهار ما استكتمتك، ولن تفعل إن شاء الله.

إن أول ما أنهي إليك أني أنعى إليك نفسي في لياليَّ هذه، غير جازع ولا نادم ولا شاك فيما هو كائن، مما قد قضى الله عز وجل وحتم، فاستمسك بعروة الدين، آل محمد والعروة الوثقى الوصي بعد الوصي، والمسالمة لهم والرضا بما قالوا، ولا تلتمس دين من ليس من شيعتك، ولا تُحبّن دينهم فإنهم الخائنون الذين خانوا الله ورسوله وخانوا أماناتهم! وتدري ما خانوا أماناتهم؟ ائتمنوا على كتاب الله فحرفوه وبدلوه، ودلوا على ولاة الأمر منهم فانصرفوا عنهم، فأذاقهم الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون»[1].

(1) الكليني: الكافي 8/ 148.

وحين أرسل له هارون بعض وكلائه ليشيروا على الإمام بأن يعتذر[1] لهارون! وعندها سيطلق سراحه من السجن وأنه لا ضرر عليه من ذلك الاعتذار، فرفض ذلك وقال كلمته التي أصبحت من يومها راية تضم أصحاب النفوس العالية والمواقف الشامخة.

وقد نقلت عنه المصادر التاريخية من الفريقين هذه الكلمة الصاعقة: «إنه لن ينقضي عني يوم من البلاء إلا انقضى عنك معه يوم من الرخاء، حتى نفضي جميعًا إلى يوم ليس له انقضاء، يخسر فيه المبطلون»[2].

وقد أشرنا إلى كلمات أخر ومواقف للإمام عليه السلام، في فصل أدوار اعتقال الإمام موسى الكاظم، في صفحات سابقة، فليراجع.

2/ في سنة 179 تمَّ اعتقال الإمام، وفي سنة 183 هـ تمت شهادته في سجن السندي بن شاهك مسمومًا على ما هو المشهور بين المؤرخين.

ولم يكن أمر اغتياله صلوات الله عليه بالسم شيئًا منكرًا في عالم الحاكمين حتى يتردد بعض المؤرخين ممن هم عبدة

(1) هي الحيلة التي يلجأ إليها أكثر الطغاة من أنهم سيستفيدون من اعتذار المظلوم لهم في إدانة نفسه، وتثبيت التهم الباطلة في حقه ثم قد يطلقونه ويمنون عليه في ذلك بعد أن حطموا شخصيته وقد لا يطلقونه!

(2) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد 13/ 33، كما نقلها عنه ابن الجوزي في صفة الصفوة، وابن الأثير في الكامل، والذهبي في تاريخ الإسلام وسير أعلام النبلاء وغيرهم في غيرها.

السلاطين في ذكر ذلك مع علمهم به، بل لم يكن أمر اغتيال الخصوم بكل وسيلة ممكنة شيئًا طارئًا، فالذي ينظر مليًّا في موسوعة العذاب لعبود الشالجي، وهي قطرة من محيط القسوة والحيوانية التي كانت تسيطر على أولئك الحاكمين، أو يرجع إلى كتاب أسماء المغتالين من الأشراف لابن المحبر البغدادي، يرى أن قتله لو لم يكن بتلك الصورة من السم بعد العذاب والتنكيل، كان مستنكرًا ومستغربًا!

بل كانت تصفياتهم بعضهم لبعض وتخلص بعضهم من بعض[1] ما استطاعوا لذلك سبيلاً هو الطريق المفضل لهم كيف لا وهم لا يرجون لله وقارًا، ولا يعتقدون حقيقةً جنة أو نارًا! وإنما هي هذه الحياة الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر! هذه هي طريقة حياتهم، ودع عنك كلمات المنبر ووعظ العامة، فإنها عندهم حديث خرافة يا ام عمرِو!

(1) فهذا الربيع خادم العباسيين ووزير موسى الهادي العباسي، سمه الهادي هذا في كأس مسمومة وجعله يشربها ومات من ليلته، كما في تاريخ الطبري 6/ 440. وتعاون هارون الرشيد مع أمه الخيزران وهي أم الهادي لاغتيال أخيه موسى الهادي نفسه فسموه من سنته ومات على إثر ذلك، وكان موسى الهادي يدبر في اغتيال أخيه الرشيد ويحيى البرمكي، ونفسه دس لأمه السم في أكلة وأرسلها لها لتموت، لكنها لم تأكل منها.. وهكذا، وهارون دس لإدريس بن عبد الله بن الحسن من يسمه وهو في أفريقيا وكان يفتخر بذلك! وقد ذكر كل هذا وأمثاله في تاريخ اليعقوبي والطبري وتجارب الأمم لابن مسكويه... فراجع.

وبالرغم من محاولة هارون وجلاوزته كالسندي إخفاء آثار الجريمة إلا أنها ظهرت من حيث أرادوا إخفاءها، ففي الرواية عن أحد شهود محاولة إخفاء آثار الجريمة، وكيف أن السندي بأمر هارون قد جمع جمعًا غفيرًا من أعيان بغداد، وأخرج إليهم الإمام بعد تسميمه، صحيح الظاهر ليس فيه أثر ضرب أو جرح أو غير ذلك لكي يروه ويشهدوا لمن خلفهم بما عاينوا! فانقلب الأمر عليهم: فقد نقل الشيخ الصدوق رحمه الله في الأمالي عن أحد من حضر قوله:

جمعنا أيام السندي بن شاهك ثمانين رجلًا من الوجوه، ممن ينسب إلى الخير، فأدخلنا إلى موسى بن جعفر عليهما السلام، فقال لنا السندي: يا هؤلاء، انظروا إلى هذا الرجل هل حدث به حدث، فإن الناس يزعمون أنه قد فعل به مكروه، ويكثرون في ذلك، وهذا منزله وفرشه، موسع عليه غير مضيق، ولم يرد به أمير المؤمنين سوءًا، وإنما ينتظره أن يقدم فيناظره أمير المؤمنين، وها هو ذا صحيح موسع عليه في جميع أمره، فسلوه، قال: ونحن ليس لنا همٌّ إلا النظر إلى الرجل وإلى فضله وسمته.

فقال عليه السلام: أما ما ذكر من التوسعة وما أشبه ذلك، فهو على ما ذكر، غير أني أخبركم أيها النفر، أني قد سقيت السم في تسع

تمرات، وإني أحضر غدًا، وبعد غد أموت، قال: فنظرت إلى السندي بن شاهك يرتعد ويضطرب مثل السعفة.

3/ كانت المحاولة الأولى في إخفاء الجريمة، وتغيير عنوانها من كونها اغتيالًا بالسم، وقتلًا متعمَدًا في السجن من قبل (خليفة المسلمين) الذي يصفون زمانه بالعصر الذهبي، والذي يقول عنه عبدة الطاغوت «.. أمير الخلفاء وأجل ملوك الدنيا، إن الرشيد يحب العلم وأهله ويعظم حرمات الإسلام، وكان يبكي إلى نفسه، وكان يحج عامًا ويغزو عامًا، وكان يصلّي في كل يوم مائة ركعة إلى أن فارق الحياة، إلا أن تعرض له علة، وإذا حج، حج معه مائة من الفقهاء وأبنائهم، وإذا لم يحج بسبب جهاد أو غزوة أحج كل سنة ثلاث مائة رجل بالنفقة السابغة والكسوة الظاهرة».. هو قاتلٌ بالقتل العمدي لإمام من أئمة المسلمين بل هو إمام المسلمين! ودع عنك باقي جرائمه.. فما ينفعه أن حج عامًا ليأمر باعتقال الإمام وسجنه أو غزا عامًا آخر ليزيد من جواريه ويمتع نصفه السفلي؟

بعدما جلب الأعيان وشخصيات بغداد ليشهدوا شهادة زور على أن الكاظم كان بخير في سجنه! وأنه لم يُقتَل ولم يُضرَب ولم يُخنَق! فانقلبت عليه الآية وأخبرهم الإمام أنه تم تسميمه

بتمرات، وأنه سيموت في اليوم الثالث من وقت تسميمه، هنا لجأوا لحيلة أخرى وهي، ادعاء الغلو لدى الشيعة (والرافضة تعبيرهم) بأنهم يزعمون أن موسى بن جعفر لا يموت! لتتحول القضية من عنوانها الأصلي وهي أنها جريمة قتل عمدي! إلى موضوع عقائدي (كاذب) هل يموت موسى بن جعفر أو أنه يبقى حيًّا! وأن كونه جنازة يعني أن كلام الرافضة خطأ!

وبالفعل فقد جلبت جنازة الإمام عليه السلام، وعلى خلاف ما ينبغي من سنن جنازة المسلم من إكرامه بتجهيزه ودفنه. فإنهم قد جلبوا جنازة الإمام ووضعوها فرجة للناظرين والمارين على جسر بغداد وكان أكثر منطقة مزدحمة، لينادي منادي الخلافة الظالمة: هذا موسى بن جعفر الذي زعمت الرافضة أنه لا يموت وقد مات حتف أنفه!

ومرة أخرى تؤكد أجهزة الخلافة كذبها وتزويرها للحقائق، فبينما كان قد أخبر الإمام عليه السلام الحاضرين إلى سجنه أنه قدم له السم، وكان ينبغي لو كانت هناك عدالة أن يحقق فيمن دس السمَّ ومن أمره بذلك ويقدم الجميع للمحاكمة، باعتبارها في الحد الأدنى قتل مسلم، وفي حدها الأعلى قتل إمام المسلمين!

لكن لما كان كل ذلك بأمر الخليفة وبتخطيطه وبحمايته

للمنفذين المباشرين، فكان من الطبيعي ألا يحصل ذلك وإنما تمَّ التمادي في تغفيل العامة (سواء من الشيعة أو غيرهم) لتحويل القضية كما ذكرنا إلى موضوع عقائدي يفترض أنه يفرق المسلمين أولًا بين رافضة وغير رافضة! ثم يحرض غير الرافضة على الرافضة باعتبارهم يقولون منكرًا ويدعون أن إمامهم لا يموت! والحال أن هذا كله كذب! وليس من اعتقاد الشيعة ذلك! ثم إن القضية الأساس الآن هي من قتل هذا الإمام؟ ولماذا قتل؟ وسواء كانت فكرة أنه يموت أو لا يموت صحيحة أو خاطئة فإنها لا تنفي هذه الجريمة ولا تبررها!

4/ كان الإمام موسى غريب بغداد![1] فأصبح محورها وقطبها.

ومقابر قريش كلها، ستصبح فيما بعد (الكاظمية) ومدينة (الكاظم) لا سواه، وستندثر كل تلك القبور وتنسى كل تلك الجنائز ما عدا جنازة وضعت يومًا على جسر بغداد ونودي عليها بنداء الاستخفاف، فكأن ذلك النداء كان البداية لتصبح قطعة من الجنان، ولترتقي في أعالي السماء، وتستقبل تلك البقعة أعلام مدرسة

(1) موسوعة العذاب لعبود الشالجي: ج 1/ 13 في سنة 200 أحصى المأمون العباسيين فبلغوا 33 ألفًا. أما اليوم فلا توجد سوى أسرتين تنتسبان للعباسيين احداهما في البصرة والأخرى في بغداد! هذا مع أنهم دام حكمهم في العراق ستمائة سنة تقريبًا.

الخلفاء يستشفون بها ويستطعمون موائد الإجابة من الله عندها! هذا فضلًا عن أعلام مدرسة الإمامية! وعامتهم الذين (يحجون) بالملايين في المناسبات ولا سيما في مناسبة شهادته عليه السلام حتى لقد أصبح الخامس والعشرين من شهر رجب في كل سنة هجرية عاشوراء جديدة، وهي تحولت إلى كربلاء أخرى!

كأنّ تلك المدرسة التي خذلت في حينه إمامها أرادت أن تكفر عن ذلك في مواقف أحفادها، فها هم يقولون مؤكدين على علو منزلة كاظم الغيظ ذي الساق المرضوض بحلق القيود وذي الجنازة المنادى عليها بذل الاستخفاف، لقد مضى كذب السلطة العباسية أدراج الرياح، كما ذهب الخلفاء أولئك إلى حيث ألقت رحلها أم قشعم!

وقد نُقل عن أعلام مدرسة الخلفاء الكثير من الكلمات في شأنه صلوات الله عليه، ننقل بعضها هنا لا لأجل أن نزيده شرفًا فإنه سلام الله عليه يشرف من يقترب منه ويضيء قلب من يستضيء به، وإنما لكي نبين أن أثره لم يقتصر على تحويل الأرض من (مقابر قريش إلى جنة الكاظم) وإنما بالإضافة إلى ذلك أشرق نوره على قلب من لا يعتقد إمامته فأضاء لهم:

فقد نقل الدميري في حياة الحيوان أن محمد بن إدريس الشافعي كان يقول: قبر موسى الكاظم الترياق المجرب.

ونقل الخطيب البغدادي عن الحسن بن إبراهيم أبي علي الخلال (ت:242 هـ.) وهو أستاذ الدارقطني وابن حبان: ما همني أمر فقصدت قبر موسى بن جعفر فتوسلت به إلا سهل الله تعالى لي ما أحب[1].

وأما محمد بن طلحة الشافعي: (ت 652 هـ.) فقد قال عنه:

«موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام هو الإمام الكبير القدر، العظيم الشأن الكبير، المجتهد الجاد في الاجتهاد، المشهور بالكرامات، يبيت الليل ساجدًا وقائمًا، ويقطع النهار متصدقًا وصائمًا، ولفرط حلمه وتجاوزه عن المعتدين عليه، دعي كاظمًا، كان يجازي المسيء بإحسانه إليه، ويقابل الجاني بعفوه عنه، ولكثرة عبادته كان يسمى بالعبد الصالح، ويعرف بالعراق بباب الحوائج إلى الله لنجح مطالب المتوسلين إلى الله تعالى به، كراماته تحار منها العقول، وتقضي بأن له عند الله تعالى قدم صدق لا تزل ولا تزول»[2].

وقد نقل علي بن انجب ابن الساعي البغدادي (ت 674 هـ) في كتابه تاريخ الخلفاء: نفس كلمة محمد بن طلحة الشافعي في تخليد ذكر الإمام عليه السلام حرفًا بحرف[3].

(1) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد 1/ 442

(2) قد نقل هذه الأقوال عن مصادرها المرحوم العلامة الشيخ باقر شريف القرشي في كتابه حياة الإمام موسى بن جعفر 1/ 178.

(3) المصدر نفسه 166.

وقال فيه الحسن بن عبد الله البخشي الحلبي (ت 1190 هـ): «هو الإمام الكبير القدر، والكثير الخير، كان رضي الله عنه يسهر ليله ويصوم نهاره، وسمي كاظمًا لفرط تجاوزه عن المعتدين، وهو المعروف عند أهل العراق بباب الحوائج، لأنه ما خاب المتوسل به في قضاء حاجته قط وكانت له كرامات ظاهرة ومناقب باهرة..[1]

(1) المصدر نفسه 173.

كلمة شكر وتقدير

لكل من ساهم بنحو من الأنحاء في صدور هذا الكتاب، ونخص بالذكر الأخوات الفاضلات:

أم سيد علي الفلفل، أم سيد رضا، فاطمة الرمضان، رملة الخضراوي، رباب محيسن، عبير الزهراء، وتراتيل، وكذلك الجهد المشكور للأفاضل أبي محمد العباد، وأبي علي ـ البحرين ـ والأستاذ مهدي صليل، والمخرج الماهر للطبعة السابقة أبي حيدر .. أسأل الله سبحانه أن يجعل لهن ولهم ولجميع من ساهم الأجر والثواب وأن يكرمني وإياهن وإياهم بشفاعة هذا الإمام العظيم موسى بن جعفر عليه السلام.

المصادر

- بعد القرآن الكريم.
- الآبي؛ منصور بن الحسين الرازي: نثر الدر في المحاضرات، تحقيق: خالد عبد الغني محفوظ، دار الكتب العلمية ـ بيروت/ لبنان 1424هـ ـ 2004م.
- إبراهيم؛ محمد زكي: أهل البيت في القاهرة، مؤسسة إحياء التراث الصوفي، مصر 1424هـ.
- الإربلي؛ علي بن أبي الفتح كشف الغمة في معرفة الأئمة، دار الأضواء ـ بيروت 1405 ـ 1985 م.
- الآجُرِّيُّ؛ محمد بن الحسين بن عبد الله البغدادي: الأربعون حديثًا، ت بدر بن عبد الله البدر، أضواء السلف، الرياض 1420هـ.
- الأصبهاني؛ أبو الفرج علي بن الحسين: مقاتل الطالبيين، ت السيد أحمد صقر، دار المعرفة، بيروت.
- ابن أبي الحديد؛ عبد الحميد: شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار احياء الكتب العربية.

- ابن خلدون؛ عبد الرحمن بن محمد: تاريخ ابن خلدون، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، 1408هـ.
- ابن شهرآشوب المازندراني؛ رشيد الدين محمد بن علي: المناقب، مؤسسه انتشارات علامة، قم.
- ابن طاووس الحسني؛ علي بن موسى: مصباح الزائر، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم.
- ابن العديم؛ عمر بن أحمد العقيلي، كمال الدين، بغية الطلب في تاريخ حلب، ت سهيل زكار، دار الفكر.
- ابن عساكر؛ علي بن الحسن بن هبة الله: تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع 1415هـ.
- ابن عنبة؛ أحمد بن علي الحسيني: عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، المطبعة الحيدرية في النجف، 1380هـ.
- ابن كثير الدمشقي؛ إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، ت عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع 1418هـ.
- ابن المغازلي؛ علي بن محمد بن محمد: مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ت: تركي بن عبد الله الوادعي، دار الآثار ـ صنعاء 1424 هـ.ـ 2003م.

- البحراني الأصفهاني؛ الشيخ عبد الله: عوالم العلوم (الإمام الكاظم عليه السلام)، منشورات مدرسة الإمام المهدي عليه السلام قم 1409هـ.
- البروجردي؛ السيد حسين الطبطبائي؛ جامع أحاديث الشيعة، المطبعة العلمية ـ قم 1399هـ.
- البُستي؛ محمد بن حبان بن أحمد: المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، ت محمود إبراهيم زايد، دار الوعي ـ حلب 1396هـ.
- البغدادي؛ محمد بن حبيب، المُحبّر، تحقيق: إيلزة ليختن شتيتر، الناشر: دار الآفاق الجديدة، بيروت.
- الحرّ العاملي؛ محمد بن الحسن: إثبات الهداة بالنّصوص والمعجزات، خرّج أحاديثه: علاء الدّين الأعلمي مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان.
- الحراني؛ الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة: تحف العقول عن آل الرسول، مؤسسة النشر الإسلامي (التابعة). لجماعة المدرسين بقم 1404هـ.
- الحُصري القيرواني؛ إبراهيم بن علي: زهر الآداب وثمر الألباب، دار الجيل، بيروت..
- الحميري؛ عبد الله بن جعفر: قرب الاسناد، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث 1387هـ.

- حيدر؛ أسد: الإمام الصادق والمذاهب الأربعة، دار التعارف ـ بيروت 1422هـ.
- الخفاف، اسماعيل الحاج عبد الرحيم: الإمام الكاظم وذراريه، العتبة الكاظميّة المقدّسة، بغداد العراق..
- الخطيب البغدادي؛ أحمد بن علي بن ثابت: تاريخ بغداد وذيوله، دار الكتب العلمية ـ بيروت 1417هـ.
- الخطيب البغدادي؛ أحمد بن علي بن ثابت: تاريخ بغداد، ت بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي ـ بيروت.
- الدميري؛ كمال الدين: حياة الحيوان الكبرى، دار الكتب العلمية 1424هـ.
- الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز: سير أعلام النبلاء، ت شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة 1405هـ.
- الزركلي؛ خير الدين بن محمود: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت 2002م.
- الزيات باشا؛ أحمد حسن: مجلة الرسالة.
- آل سيف؛ فوزي: نساء حول أهل البيت عليهم السلام، دار الصفوة، بيروت لبنان.
- السيوطي؛ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر: تاريخ الخلفاء، ت حمدي الدمرداش، مكتبة نزار مصطفى الباز 1425هـ

- السيوطي؛ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت.
- الشالجي؛ عبود: موسوعة العذاب، العتبة الكاظمية المقدسة، بغداد العراق.
- الشبستري؛ عبد الحسين أحسن التراجم لأصحاب الإمام موسى الكاظم عليه السلام المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام ـ مشهد 1411هـ.
- شوقي، محمد؛ أهل البيت في مصر: المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية طهران 1430هـ.
- الشيباني الجزري؛ ابن الأثير علي بن أبي الكرم محمد: الكامل في التاريخ، ت عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان 1417هـ/ 1997م.
- الصدوق؛ محمد بن علي بن بابويه: الأمالي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية ـ مؤسسة البعثة ـ قم.
- الصدوق؛ محمد بن علي بن بابويه: الخصال، ت علي أكبر الغفاري، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية قم إيران.
- الصدوق؛ محمد بن علي بن بابويه: عيون أخبار الرضا عليه السلام، ت الشيخ حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان.
- الصّغير؛ محمد حسين علي: الإمام موسى بن جعفر عليه السلام ضحية الإرهاب السياسي، مؤسسة البلاغ بيروت.

- الطبرسي؛ أحمد بن علي الاحتجاج، ت السيد محمد باقر الخرسان، دار النعمان للطباعة والنشر ـ النجف الأشرف، 1386 ـ 1966 م.
- الطبرسي؛ الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن: إعلام الورى بأعلام الهدى، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ قم 1417هـ.
- الطبري؛ أبو جعفر محمد بن جرير: تاريخ الطبري ـ تاريخ الرسل والملوك، دار التراث ـ بيروت 1387هـ.
- الطوسي؛ محمد بن الحسن: اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي)، ت السيد مهدي الرجائي، مؤسسة آل البيت عليهم السلام، قم إيران 1404 هـ.
- الطوسي، محمد بن الحسن: تهذيب الأحكام، ت السيد حسن الموسوي الخرسان، دار الكتب الإسلامية طهران 1390 هـ.
- الطوسي؛ الشيخ محمد بن الحسن: الغيبة، ت عباد الله الطهراني، مؤسسة المعارف الإسلامية ـ قم المقدسة 1411هـ.
- العلوي العمري، علي بن محمد: المجدي في أنساب الطالبين، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي العامة ـ قم 1409هـ.
- الغزالي؛ أبو حامد: إحياء علوم الدين، دار الكتاب العربي، بيروت.

- الفيض الكاشاني؛ محمد محسن: الوافي. مكتبة الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام العامة أصفهان 1406 هـ..
- القرشي؛ باقر شريف: حياة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، دار البلاغة للطباعة والنشر والتوزيع 1413هـ.
- الكليني؛ محمد بن يعقوب بن إسحاق: الكافي، تعليق علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية طهران إيران 1388هـ.
- الكوراني العاملي؛ الشيخ علي: الإمام الكاظم عليه السلام سيد بغداد، 1431هـ.
- المالكي؛ علي بن محمد أحمد (ابن الصباغ): الفصول المهمة في معرفة الأئمة دار الحديث للطباعة والنشر 1422هـ.
- المامقاني؛ الشيخ عبد الله: تنقيح المقال في علم الرجال، ت الشيخ محمد رضا المامقاني، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ إيران ـ قم 1431 هـ.
- المجلسي؛ المولى محمد باقر: بحار الأنوار، مؤسسة الوفاء ـ بيروت ـ لبنان 1403 هـ.
- المزي؛ يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ت بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة.
- المسعودي؛ علي بن الحسين: مروج الذهب ومعادن الجوهر، منشورات دار الهجرة إيران ـ قم1404هـ.

- المصطفوي؛ الشيخ حسن: التحقيق في كلمات القرآن الكريم، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي طهران إيران 1417هـ.
- المفيد؛ محمد بن محمد بن النعمان العكبري: الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، تحقيق مؤسسة آل البيت لتحقيق التراث، دار المفيد.
- نجف؛ محمد مهدي: الجامع لرواة أصحاب الإمام الرضا، المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام ـ إيران 1407هـ.
- النووي؛ محيي الدين يحيى بن شرف: المجموع شرح المهذب، دار الفكر بيروت.
- اليعقوبي؛ أحمد بن أبي يعقوب بن واضح: تاريخ اليعقوبي، دار صادر ـ بيروت ـ لبنان.

https://www.youtube.com/watch?v=qL8kRr9Y30E

https://www.allikaa.net/subject.php?id=711

http://www.aqaed.com/faq/1619

الفهرس

مقدِّمة 5

لماذا نستعيد سيرة الإمام موسى بن جعفر 7

الإمام الكاظم من الميلاد إلى الاستشهاد 12

معنى الإمام في الاصطلاح اللغوي 12

معنى الإمام في اعتقاد الإمامية الاثني عشرية 13

ولادة الإمام الكاظم عليه السلام، ووالدته 14

هل اشترط الإسلام كفاءة النسب في الزواج؟ 17

تصريح الإمام الصادق عليه السلام بإمامة الكاظم من بعده 19

لقاء أبي حنيفة بالإمام الكاظم عليه السلام 21

تحمل الإمام الكاظم عليه السلام لأعباء الإمامة 23

كاظم الغيظ 26

قضاؤه حوائج الناس 27

أحوال الإمام مع حكام عصره 31

أحوال الإمام عليه السلام، في زمان هارون 41

أدوار اعتقال الإمام موسى الكاظم وسجنه 48

هل جاء الإسلام للتوسع واحتلال الأراضي أو لفتح قلوب الناس وهدايتهم؟ 51

تسلسل معاناة الإمام الكاظم عليه السلام في سجون بني العباس 53
1/ سجن الإمام عليه السلام في عصر المهدي العباسي 54
2/ سجن الإمام عليه السلام، للمرة الأولى في عصر هارون الرشيد 60
3/ سجن الإمام عليه السلام، للمرة الثانية في عصر هارون 63
4/ إبقاء الإمام في بغداد بعد إطلاقه من سجن الفضل 67
5/ سجن الإمام لدى الفضل بن يحيى البرمكي 72
6/ سجن الإمام عليه السلام، لدى السندي بن شاهَك 75
كم كانت سنوات سجن الإمام الكاظم 82
أسماء في سجن الإمام الكاظم 93
1/ عيسى بن جعفر بن [أبي جعفر] المنصور العباسي 93
2/ الفضل بن الربيع بن يونس 95
3/ الفضل بن يحيى البرمكي 103
4/ السندي بن شاهك 107
من أمجاده! 108
من الدور العلمي للإمام الكاظم 115
أولًا: من دوره العلمي وأجوبته ومناظراته أيام طفولته وشبابه المبكر 115
ثانيًا: من أحاديثه وعلومه فترة إمامته عليه السلام 122
مسند الإمام الكاظم عليه السلام 130
4/ نماذج من كلماته وأحاديثه 133
غاية معرفة العلم 133
في منهج معرفة الدين 135
ثالثًا: التعليم والتوجيه في فترة السجن 140

ياسين الضرير يكتب عنه كتابًا 141
وموسى المروزي وكتاب آخر 141
وتلميذا أبي حنيفة البارزان 142
وعلي بن سويد السائي 143
وهند بن الحجاج 144
محورية العقل في توجيهات الإمام الكاظم 146
التغفيل وكمال العقل 162
الحياة الأسرية للإمام الكاظم 163
كم هو عدد أولاده [ذكورًا وإناثًا] 167
نختار رأي الشيخ المفيد في أنهم 37 ولدًا 168
كيف تمَّ ذلك والحال أنه كان في السجن؟ 171
زوجاته ونساؤه 172
ومن أولاده: بعد الإمام علي بن موسى عليه السلام 175
هل تزوجت بنات الإمام موسى الكاظم أو لا؟ 175
كظم الغيظ في الجانب السياسي 181
ومعنى (كظم) في اللغة 182
الجانب الاقتصادي من حياة الإمام الكاظم 206
قرى وضِيَع زراعية 210
1/ صريا 210
2/ نقمى 211
3/ سابة 211

4/ اليسيرة (اليسيرية) 213
عطاءات وهبات لحاجة الناس 214
في الطريق إلى الشهادة 216
كلمة شكر وتقدير 227
المصادر 228
الفهرس 237